

دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى وأثرها في القراءات القرآنية من أول
سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة: جمعًا وتوجيهًا ودراسةً

إعداد

عمار عبدالسلام نوح

الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

٢٠٢٤م

دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى وأثرها في القراءات القرآنية من أول
سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة: جمعًا وتوجيهًا ودراسةً

إعداد

عمار عبدالسلام نوح

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في معارف الوحي والتراث

قسم دراسات القرآن والسنة

كلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية

الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

فبراير ٢٠٢٤ م

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى بيان أثر دلالة زيادة المبنى على المعنى في القراءات القرآنية الفرشيّة، التي اختلفت بنية كلمتها مع القراءة الأخرى في نفس الكلمة، أو التي تتحول وزنها إلى معنى أقوى منها، وذلك من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة. كما تهدف إلى إبراز وجه التكامل الدلالي بين القراءات القرآنية، ومعرفة فائدة تكرار القراءة في نفس الكلمة بالزيادة في وزن الكلمة، أو بتحويلها إلى وزن آخر يؤدي إلى زيادة في المعنى، وذلك للكشف عن غرض تلك الزيادة؛ إذ أنها ليست تحصيل الحاصل. واعتمدت الدراسة على المنهجين: الاستقرائي لجمع القراءات المتعلّقة بالموضوع من كتب القراءات وتوجيهها وكتب التفسير ومعاني القرآن وإعرابه وغير ذلك، ثم المنهج التحليلي، وذلك بقراءة النصوص المتعلّقة بالبحث مع تحليلها ومناقشتها للوصول إلى النتائج، وقد بلغ عدد الكلمات الفرشيّة التي تمّ دراستها في هذا البحث مائة وإحدى عشرة قراءة، وتوصل البحث إلى جملة من النتائج من أبرزها: أنّ العلاقة بين توجيه القراءات القرآنية والقراءات ذاتها، علاقة تكاملية قوية، يكمل أحدهما الآخر. وأنّ تعدّد القراءة في كلمة واحدة، لا يحدث التناقض في المعنى والدلالة بأي حال من الأحوال، وليس من قبيل تحصيل الحاصل أو حشو في الكلام، أو تكراراً ليس له فائدة، بل يكون لغرض بديع ونكتة بلاغية يدركها من تعمّق في اللغة وأمعن النظر فيها. وأنّ أثر دلالة زيادة المبنى على المعنى في القراءات، قد يكون بتأكيد المعنى والمبالغة، أو يكون توضيحاً وتفسيراً للمعنى، أو يكون بإنشاء معنى جديد، يشمل معنى القراءة الأخرى في الكلمة، أو يكون بتغيير معنى الكلمة إلى معنى آخر. واختتمت الدراسة بتوصيات أهمها: دعوة الباحثين المختصّين لإكمال هذا البحث في هذا المضمار، وأنّ لتوجيه القراءات مجالات بحثية تصلح الكتابة فيها. كما أوصت الدراسة بإنشاء خطة لتعليم طلاب الدراسات القرآنية مبادئ علم التوجيه لما له أهمية كبيرة في فهم القرآن الكريم وبيان أثره وإعجازه وهداياته ومقاصده.

ABSTRACT

This study aims to explain the effect of increasing the letters of a word in the Qur'an that often happens due to divergence in the Qur'anic Recitations styles (Qiraat), whose lexical structure differs from the other Recitations styles on the same word or that transforms its structures into a meaning stronger than it, from the beginning of Surat Al-Fatihah to the end of Surat Al-Taubah. It also aims to highlight the face of semantic integration between the Quranic Recitations and knowing the benefit of repeating the recitation styles in the same word by increasing the lexical structure of the word or by converting it to another weight that leads to an increase in the meaning to detect the purpose of the increment, because it is not a mere repetition. The study relied on two approaches: the Inductive which collects the Qur'anic Recitations styles (Qiraat) related to the subject in the books of Quranic Recitations styles and its explanation, and the books of Qur'an exegesis, the books of Qur'an lexicology, and others. The second approach is the analytical method, which involves reading the texts related to the research with their analysis and discussion to conclude. The number of words studied in this research is one hundred and eleven places. Hence, the research arrived at a number of findings, the most important of which are: The relationship between directing the Quranic Recitation and the recitation themselves is a very strong complementary relationship, as one complements the other. The multiplicity of reciting modes in one word does not cause a contradiction in meaning in any way. Moreover, it is not merely obtaining the tautology in the speech or repetition that has no benefit. However, rather, it is for a wonderful purpose and an in-depth rhetoric that is only understood by those who delve into the language and carefully consider it. The effect of increasing the letters of a word on the meaning in the recitation styles may be by confirming the meaning and emphasis, or by clarifying and interpreting the meaning, or by creating a new meaning that contains the meaning of the other recitation style in the word, or by changing the meaning of the word to another meaning. The study concludes with some recommendations. The most important ones are inviting specialized researchers to build on the current study's findings. The study also recommends teaching students of Quranic studies the principles of directing the meaning of the recitation of the Quran (Qiraat), which is of great importance in understanding the Glorious Quran and explaining its impact, miracles, guidance, and purposes.

APPROVAL PAGE

The thesis of Ammar Abdussalam Nuhu has been approved by the following:

Nashwan Abdou Khaled
Supervisor

Radwan Jamal Yousef Elatrash
Co-Supervisor

Dr. Sofiah Binti. Samsudin
Internal Examiner

Prof. Dr. Khairul Anuar Mohamad
External Examiner

Prof. Dr. Akram M Z M Khedher
Chairman

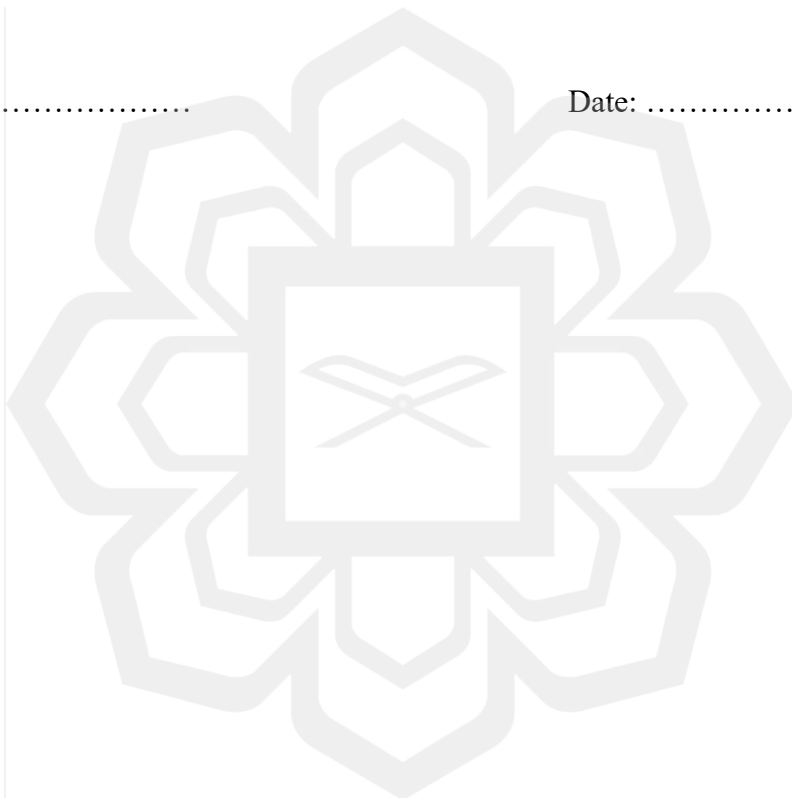
DECLARATION

I hereby declare that this thesis is the result of my own investigations, except where otherwise stated. I also declare that it has not been previously or concurrently submitted as a whole for any other degrees at IIUM or other institutions.

Ammar Abdussalam Nuhu

Signature:

Date:



إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠٢٣ م محفوظة ل: عمار عبدالسلام نوح

دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى وأثرها في القراءات القرآنية من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة: جمعًا وتوجيهًا ودراسةً

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل وبأي صورة (آلية كانت أو إلكترونية أو غيرها) بما في ذلك الاستنساخ أو التسجيل، من دون إذن مكتوب من الباحث إلا في الحالات الآتية:

- ١- يمكن للآخرين اقتباس أية مادة من هذا البحث غير المنشور في كتاباتهم بشرط الاعتراف بفضل صاحب النص المقتبس وتوثيق النص بصورة مناسبة.
- ٢- يكون للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ومكتبتها حق الاستنساخ (بشكل الطبع أو بصورة آلية) لأغراض مؤسساتية وتعليمية، ولكن ليس لأغراض البيع العام.
- ٣- يكون لمكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا حق استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات ومراكز البحوث الأخرى.

أكد هذا الإقرار: عمار عبدالسلام نوح

التوقيع:

التاريخ:

يسرني أن أتشرّف بإهداء هذا البحث المتواضع إلى والديّ الكريمين حفظهما الله ومتّعهما بالصحة والعافية، وأطال عمرهما وبقائهما على البرّ والتقوى.

وأهديه إلى أسرتي الكريمة؛ لوقوفهم معي في إنجاز هذا البحث المتواضع بكل ما عندهم من العطاء والدعاء.

وإلى فضيلة شيعي وأستاذي المربيّ الذي حفظت القرآن عنده الشيخ أبوبكر أحمد أبوبكر حفظه الله تعالى.

وكذلك أهديه إلى شيعي المربيّ الذي قرأت عليه القراءات العشر من طريق الشاطبية والدرّة فضيلة الشيخ فرج محمد راتب السيّد حفظه الله تعالى ومتّعه بالصحة والعافية.

وكما أهديه أيضًا إلى شيعي فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور أحمد مبارك محمود المغربي، الذي قرأت عليه القراءات العشر من طريق الطيبة حفظه الله تعالى ومتّعه بالصحة والعافية.

وهذا البحث المتواضع هديّة إلى كل من قرأت عليه القرآن الكريم أو استفدت منه شيئًا عن القرآن الكريم من قراءته وتفسيره وغير ذلك.

وهديّة أيضًا إلى جميع شيوخ وزملائي في مراحل التعليم، وإلى جميع حفظة كتاب الله تبارك وتعالى.

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والطيبات، القائل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إِبْرَاهِيم: ٧]، فاللهم لك الحمد والشكر على نعمة إكمال هذا البحث وغيرها من النعم، التي لا تعد ولا تحصى. والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين نبينا وحبينا محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه. أما بعد!

فأشكر الله تعالى الذي بمنّته وكرمه يسّر إكمال هذا البحث في خيرٍ وعافية، ثم أشكر والديّ الكريمين حفظهما الله ومتّعهما بالصحة والعافية، الذّين وقفوا معي في جميع مراحل الحياة، وآثرا تعليمي على كل ما عندهما من الجدّ والاستطاعة، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]. وأشكر أهلي وإخواني وأصدقائي جميعاً لوقوفهم معي في مراحل التعليم.

وأخصّ بالشكر والعرفان فضيلة الدكتور نشوان عبده خالد حفظه الله تفضّله عليّ بقبول إشراف هذه الرسالة، الذي وقف معي بإرشادات وتوجيهات وملاحظات، فأخذت من وقته الكثير الكثير حتى اكتملت الرسالة، جعل الله ذلك في ميزان حسناته، وجزاه الله عنيّ خيراً. وأتقدّم بجزيل الشكر أيضاً لمشرف الثاني فضيلة الأستاذ المشارك الدكتور رضوان جمال الأطرش حفظه الله، الذي استفدت منه بتوجيهات دقيقة وتصويبات طيبة فجزاه الله خيراً.

كما لا أنسى أن أشكر قسم دراسات القرآن والسنة خاصة وجميع منسوبين إليه، وكلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية عامة، ثم الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، التي درست فيها لمدة سنوات، فجزاهم الله خيراً وبارك فيهم ووفقهم لما يحب ويرضى. والشكر موصول لكل من أعان وساهم في إنجاز هذه الرسالة ونجاحها، فجزى الله الجميع خيراً وجعل ذلك في ميزان حسناتهم، والله أسأل التوفيق والقبول، إنّه ولي ذلك والقادر عليه.

فهرس محتويات البحث

ب	ملخص البحث
ج	ملخص البحث بالإنجليزية
د	صفحة القبول
هـ	صفحة التصريح
و	الإقرار بحقوق الطبع
ز	الإهداء
ح	الشكر والتقدير
ط	فهرس محتويات البحث

١	الفصل الأول: خطة البحث وهيكله العام
١	المقدمة
٤	مشكلة البحث
٦	أسئلة البحث:
٧	أهداف البحث
٧	أهمية البحث
٨	حدود البحث
٨	منهج البحث
٩	الدراسات السابقة:

الفصل الثاني: مفهوم علم القراءات والتوجيه والعلاقة بينهما، ومفهوم دلالة الزيادة

١٤	في مبنى الكلمة، ومعناه في القراءات وأهميتها، وأثر علم الدلالة في القراءات
١٤	التمهيد

المبحث الأول: تعريف علم القراءات وأهميته وشروط القراءة الصحيحة	١٥
المبحث الثاني: تعريف علم التوجيه وأهميته	٢٨
المبحث الثالث: علاقة علم التوجيه بالقراءات	٣٥
المبحث الرابع: تعريف الدلالة لغةً واصطلاحًا	٣٩
المبحث الخامس: تعريف المبنى والمعنى لغةً واصطلاحًا	٤١
المبحث السادس: أهمية الدلالة وأثرها عند اللغويين في زيادة المبنى	٤٤
المبحث السابع: أثر الدلالة في علوم القراءات	٥١
خلاصة الفصل	٥٥

الفصل الثالث: أثر دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى في القراءات القرآنية في سورة

الفاتحة والبقرة وآل عمران	٥٦
التمهيد	٥٦
المبحث الأول: سورة الفاتحة	٥٧
المبحث الثاني: سورة البقرة	٦١
المبحث الثالث: سورة آل عمران	١٢٠
خلاصة الفصل	١٣٨

الفصل الرابع: أثر دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى في القراءات القرآنية في سورة

النساء والمائدة والأنعام	١٣٩
التمهيد	١٣٩
المبحث الأول: سورة النساء	١٤٠
المبحث الثاني: سورة المائدة	١٦١
المبحث الثالث: سورة الأنعام	١٨٠
خلاصة الفصل	٢١٤

الفصل الخامس: أثر دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى في القراءات القرآنية في

سورة الأعراف والأنفال والتوبة..... ٢١٥

التمهيد ٢١٥

المبحث الأول: سورة الأعراف ٢١٦

المبحث الثاني: سورة الأنفال ٢٥١

المبحث الثالث: سورة التوبة ٢٧٢

خلاصة الفصل ٢٧٨

الخاتمة ٢٨٠

نتائج البحث ٢٨٠

التوصيات ٢٨٤

قائمة المصادر والمراجع ٢٨٦

الكتب: ٢٨٦

الرسائل الجامعية: ٣٠٣

الدوريات: ٣٠٤

الفصل الأول

خطة البحث وهيكله العام

المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عَمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النِّسَاء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأَحْزَاب: ٧٠].

أمّا بعد!

فإنّ من توفيق الله سبحانه وتعالى للعبد أن يوفّقه ويشغله لطلب العلم؛ إذ هو من أهمّ ما يسعى إليه الإنسان في هذه الحياة ويجاهد نفسه من أجله؛ لأنّه به قوام الحياة السعيدة والتقدّم والرفق في كل جوانب الحياة ومصالحها، وأفضله علم الشرعي، لما فيه من صلاح للفرد والأمة وأمنها واستقرارها، فهو من الأعمال التي يتقرّب بها المرء إلى الله تعالى إذا أخلص قصده في طلبه.

ومن أخصّ العلوم الشرعيّة علم كتاب الله تبارك وتعالى؛ لأنه كلامه، وفضل كلام الله على غيره كفضل الله تبارك وتعالى على من سواه، وقد تكفّل حفظ كتابه بنفسه ولم يكله إلى أحد كما قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحِجْر: ٩]، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٢]، فهو معجزة خالدة لنبينا محمد ﷺ، فله الحمد والمّنة.

وإنّ علماء الأمة سلفها وخلفها اعتنوا بخدمة القرآن الكريم وحفظه من بدء نزوله إلى يومنا هذا، ولم يقصّروا في كل ما يتعلّق به، فكتبوا فيه مؤلفات كثيرة، تشمل جميع جوانبه من حيث تلاوته وقراءاته وتجويده ورسمه وعدّ آياته وتفسيره ومعانيه ومحكمه ومتشابهه وبلاغته وإعجازه دلالاته اللفظية والمعنوية وغير ذلك من ما يتعلّق بالقرآن، فرحمهم الله تعالى رحمةً واسعةً، وجزاهم عنّا خيرًا، وجمعنا وإياهم في الفردوس الأعلى.

ومن جملة ما ألفوا فيه علم توجيه القراءات القرآنية والاحتجاج بها، من حيث المعنى والتفسير واللغة وغير ذلك من موارد توجيه القراءات القرآنية. وإنّ توجيه القراءات له اتجاهات عديدة وموارد كثيرة، يُستقى منها المعاني واللّطائف والدلالات^١، وذلك يساعد على فهم كتاب الله - تبارك وتعالى - ومعرفة دقائقه وغوامضه، التي لا يعرفها ويفهم كنهها إلا الذين لهم عناية خاصة بتوجيه القراءات القرآنية.

ومن هذه الاتجاهات والموارد، الاتجاهات اللغوية والصرفية، التي تتعلّق ببنية الكلمة من حيث الزيادة والنقصان أو التخفيف والتثقيل في الكلمة نفسها، فهذه الزيادة لها دلالة معنوية، فالدلالة هي: دراسة المعنى، وقيل: بأنّها العلم الذي يدرس المعنى^٢، ومن هنا يسعى هذا البحث إلى دراسة هذه الدلالة، التي أفادتها الزيادة على القراءة في الكلمة نفسها، وكما ذكر أهل اللّغة: أنّ اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان، ثم نُقِلَ إلى وزن آخر أكثر منه، فلا بدّ أن يتضمّن من المعنى أكثر مما كان يتضمّنه أولًا؛ إذ أنّ الألفاظ أدلّة على المعاني، وأمثلة للإبانة عنها، فإذا زيد في الألفاظ أوجب القسمُ زيادة المعاني بقدر ما زيد في الألفاظ، وهذا المقصود عند أهل اللغة بقوة اللفظ لقوة المعنى، أو زيادة المبني دلالة على زيادة المعنى. فإذا أرادوا كثرة العشب قالوا "اعشوشب".

وكذلك قدّر واقتدّر، فمعنى "اقتدّر" أقوى من معنى "قدر"، قال الله تعالى: ﴿فَاحْذَرُوهُمْ أَلَيْسَ غَزِيرٌ مَّقْتَدِرٌ﴾ [القَمَر: ٤٢]، ف"مقتدر" ههنا أبلغ من "قادر"، وإنّما عدل إليه للدلالة على تفخيم الأمر، وشدّة الأخذ الذي لا يصدر إلا عن قوة الغضب، أو للدلالة

^١ ينظر: الشنقيطي عبد الرحيم بن عبد الله بن عمر، "موارد توجيه القراءات القرآنية" مجلة الجامعة الإسلامية، (قسم

القراءات، كلية القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة)، العدد ١٥٢، ص ١١٥.

^٢ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، (القاهرة: عالم الكتب، ط ٥، ١٩٩٨م)، ص ١١.

على بسطة القدرة، فإنَّ المقتدر أبلغ في البسطة من القادر، وذاك أنَّ "مقتدر" اسم فاعل من "اقتدر"، و"قادر" اسم فاعل من "قدر"، ولا شك أنَّ "افتعل" أبلغ من "فعل"^٣.

ومما ينتظم بهذا المسلك في القراءات ما تتعلّق ببنية الكلمة من حيث الزيادة والنقصان أو التخفيف والتثقيل، فيأثّر ذلك في معاني القراءات القرآنية: قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]، حيث قرأ عاصم^٤ وحمة^٥ والكسائي^٦ وخلف البزار^٧ ﴿يَكْذِبُونَ﴾ بفتح في الياء وتخفيف في الذال، وقرأه الباقر^٨ ﴿يَكْذِبُونَ﴾ بياء مضمومة وتشديد في الذال^٨. فقراءة ﴿يَكْذِبُونَ﴾ بالتخفيف فإنها من الكذب، أي: بكذبهم. وأمّا قراءة ﴿يَكْذِبُونَ﴾ بالتشديد فإنها من التكذيب، وهو نسبة الغير إلى الكذب.

وأما التكامل الدلالي بين القراءتين وأثره على قاعدة "قوة اللفظ لقوة المعنى"، أو "زيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى" أنَّ قراءة ﴿يَكْذِبُونَ﴾ بالتشديد أبلغ؛ لأنَّ "كذب" على وزن "فعل" فهو من صيغ المبالغة، فزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، وفيها تكامل دلالي واضح؛ لأنّها تجمع معنى الكذب والتكذيب، فكل مكذب كاذب، وليس كل كاذب مكذب؛ لأنّه قد

^٣ ينظر: نصر الله بن محمد الشيباني، ابن الأثير الكاتب، أبو الفتح ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، د.ط، ١٤٢٠هـ)، ج ٢، ص ٥٦.

^٤ هو عاصم بن أبي النجود الأسدي مولاهم الكوفي القارئ الإمام أبو بكر، أحد قراء السبعة، المتوفى سنة (١٢٧هـ). ينظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، (مصر: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص ٥١٠.

^٥ هو حمزة بن حبيب بن عمارة، أبو عمارة الكوفي مولى آل عكرمة بن ربيعي التميمي الزيات، أحد القراء السبعة، المتوفى سنة (١٥٦هـ). ينظر: المصدر نفسه، ص ٦٦.

^٦ هو علي بن حمزة، أبو الحسن الكسائي الأسدي مولاهم، الكوفي المقرئ النحوي، أحد القراء السبعة، المتوفى برزويه سنة (١٨٩هـ)، ينظر: المصدر نفسه، ص ٧٢.

^٧ هو خلف بن هشام، أبو محمد البغدادي المقرئ البزار، أحد الأعلام، أحد قراء العشر، المتوفى سنة (٢٢٩هـ). ينظر: المصدر نفسه، ص ١٢٣.

^٨ أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري أبو بكر، المبسوط في القراءات العشر تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، (دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٨١م)، ص ١٢٧. ومحمد بن محمد بن يوسف شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، د.ت)، ج ٢، ص ٢٠٧.

يَكْذِبُ الْإِنْسَانُ وَلَا يَكْذِبُ أَحَدًا، وَأَنَّهُ مَن كَذَّبَ رِسُولَ اللَّهِ فَقَدْ كَذَّبَ اللَّهَ تَعَالَى، فلما كانت القراءة بالتشديد تجمع المعنيين جميعًا كانت أشمل وأبلغ في الدلالة على كذبهم^٩، وهذه الزيادة على وزن الفعل هي التي زادت في معنى القراءة.

وإنّ هذا البحث يسعى في جمع بعض القراءات العشر المتواترة الفرشية من خلال كتب القراءات والتوجيه والتفسير، وكذلك كتب معاني القرآن وغيرها، ثم توجيه القراءة وعزوها إلى القراء مع بيان وجه التكامل الدلالي وأثره وفق قاعدة: "زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى" وقاعدة "قوة اللفظ لقوة المعنى" على القراءات القرآنية من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة جمعًا وتوجيهًا ودراسة بعون الله وتوفيقه.

وقد وقع اختياري على هذا البحث الذي سمّيته بـ "دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى وأثرها في القراءات القرآنية من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة جمعًا وتوجيهًا ودراسة"؛ ليكون موضوع بحثي في مرحلة الدكتوراه راجيًا التوفيق من الله وتعالى. ويرجع أسباب اختيار هذا الموضوع دون غيره؛ لأهميته وتعلّقه بالقراءات القرآنية ودلالاتها المعنوية، التي تساعد الإنسان على فهم تفسير القرآن الكريم بدقة أكثر؛ ولتعلّقه بعلوم أخرى كما يتضح ذلك في الأهمية.

مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في وجود تداخل يظهر أثناء تكرار الكلمة القرآنية وقراءتها بأوجه القراءات ورواياتها، وتتجلى هذه الإشكالية في أمرين هما:
أولاً: استشكال بعض الناس فائدة تكرار القراءة في نفس الكلمة بالزيادة في بنية الكلمة، ما الذي تفيده هذه الزيادة؟ أهى تأكيد المعنى أم تحصيل الحاصل، أم لها غرض وفائدة؟ فقد استشكل أبو عبيد فائدة تكرار اللفظ في بعض المواضع^{١٠}.

^٩ ينظر: أحمد بن عمار المهدي أبو العباس، شرح الهداية، تحقيق: الدكتور حازم سعيد حيدر، (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٥هـ)، ج ٢، ص ١٥٥.

^{١٠} ففي نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، قرأ شعبة وحمة بقطع الهمزة ممدودة وكسر الذال ﴿فَأْذَنُوا﴾، وقرأ الباقر بفتح الذال ووصل الهمزة ﴿فَأْذَنُوا﴾، ينظر: ابن مهران، المبسوط في

ثانيًا: استشكال بعض العلماء من المفسرين واللغويين وغيرهم بعض القراءات حتى طعنوا فيها، كما حصل ذلك من أبي جعفر الطبري^{١١}، وأبي عبيد^{١٢}. إضافة إلى ما سبق، الرغبة في جمع ودراسة ما يتعلق بأحد موارد توجيه القراءات الذي يستقى من دلالتها المعنى والتكامل بين القراءات القرآنية في مكان واحد^{١٣}. فيسعى هذا البحث في حل هذا الإشكال مع إبراز

القراءات العشر. ومن أمثلة ما استشكله أبو عبيد فائدة تكرار قراءة ﴿فَإِذْنُوا﴾، بقوله: "الاختيار القصر؛ لأنه خطاب بالأمر والتحذير، وإذا قال ﴿فَإِذْنُوا﴾ بالمد والكسر فكأن المخاطب خارج من التحذير". ينظر: ابن زنجلة، أبو زرعة، عبد الرحمن بن محمد، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، (بيروت: دار الرسالة، د.ط، د.ت) ص ١٤٨. واستبعد معناها أيضًا أبو حاتم كما قال مكي: "واستبعد أبو حاتم المد - أي قراءة ﴿فَإِذْنُوا﴾ - إذ الأمر فيه لغيرهم بالحرب، والمراد هم المخاطبون بترك الربا...". مكي بن أبي طالب، حمّوش بن محمد، أبو محمد، القيسي القيرواني ثم الأندلسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: محيي الدين رمضان، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ج ١، ص ٣١٨.

^{١١} عند قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩]، قرأ حمزة والكسائي وخلف وشعبة بتخفيف القاف ﴿عَقَّدْتُمُ﴾، وابن ذكوان كذلك إلا أنه بالألف ﴿عَاقَدْتُمُ﴾، وقرأ الباقر بالتشديد من غير ألف ﴿عَقَّدْتُمُ﴾. ينظر: ابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٢٥٥. فقال ابن جرير: "وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ بتخفيف القاف، وذلك أنّ العرب لا تكاد تستعمل فعلت في الكلام، إلا فيما يكون فيه تردد مرة بعد مرة... وإذا كان ذلك كذلك لم يكن لتشديد القاف من عقدتم وجه مفهوم". محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تفسير الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، (الرياض: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ج ٨، ص ٦١٧.

^{١٢} كما ذكر أبو جعفر النحاس: "أنّ أبا عبيد اختار قراءة ﴿وَعَدْنَا﴾ وأنكر قراءة ﴿وَأَعَدْنَا﴾ وقال: "لأن المواعدة إنما تكون من البشر، فأما الله جلّ وعزّ فإنما هو المنفرد بالوعد والوعيد، على هذا وجدنا القرآن كلّ، كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾...". أبو جعفر النحاس، أحمد بن محمد، النحوي، إعراب القرآن. تحقيق: عبد المنعم خليل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ)، ج ١، ص ٥٢.

^{١٣} وقد أشار الدكتور عبدالرحيم الشنقيطي في بحث له منشور أنّ توجيه القراءات له موارد كثيرة، ومنها المعنى والدلالة، التي تشير إليه القراءة، ويستقى منهما معنى القراءة ودلالاتها، تقوية لها بموافقة لفظها للمعنى المراد والدلالة المقصودة ومناسبتها للسياق. ينظر: عبدالرحيم بن عبد الله بن عمر الشنقيطي، "موارد توجيه القراءات القرآنية" مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة، العدد ١٥٢، ص ١١٥؛ لذا أحبيت أن أجمع بعض القراءات المتعلقة بهذا في هذا البحث مع بيان وجه التكامل الدلالي بين القراءات القرآنية المتواترة وأثر ذلك على قاعدة: "زيادة المبني تدل على زيادة المعنى" أو "قوة اللفظ لقوة المعنى".

أثر دلالة الزيادة ووجه التكامل الدلالي بين القراءات القرآنية^{١٤} المتعلقة ببنية الكلمة من حيث الزيادة والنقصان، التي قد تشكل على الذهن في وجه تكرار القراءة مع الزيادة في بنية الكلمة ووزنها، ومن هنا يسعى البحث لحل هذه الإشكاليات وبيانها بياناً يدرس توجيه القراءة ويبين أثر تلك الزيادة.

أسئلة البحث:

يسعى البحث إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. ما مفهوم علم القراءات والتوجيه والعلاقة بينهما، وما مفهوم دلالة الزيادة في مبنى الكلمة، ومعناه في القراءات، وأهميتها، وأثر علم الدلالة في القراءات؟
٢. ما أثر دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى في القراءات القرآنية في سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران؟
٣. ما أثر دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى في القراءات القرآنية في سورة النساء والمائدة والأنعام؟
٤. ما أثر دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى في القراءات القرآنية في سورة الأعراف والأنفال والتوبة؟

^{١٤} وقد قام الدكتور محمد قاسم بجزء من هذا البحث فاقصر على سورة المائدة فقط كما هو في عنوان البحث، التكامل الدلالي للصيغ الصرفية في القراءات العشر القرآنية دراسة صرفية دلالية سورة المائدة نموذجاً. مقالة منشورة من جامعة الكويت العدد ٤٠، <http://www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/aass/homear.aspx?id=8&Root=yes&authid=1391#>، شوهذ بتاريخ ٢٠٢١/٥/٣١م، تناول هذا البحث أثر التكامل الدلالي للصيغ الصرفية في القراءات العشر القرآنية في سورة المائدة فقط، وأثر هذا التكامل الدلالي في معانٍ إضافية توصل للمعنى الشامل لهذه المواضع، وتزيد من إعجاز النسق القرآني في مبانيه ومعانيه، وإضافتي لهذا البحث أن بحثي يكون من بداية سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة.

أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١. بيان مفهوم علم القراءات والتوجيه والعلاقة بينهما، وبيان مفهوم دلالة الزيادة في مبنى الكلمة، ومعناه في القراءات، وأهميتها، وأثر علم الدلالة في القراءات.
٢. دراسة أثر دلالة زيادة المبنى على المعنى في القراءات القرآنية وتوجيهها في سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران.
٣. تحليل أثر دلالة زيادة المبنى على المعنى في القراءات القرآنية وتوجيهها في سورة النساء والمائدة والأنعام.
٤. مناقشة أثر دلالة زيادة المبنى على المعنى في القراءات القرآنية وتوجيهها في سورة الأعراف والأنفال والتوبة.

أهمية البحث

تظهر أهمية هذا البحث في الآتي:

١. تعلّقه بعلم القراءات وصلته الوثيقة بكتاب الله تعالى، وشرف العلم بشرف متعلّقه.
٢. إبراز أثر دلالة الزيادة في مبنى الكلمة على المعنى في القراءات، وإظهار وجه التكامل الدلالي في تعدد القراءات القرآنية ودلالاتها.
٣. أنّ البحث في هذا الموضوع يفيد الباحثين والعاملين في حقل القرآن الكريم والقراءات ويحجب عن تساؤلاتهم حول دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى.
٤. كون علم توجيه القراءات يستقى من مادته علومًا كثيرةً وموارد عديدةً، كعلوم اللغة والتفسير وغيرهما، مما يتيح للباحث الرجوع إلى مؤلفات كثيرة، والاستفادة من علوم عدة.
٥. كون هذا الموضوع أحد العلوم الهامة لفهم القرآن الكريم، وبيان معاني القراءات، والكشف عن بلاغتها وإعجازها والدفاع عنها، كما أشار لذلك الزّركشي - رحمه الله تعالى - بقوله: "معرفة توجيه القراءات وتبيين وجه ما

ذهب إليه كل قارئ وهو فنّ جليل، وبه تُعرف جلاله المعاني وجزالتها وقد
اعتنى الأئمة به وأفردوا فيه كتباً...^{١٥}.

حدود البحث

يقتصر هذا البحث - بإذن الله تعالى - في تناول القراءات العشر المتواترة الفرشية^{١٦}، التي
اختلفت بنية كلماتها مع القراءة الأخرى في نفس الكلمة من حيث الزيادة بالألف أو بالثقل
والتخفيف التي تتعلق بالمعنى، أو القراءة التي تحوّل وزنها إلى الأقوى، من أول سورة الفاتحة إلى
آخر سورة التوبة، وقد تتبعنا وأحصيت ذلك فوجدت مئة وإحدى عشرة قراءةً فرشيةً.

منهج البحث

قام هذا البحث على منهجين أساسيين للوصول إلى نتيجة واضحة وأسس صحيحة بإذن الله
تعالى، وهذين المنهجين هما:

المنهج الاستقرائي: وهو المنهج الذي يقتضيه طبيعة البحث، حيث سيقوم الباحث
بجمع القراءات المتواترة في الفرش كما هو في حدود البحث من الفاتحة إلى آخر سورة التوبة.

المنهج التحليلي: وهو المنهج الذي يقوم بدراسة المواد العلمية ومناقشتها وفق ترتيبها
في القرآن وتحليلها؛ ليتوصل الباحث بعدها إلى نتائج واضحة وتوصيات تخدم الجوانب المتعلقة
بالموضوع وفق الإجراءات التالية:

^{١٥} بدر الدين محمد بن عبد الله أبو عبد الله الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر:
دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط ١، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م)، ج ١، ص ٣٣٩.

^{١٦} ويقصد بالفرش الحكم المنفرد غير المطرد، وهو ما يذكر في السورة من كيفية قراءة كل كلمة قرآنية، يختلف فيها القراء،
مع عزو كل قراءة إلى صاحبها. ويسميه البعض بالفروع مقابلة للأصول. ينظر: عبد الحليم بن محمد الهادي قابه،
القراءات القرآنية تاريخها ثبوتها وحجتها وأحكامها، تقديم: الأستاذ الدكتور مصطفى سعيد الخن، (بيروت: دار
الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٩م)، ص ٢٧.

- كتابة الآيات بنمط مغمّق (Bold) وذلك في الفصل الأول والثاني. وتعميق الكلمة التي فيها محل الشاهد من القراءة فقط في الفصل: الثالث والرابع والخامس لتمييز عن غيرها.
- توثيق القراءات من مصادرها الأصلية وعزوها إلى القراء.
- توجيه القراءة ودراستها وعرضها على أقوال العلماء ومناقشتها مع بيان وجه التكامل بين القراءات.
- توثيق النصوص الواردة في البحث.
- تخريج الأحاديث الواردة في البحث ما لم يكن في الصحيحين.
- ترجمة الأعلام بذكر الاسم وسنة الوفاة عند أول ورودها طلباً للاختصار.

الدراسات السابقة:

بعد البحث عن هذا الموضوع في الرسائل العلمية والمقالات المنشورة والمواقع الإلكترونية المَعْنِيَّة، وسؤال بعض المتخصصين في هذا العلم، لم أقف على مَنْ أفرد بحثاً في هذا الموضوع بهذه الطريقة نفسها، سوى ما وقفت عليه من البحوث والرسائل القريبة لهذا الموضوع أو التي أشارت إليه، وهي ما بين مصدر وبحوث أكاديمية ومقالات منشورة، رتبّها حسب التاريخ وعلاقتها بالموضوع إلا المصدرَيْن الأخيرَيْن: كالاتية:

مقالة بعنوان: **دلالة المبني على المعنى في الآيات القرآنية المتماثلة دراسة تحليلية**، للدكتوراه أميمة يسن أحمد مهران^{١٧}، وهي مقالة منشورة سنة ٢٠٢٠م في مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود من جامعة الأزهر، تناول هذا البحث الآيات القرآنية المتماثلة مع غيرها

^{١٧} أميمة يسن أحمد مهران، "دلالة المبني على المعنى في الآيات القرآنية المتماثلة دراسة تحليلية"، مجلة كلية اللغة العربية، (كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، جامعة الأزهر مصر، العدد ٣٣، ٢٠٢٠م).

في موضع آخر برواية حفص^{١٨} فقط، وإضافتي على هذا البحث أنّ بحثي يكون في القراءات العشر المتواترة، وفي الكلمة نفسها التي ورد منها القراءة في نفس الموضع.

ومقالة أخرى بعنوان: **التكامل الدلالي للصيغ الصرفية في القراءات العشر القرآنية**

دراسة صرفية دلالية سورة المائدة نموذجًا. للدكتور: محمد قاسم محمد حسين^{١٩}، وهي مقالة منشورة سنة ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م في مجلس النشر العلمي من جامعة الكويت، تناولت المقالة أثر التكامل الدلالي للصيغ الصرفية في القراءات العشر في سورة المائدة فقط، وأثر هذا التكامل الدلالي في معانٍ إضافية، توصل للمعنى الشامل لهذه المواضع، وتزيد من إعجاز النسق القرآني في مبانيه ومعانيه. وإضافتي على هذه المقالة أنّ بحثي يكون من بداية سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة، ويدرس كذلك دلالة الزيادة في مبنى الكلمة وأثرها على المعنى.

ومصدر بعنوان: **اتساع الدلالات في تعدّد القراءات القرآنية**، لمحمود عبد الكريم

مهنا وعيسى إبراهيم وادي^{٢٠} مصدر مطبوع سنة ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م. تناول هذا الكتاب القراءات العشر المتواترة، وذلك بعرض المعنى الإجمالي لكل آية ورد فيها القراءة، ثم ذكر وجوه القراءات والفرق بينها مع بيان دلالة تعدّد القراءات بالجمع بينها.

وإضافتي بحثي على هذا، إبراز أثر دلالة الزيادة في المبنى على معنى القراءة في نفس الكلمة من حيث الزيادة بالألف أو بالثقل والتخفيف التي تتعلق بالمعنى، أو التي تحوّل وزنها إلى الأقوى، من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة مع ذكر الشاهد من الشاطبية والدرّة.

^{١٨} هو حفص بن سليمان بن المغيرة، أبو عمر الأسدي الكوفي الغاصري البزاز، قرأ على عاصم، ونزل بغداد فأقرأ بها وجاور بمكة فأقرأ أيضًا بها، وهو أعلم الناس بقراءة عاصم. المتوفى سنة (١٨٠هـ). ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج ١، ص ٢٥٤.

^{١٩} محمد قاسم محمد حسين الدكتور، "التكامل الدلالي للصيغ الصرفية في القراءات العشر القرآنية دراسة صرفية دلالية سورة المائدة نموذجًا". **مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية**، (مجلس النشر العلمي: جامعة الكويت، العدد ٤٠، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م). ينظر الرابط <http://www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/aass/homear.aspx?id=8&Root=yes&authid=1391#>

شوهد بتاريخ: ٢٠٢١/٥/٣١م.

^{٢٠} مهنا محمود عبد الكريم وعيسى إبراهيم وادي، **اتساع الدلالات في تعدّد القراءات القرآنية**، (لبنان: مؤسسة الرسالة ناشرون، ط ١، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م).

ومصدر آخر بعنوان: الإعجاز في القراءات القرآنية والجمع بينهما، لمحمد إبراهيم سنبل وزملاءه^{٢١} مصدر مطبوع سنة ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م. وهذا الكتاب تناول القراءات العشر المتواترة، وذلك بتفسير مختصر لآية التي ورد فيها القراءة، ثم توجيه القراءة وجمعها مع القراءة الأخرى مع بيان وجه الإعجاز.

والذي يضيف عليه بحثي، عزو القراءة إلى القراء مع ذكر الشاهد من الشاطبية والدرّة، وكذلك يتميّز عنه بحثي بكونه يسعى في دراسة أثر دلالة الزيادة في المبنى على معنى القراءة في نفس الكلمة، من حيث الزيادة بالألف أو بالتشديد والتخفيف المتعلق بالمعنى، أو التي تحوّل وزنها إلى الأقوى من سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة.

وعثرت على مقالة بعنوان: إشكالية زيادة المبنى ودلالاتها على زيادة المعنى دراسة تطبيقية على السين وسوف في القرآن الكريم، للدكتور محمد ذنون يونس فتحي الراشدي^{٢٢}، بحث منشور سنة ٢٢/١/٢٠٠٩م في مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية من جامعة الموصل بالعراق. تناول هذا البحث إشكالية زيادة المبنى ودلالاتها على زيادة المعنى والعلاقة بين اللفظ والمعنى مع دراسة تطبيقية على السين وسوف في القرآن الكريم. وإضافة الباحث على هذا أنّ بحثه يكون في إبراز أثر زيادة المبنى على المعنى في القراءات القرآنية.

وكذلك مصدر بعنوان: معاني الأبنية في العربية، للدكتور فاضل صالح السامرائي^{٢٣}، مصدر مطبوع سنة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م. تناول هذا الكتاب معاني الأوزان وصيغ المبالغة في لغة العربية والفرق بينها من ناحية قوة المعنى والدلالة. وإضافتي لهذا البحث هو تطبيق هذه الأبنية على القراءات العشر الفرشية المتعلقة بالزيادة والنقصان أو الحذف والإثبات أو الذي تحوّل وزنه إلى أقوى منه، من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة.

^{٢١} سنبل محمد إبراهيم وزملاءه، الإعجاز في القراءات القرآنية والجمع بينهما، (طنطا: دار الصحابة، ١، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م).

^{٢٢} فتحي الراشدي، محمد ذنون يونس، "إشكالية زيادة المبنى ودلالاتها على زيادة المعنى دراسة تطبيقية على السين وسوف في القرآن الكريم"، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، (كلية التربية للبنات، جامعة الموصل بالعراق)، العدد ٤، ص ١٧٨ - ٢٠٧.

^{٢٣} فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية، (عمان: دار عمار - الأردن، ط ٢، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

ودراسة بعنوان: اختلاف البنية الصرفية في القراءات السبع من طريق الشاطبية توجيهه وأثره على المعنى لمنصور سعيد أحمد أبو راس^{٢٤}، رسالة ماجستير من جامعة أم القرى سنة ١٤٢٦هـ. تناول هذا البحث قواعد الميزان الصرفي واختلاف البنية الصرفية في القراءات السبع في الأسماء والأفعال مرتبة على الفصول والأبواب. وإضافتي على هذا أنّ بحثي يكون في القراءات العشر المتواترة مع إبراز أثر دلالة الزيادة في المبنى على المعنى من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة.

ودراسة أخرى بعنوان: صيغ المبالغة وطرائقها في القرآن الكريم دراسة إحصائية صرفية دلالية لكمال حسين رشيد صالح^{٢٥}، رسالة ماجستير من جامعة النجاح الوطنية بفلسطين سنة ٢٠٠٥م. تناول هذا البحث صيغ المبالغة في القرآن الكريم مفهوماً وطرائقها وأوزانها الواردة في القرآن، حسب السور المكية والمدنية دراسة إحصائية صرفية دلالية. والذي يضيفه الباحث على هذا أنّ بحثه يكون في القراءات الفرشية من أول الفاتحة إلى آخر التوبة. وكذلك مقالة منشورة بعنوان: موارد توجيه القراءات القرآنية، للدكتور: عبدالرحيم بن عبدالله بن عمر الشنقيطي^{٢٦}، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد (١٥٢). أشار هذا البحث إلى أنّ توجيه القراءات له موارد كثيرة، وذكر منها المعنى والدلالة التي تشير إليه القراءة، ويستقى منهما معنى القراءة ودلالاتها، تقوية لها بموافقة لفظها للمعنى المراد، والدلالة المقصودة ومناسبتها للسياق، وهذا البحث يسعى إلى إفراء أحد هذه الموارد وإبراز وجه التكامل الدلالي بين القراءات القرآنية.

^{٢٤} منصور سعيد أحمد أبو راس، اختلاف البنية الصرفية في القراءات السبع من طريق الشاطبية توجيهه وأثره في المعنى. (رسالة ماجستير، من كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة، ١٤٢٥/١٤٢٦هـ).

^{٢٥} كمال حسين رشيد صالح، صيغ المبالغة وطرائقها في القرآن الكريم دراسة إحصائية صرفية دلالية، (رسالة ماجستير، من كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، سنة ٢٠٠٥م).

^{٢٦} الشنقيطي عبدالرحيم بن عبدالله بن عمر، "موارد توجيه القراءات القرآنية" مجلة الجامعة الإسلامية، (قسم القراءات، كلية القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة)، العدد ١٥٢، ص ١١٥.

كما أنّ هناك مصدر مهم حول أثر علم القراءات في علوم اللغة العربية بعنوان: **القراءات وأثرها في علوم العربية**، للأستاذ الدكتور محمد سالم محيسن^{٢٧}، مصدر مطبوع سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. تطرّق هذا الكتاب في الباب الرابع القراءات الواردة في كلمة واحدة، التي كان سبب اختلاف فيها بنية الكلمة ووزنها، وإضافتي على هذا البحث أنّ بحثي يكون من بداية سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة مع إبراز أثر اختلاف بنية الكلمة في القراءة.

ودراسة بعنوان: **الأبنية الصرفية للأفعال ودلالاتها في اللغة العربية كتاب صحيح الأحاديث القدسية لأحمد رمضان أفمؤذجًا**، لقادري زينب^{٢٨}، رسالة ماجستير من جامعة الشهيد حمه لخضر بالجزائر سنة ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م. تناول هذا البحث الكشف عن تأثير المعاني بالمباني الذي يتبعه تغيير في المعنى في الأبنية الصرفية للأفعال خلال كتاب صحيح الأحاديث القدسية. والإضافة على هذا أنّ بحثي يكون في القراءات العشر المتواترة الفرشية. وكذلك وقفت على دراسة بعنوان: **القضايا الصوتية والدلالية في كتاب المحتسب لابن جني دراسة وصفية تحليلية في ضوء علم اللغة الحديث** للدكتوراه انتصار عثمان إبراهيم عثمان^{٢٩}، رسالة دكتوراه من جامعة أم درمان الإسلامية سنة ١٤٣١هـ/٢٠١٠م. وهذا البحث يعتني بالقضايا الصوتية والدلالية في كتاب المحتسب وغيره من كتب ابن جني على ضوء علم اللغة الحديث، فالباحث يميل إلى القراءات الشاذة؛ لأنّ المحتسب في توجيه القراءات الشاذة. وبحثي يكون في القراءات العشر المتواترة، ولا يخص كتابًا واحدًا.

والذي سيضيفه الباحث على هذه الدراسات كلها هو إبراز أثر دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى في القراءات العشر الفرشية، مع بيان وجه التكامل بين القراءات، من أول الفاتحة إلى آخر التوبة، مع ذكر شاهد القراءة من الشاطبية والدرّة وغير ذلك بإذن الله تعالى.

^{٢٧} محمد سالم محيسن، **القراءات وأثرها في علوم العربية**، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

^{٢٨} قادري زينب، **الأبنية الصرفية للأفعال ودلالاتها في اللغة العربية**، (رسالة ماجستير من قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الشهيد حمه لخضر، الجزائر، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م).

^{٢٩} انتصار عثمان إبراهيم عثمان، **القضايا الصوتية والدلالية في كتاب المحتسب لابن جني دراسة وصفية تحليلية في ضوء علم اللغة الحديث**، (رسالة دكتوراه في اللغة العربية، من جامعة أم درمان الإسلامية، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

الفصل الثاني

مفهوم علم القراءات والتوجيه والعلاقة بينهما، ومفهوم دلالة الزيادة في مبنى الكلمة، ومعناه في القراءات وأهميتها، وأثر علم الدلالة في القراءات

التمهيد

يقدم هذا الفصل تعريفًا عن المراد بالقراءات القرآنية، من حيث اللغة والاصطلاح، وطريقة معرفة القراءة الصحيحة وشروطها، وبيان أهمية هذه القراءات وفائدتها، والحكمة من اختلاف القراءات القرآنية.

ويتناول الكلام عن التوجيه في اللغة والاصطلاح، وأهمية علم التوجيه ومسمياته عند علماء التوجيه، وعلاقة علم التوجيه بالقراءات القرآنية. ثم يتطرق الكلام عن مفهوم الدلالة لغةً واصطلاحًا، وأثرها في زيادة المعنى عند أهل اللغة ودور مبنى الكلمة ووزنها الصرفي في زيادة المعنى. ويختتم الفصل بالكلام عن أثر الدلالة في زيادة المعنى في القراءات القرآنية بإذن الله تعالى، وبالله التوفيق.

ويشتمل هذا الفصل على سبعة مباحث، وهي الآتية:

المبحث الأول: تعريف علم القراءات وأهميته وشروط القراءة الصحيحة.

المبحث الثاني: تعريف علم التوجيه وأهميته.

المبحث الثالث: علاقة علم التوجيه بالقراءات.

المبحث الرابع: تعريف الدلالة لغةً واصطلاحًا.

المبحث الخامس: تعريف المبنى والمعنى لغةً واصطلاحًا.

المبحث السادس: أهمية الدلالة وأثرها عند اللغويين في زيادة المبنى.

المبحث السابع: أثر الدلالة في علوم القراءات.

المبحث الأول: تعريف علم القراءات وأهميته وشروط القراءة الصحيحة

يتناول هذا المبحث الكلام عن المراد بمفهوم القراءات، من حيث اللغة والاصطلاح، وطريقة معرفة القراءة الصحيحة وشروطها، وبيان أهمية القراءات وفائدتها، والحكمة من اختلاف القراءات القرآنية، فأقول مستعيناً بالله سبحانه وتعالى.

تعريف القراءات:

القراءات لغة: جمع قراءة على وزن "فَعَالَة"، من قرأ يقرأ قراءة، وهي مصدر قرأ، بمعنى: الجمع والضم، قرأ الشيء: جمعه وضمه، أي ضم بعضه إلى بعض، وقرأت الشيء قرآنًا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض، ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة سلاً قطّ، وما قرأت جنيئاً قطّ، أي لم تضم رحمها على ولد.

وقرأت الكتاب قراءةً وقرآنًا، أي جمعته، ومنه سُمِّيَ القرآن؛ لأنه يجمع السور فيضمها. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [الْقِيَامَةِ: ١٧]، أي جمعه وقراءته، ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [الْقِيَامَةِ: ١٨] أي قراءته^{٣٠}.

وأما في الاصطلاح علماء القراءات: فهي علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها معزواً لناقله^{٣١}.

وقيل: هي علم يُعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع^{٣٢}.

^{٣٠} ينظر: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، أبو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (الكويت: دار الهداية، د.ط، د.ت)، ج ١، ص ٣٧٠، فصل القاف، مادة (قرأ).

^{٣١} ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، (مصر: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص ٩.

^{٣٢} أحمد بن محمد بن أحمد الدمياطي، شهاب الدين الشهير بالبناء، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق: أنس مهرة، (لبنان: دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص ٦.

ولا خلاف بين التعريفين سوى التفصيل، وإن كان تعريف الأول أدق في الصياغة وأحكم في العبارة؛ لاختصاره وإحاطته بالمراد بالقراءات في عبارة موجزة.

وتسمى القراءة بالحرف في عهد النبوة^{٣٣} وما بعدها إلى جمع عثمان رضي الله عنه، يقال: حرف ابن مسعود وحرف أبي وهكذا، فكانوا يسمونها بالحرف، وبعد جمع عثمان رضي الله عنه عُرفت بالقراءة، يقال قراءة أهل المدينة وقراءة أهل مكة وقراءة أهل البصرة^{٣٤} وهكذا إلى أن نُسبت إلى القراء في عصر تدوين العلم، يقال قراءة نافع وقراءة عاصم وقراءة حمزة، وهكذا^{٣٥} إلى يومنا هذا.

والقراءة المتواترة: هي كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصحّ سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها ولا يحل إنكارها^{٣٦}.

^{٣٣} كما في قصة عمر وهشام رضي الله عنهما، فقد أخرج البخاري بسنده عن عبد الرحمن بن عبد القاري، أنه قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقول: سمعت هشام بن حكيم بن حزام، يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها، وكدت أن أعجل عليه، ثم أهله حتى انصرف، ثم كئبته برذائه، فحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ على غير ما أقرأنيها، فقال لي: "أرسله"، ثم قال له: "اقرأ"، فقرأ، قال: "هكذا أنزلت"، ثم قال لي: "اقرأ"، فقرأت، فقال: "هكذا أنزلت إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأقرؤوا منه ما تيسر". محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (بيروت: دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ)، ج ٣، ص ١٢٢، كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض، حديث رقم [٢٤١٩].

^{٣٤} كقول ابن جرير: "واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿أَنْ يَصْلَحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ [النساء: ١٢٨]، فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة بفتح الياء وتشديد الصاد ... وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة: ﴿أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ بضم الياء وتخفيف الصاد". ابن جرير الطبري، **تفسير الطبري**، ج ٧، ص ٥٦٠.

^{٣٥} كما فعل ابن مجاهد رحمه الله تعالى في كتابه السبعة، فإنه نسب القراءة إلى القراء، نسبة اللزوم والدوام، لا ابتداء واختراع.

^{٣٦} ابن الجزري، **النشر**، ج ١، ص ٩.

أهمية علم القراءات:

إنَّ لعلم القراءات أهمية وفوائد كثيرة منها الآتي:

أولاً: **التخفيف والتيسير** لهذه الأمة ورحمة بها من الله تبارك وتعالى، وذلك استجابة لطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمه بما هم عليه من اختلاف اللغات واللهجات وصعوبة مفارقة كل فريق منهم الطبع والعادة في الكلام إلى غيره، فخفف الله عنهم وسهّل عليهم^{٣٧}، كما جاء في حديث أبيّ بن كعب رضي الله عنه^{٣٨}، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضامة بني غفار، قال: فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: "إنَّ الله يأمرك أن تقرأ أمثك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإنَّ أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية، فقال: إنَّ الله يأمرك أن تقرأ أمثك القرآن على حرفين، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإنَّ أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإنَّ أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة، فقال: إنَّ الله يأمرك أن تقرأ أمثك القرآن على سبعة أحرف، فأبى حرف قرءوا عليه فقد أصابوا"^{٣٩}. ففي هذا الحديث دلالة واضحة على أنَّ الغرض من القراءات التخفيف والتيسير على الأمة، فاللهم لك الحمد والمِنَّة على ذلك.

^{٣٧} ينظر: أبو عمرو الداني، **الأحرف السبعة للقرآن**، تحقيق: الدكتور عبد المهيمن طحان، (مكة المكرمة: دار المنارة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ص ٣١. ومكي بن أبي طالب، **الإبانة عن معاني القراءات**، تحقيق:

الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، (مصر: دار نهضة مصر للطبع والنشر، د. ط، د. ت)، ص ٨١.

^{٣٨} هو صحابي جليل، أبيّ بن كعب بن قيس، أبو المنذر، كان من كتّاب الوحي، شهد بدراً وغيره من الغزوات، المتوفى سنة (٣٠هـ). ينظر: محمد بن سعد، أبو عبد الله الهاشمي بالولاء البغدادي، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: محمد عبد

القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠)، ج ٣، ص ٣٧٨.

^{٣٩} مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (**صحيح مسلم**) **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. ت)، ج ١، ص ٥٦٢، كتاب الصلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أنَّ القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، حديث رقم [٨٢١].

ثانيًا: إظهار فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم؛ إذ لم ينزل كتاب غيرهم إلا على وجه واحد^{٤٠}، فإن الله تعالى أعطى هذه الأمة القرآن، وأمرهم بأن يقرؤهُ على سبعة أحرف، وجميع الكتب المنزلة على الأنبياء والرسل لم يكن لها كيفية قراءة مثل هذه القراءات التي اختصَّ بها القرآن الكريم، فهذا شرف وميزة لهذه الأمة.

ثالثًا: إظهار وجه الإعجاز للقرآن الكريم: حيث ترد قراءات كثيرة للكلمة الواحدة أو أكثر، وكلها في أعلى مراتب الفصاحة والإتقان، وكل قراءة تكون معجزة في موضعها، مثل قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيِّنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سَبَأ: ١٩]، حيث ورد فيها ثلاث قراءات متواترة، قرئ ﴿رَبَّنَا بَعْدَ﴾ و﴿رَبَّنَا بَعْدَ﴾ و﴿رَبَّنَا بَعْدَ﴾^{٤١}.

رابعًا: إظهار جانب البلاغة والفصاحة في الكلام بأساليب الكلام المختلفة، كالالتفات والتشديد والتخفيف، والحذف والزيادة وغير ذلك^{٤٢}.

خامسًا: حفظ اللغة العربية: فالقراءات حفظت لغة العرب ولهجاتها من الاندثار والضياع؛ لأنها استعملت أفصح ما عندهم، فخلدت لهجات العرب وذكرها، ففي بعض القراءات، ذكر بعض الأوجه اللغة العربية القليلة الاستعمال^{٤٣}، أو غير مشهورة ومعروفة لدى البعض^{٤٤}.

^{٤٠} عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، ج ١، ص ٢٧٨.

^{٤١} قراءة يعقوب ﴿رَبَّنَا بَعْدَ﴾ برفع الباء وفتح العين والدال وألف قبل العين من باعد، و﴿رَبَّنَا بَعْدَ﴾ قراءة ابن كثير وأبي عمرو وهشام بنصب الباء وكسر العين مشددة من غير ألف مع إسكان الدال، وقرأ الباقون كذلك إلا أنهم بالألف وتخفيف العين ﴿رَبَّنَا بَعْدَ﴾. ينظر: ابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٣٥٠.

^{٤٢} كقراءة الغيب والخطاب في قوله تعالى ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] على الالتفات، قرأه ابن عامر بالخطاب ﴿يَبْغُونَ﴾ وقرأ الباقون بالغيب ﴿يَبْغُونَ﴾. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٥٤.

^{٤٣} كقراءة حمزة ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ بالخفض في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]، وقرأ الباقون بالنصب. ينظر: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٤٧. وفي قراءة الخفض حجة على جواز عطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور من غير إعادة العامل، وهي لغة صحيحة من لغات العرب.

^{٤٤} كقراءة ابن عامر في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧]، بضم الزاي وكسر الياء من ﴿زَيْنٍ﴾ ورفع لام ﴿قَتَلَ﴾، ونصب دال ﴿أَوْلَادَهُمْ﴾ وخفض همزة ﴿شُرَكَائِهِمْ﴾ بإضافة ﴿قَتَلَ﴾ إليه، وهو فاعل في المعنى، وقد فصل بين المضاف، وهو ﴿قَتَلَ﴾ وبين ﴿شُرَكَائِهِمْ﴾، وهو المضاف

سادساً: كونها مصدراً أساسياً لاختلاف الفقهاء في بعض المسائل الفقهية كمسألة

قراءة البسملة في بداية الفاتحة والجهر بها في الصلاة، فجميع الخلاف فيها مبني على القراءات^{٤٥}، وجواز وطء الحائض عند انقطاع الدم قبل الغسل وعدمه، فهو مبني على قراءة ﴿يَطْهَرْنَ﴾ و﴿يَطْهَرْنَ﴾ في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]^{٤٦}. وما زال العلماء من اللغويين والمفسرين والفقهاء يستنبطون من كل حرف يقرأ به قارئ معنى لا يوجد في قراءة الآخر غالباً؛ لأنَّ القراءة حجة الفقهاء في الاستنباط ومحجتهم في الاهتداء، وحجة اللغويين في الاستدلال، وحجة المفسر في بيان المعنى.

سابعاً: القراءات مصدر أصيل من مصادر اللغة العربية؛ إذ يحتج بها بعض اللغويون في الاحتجاج على مذهبه النحوي كما فعل ابن مالك رحمه الله تعالى^{٤٧} في الاستدلال على جواز الفصل بين المضامين في النشر، فقال: "وأقوى الأدلة على ذلك قراءة ابن عامر"^{٤٨}، فاستدل بهذه القراءة على جواز ذلك ردّاً على مَنْ أنكره.

ثامناً: **وضوح المعنى والدلالة**؛ إذ مع كثرة اختلاف القراءات لم يتطرق إليها تضاد ولا تناقض، بل كلها يصدق بعضها بعضاً، ويبيّن بعضها بعضاً، بل تتكامل فيها المعاني

إليه بالمفعول، وهو ﴿أُولَٰئِهِمْ﴾، وجمهور نخاة البصريين على أنّ هذا لا يجوز إلا في ضرورة الشعر، وتكلموا في هذه القراءة بسبب ذلك. ينظر: ابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٢٦٣. فهي قراءة صحيحة ذكرت جواز الفصل بين المضامين ولم تكن مشهورة عند البصريين فضّعفوها.

^{٤٥} ينظر: علي بن أحمد بن حزم أبو محمد الأندلسي القرطبي الظاهري، المشهور بابن حزم، المحلى بالآثار، (بيروت: دار الفكر، د. ط، د.ت)، ج ٢، ص ٢٨٣. ويحيى بن شرف محيي الدين أبو زكريا النووي، المجموع شرح المذهب، مع تكملة السبكي والمطيعي، (بيروت: دار الفكر، د. ط، د.ت)، ج ٣، ص ٣٣٣.

^{٤٦} ينظر: السيوطي، الإتقان، ج ١، ص ٢٧٨. و﴿يَطْهَرْنَ﴾ بتشديد الطاء والهاء قراءة حمزة والكسائي وخلف وشعبة، والباقون ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بالتخفيف. ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص ١٤٦.

^{٤٧} هو محمد بن عبد الله بن مالك، أبو عبد الله، جمال الدين الطائي الشافعي النحوي الأندلسي، الإمام العلامة، كان إماماً في القراءات وعللها، صنف فيها قصيدة دالية مرموزة في قدر الشاطبية، وأما اللغة فكان إليه المنتهى، فكان فيها بحرًا لا يشق لجه، المتوفى سنة (٦٧٢هـ). ينظر: محمد بن شاكر بن أحمد، الملقب بصلاح الدين، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ط ١، ١٩٧٣م)، ج ٣، ص ٤٠٧.

^{٤٨} محمد بن عبد الله بن مالك الطائي، شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: الدكتور: عبد الرحمن السيد، والدكتور: محمد بدوي المختون، (الرياض: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط ١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ج ٣، ص ٢٨٣.

والدلالة^{٤٩}، وإذا اختلف معنى القراءتين تكونان بمنزلة آيتين، كقراءة ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾^{٥٠} في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]، فقراءة النصب عطف على غسل الرجل، وقراءة الخفض عطف على المسح، واللفظ واحد، لكن باختلاف القراءتين والإعراب كانتا بمنزلة آيتين^{٥١}. وغير ذلك من أهمية القراءات وثمرتها.

شروط القراءة الصحيحة:

إنّ لقبول القراءة شروطاً وضعها العلماء، فكل قراءة استوفت هذه الشروط يُطلق عليها المتواترة، يجب قبولها والعمل بها، وهذه الشروط هي:

الشرط الأول: موافقة وجه من أوجه اللغة العربية.

سواء كان أفصح أم فصيحاً مجمعاً عليه، أو مختلفاً فيه عند أهل اللغة، إذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقته الأئمة بالسند الصحيح؛ لأنه هو الأصل الأقوم والركن الأعظم، وهو المختار عند الأئمة في ركن موافقة العربية، فكم من قراءة أنكرها بعض أهل اللغة أو كثير منهم ولم يُعتبر إنكارهم، بل أجمع الأئمة المحققين من السلف على قبولها كإسكان ﴿بَارئَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] و﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ [البقرة: ٦٧] في قراءة أبي عمرو البصري ونحوه^{٥٢}.

^{٤٩} كقراءة حمزة ﴿فَأَزْهَمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ [البقرة: ٢٦] بالألف، أي نحاهما عن الحال التي كانا عليها من قول القائل أزال فلان فلاناً عن موضعه إذا نحاه عنه وزال هو، وحجته قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٢٥]، أي اثبتا فثبتنا فأزالهما الشيطان فقابل الثبات بالزوال الذي هو خلافه، ومما يقوي قراءته قوله ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ فإخراجهما في المعنى قريب من إزالتهم. وقرأه الباقون ﴿فَأَزْهَمَا﴾ من زللت وأزلي غيري أي أوقعهما في الزلل، وهو أن يزل الإنسان عن الصواب إلى الخطأ والزلة، وحجته قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اسْتَزَهَّمُ الشَّيْطَانُ﴾ [آل عمران: ١٥٥] ونسب الفعل إلى الشيطان؛ لأنهما زلّا بإغواء الشيطان إياهما فصار كأنه أزلهما. ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٩٤.

^{٥٠} قرأ نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بنصب اللام، وقرأها الباقون ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالخفض.

ينظر: ابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٢٥٤.

^{٥١} ينظر: السيوطي، الإتقان، ج ١، ص ٢٧٩.

^{٥٢} ينظر: ابن الجزري، النشر، ج ١، ص ١٠.

الشرط الثاني: موافقة أحد مصاحف العثماني ولو احتمالاً.

والمقصود بموافقة أحد المصاحف، أن توافق القراءة أحد المصاحف التي كتبت في عهد عثمان رضي الله عنه، التي أرسلت إلى الأمصار، وهي ستة مصاحف: مصحف المدينة ومصحف مكة ومصحف الشام ومصحف البصرة ومصحف الكوفة ومصحف الإمام، وهو الذي اتخذه عثمان رضي الله عنه لنفسه^{٥٣}. فلا بدّ أن توافق القراءة أحد هذه المصاحف، كقراءة ابن عامر^{٥٤} عند قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: ١١٦] في البقرة بغير واو، فإنّها ثابتة في المصحف الشامي. وكقراءة ابن كثير^{٥٥} عند قوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠] في الموضع الأخير من سورة التوبة بزيادة ﴿مِنْ﴾، فإنّ ذلك ثابت في المصحف المكي، وكذلك قراءة نافع^{٥٦} وأبي جعفر^{٥٧} وابن عامر في سورة الحديد عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحديد: ٢٤] بحذف ﴿هُوَ﴾، وغير ذلك من المواضع في القرآن الكريم مما

^{٥٣} اختلف العلماء في عدد هذه المصاحف، قيل إنها أربعة، وقيل خمسة وقيل الستة وقيل غير ذلك، وأقوى الأقوال أنّها ستة؛ لأنّ النقل ورد عن هذه الستة فقط في كتب الرسم، وهذا العدد عُرف من أرسل بها إلى الأمصار. فعثمان رضي الله عنه أمر زيداً بن ثابت أن يقرئ بالمصحف بالمديني، وبعث عبد الله بن السائب مع المصحف المكي، والمغيرة بن شهاب مع المصحف الشامي، وأبا عبد الرحمن السلمي مع المصحف الكوفي، وعامر بن عبد القيس مع المصحف البصري، والسادس جعله لنفسه، وهو المسمّى بمصحف الإمام. ينظر: سليمان بن نجاح بن أبي القاسم، أبو داود الأموي بالولاء الأندلسي، مختصر التبيين لهجاء التنزيل، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد، د.ط، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ج ١، ص ١٣٩.

^{٥٤} هو عبد الله بن عامر، أبو عمران اليحصبي الدمشقي، إمام أهل الشام في القراءة، أحد القراء السبعة، المتوفى سنة (١١٨هـ). ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ص ٤٦.

^{٥٥} هو عبد الله بن كثير بن المطلب، أبو معبد، مولى عمرو بن علقمة الكنايني الداري المكي، أحد القراء السبعة، المتوفى سنة (١٢٠هـ). ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط ١، ١٣٥١هـ)، ج ١، ص ٤٤٥.

^{٥٦} هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي مولاهم، أبو رويم المقرئ المدني، أحد الأعلام، أحد قراء السبع، المتوفى سنة (١٦٩هـ). ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ص ٦٤.

^{٥٧} هو يزيد بن القعقاع، أبو جعفر القارئ المدني، أحد القراء العشرة، تصدّى لإقراء القرآن دهرًا. قرأ عليه نافع، وسليمان بن جَمَاز وعيسى بن وردان وغيرهم. المتوفى سنة (١٢٧هـ). ينظر: المصدر نفسه، ص ٤٠.

والمراد باحتمال الرسم هو موافقته تقديرًا، إذ الموافقة قد تكون تحقيقًا، وهي الموافقة الصريحة، وقد تكون الموافقة تقديرًا، وهي الموافقة احتمالًا، وعلى هذا فبعض القراءات توافق بعض الرسم تحقيقًا، وتوافقه بعضها تقديرًا، كنحو قراءة ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الْقَاتِحَةِ: ١]، فَإِنَّهُ مكتوب بغير ألف في جميع المصاحف العثماني. فقراءة ﴿مَلِكِ﴾ بحذف الألف، تحتمل الرسم تحقيقًا كما كتب ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [النَّاس: ٢]، وقراءة ﴿مَلِكِ﴾ بالألف تحتمله تقديرًا كما كتب ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٢٦]، فتكون الألف محذوفة اختصارًا^{٥٩}.

والمقصود بذلك ما رواه العدل الضابط من القراءة عن مثله إلى منتهى سندها، مع الشهرة عند أئمة هذا الشأن المحققين الضابطين، لم يعدوها من الغلط، أو مما شذّب بها بعضهم عن البعض^{٦٠}.

فكل قراءة توافق اللغة العربية ولو بوجه، وتوافق أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصحّ سندها، فهي القراءة الصحيحة، فلا يجوز ردّها ولا إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة، التي نزل بها القرآن الكريم، يجب على الأمة قبولها، سواء جاءت عن الأئمة السبعة، أم جاءت عن العشرة، أو عن غيرهم من الأئمة المقبولين الضابطين. ومتى يختلّ ركن من الأركان الثلاثة السابقة، يُطلق عليها الضعف أو الشذوذ أو البطلان، سواء رويت عن السبعة

٦٠ ينظر: المصدر نفسه، ج ١، ص ١٣.

أو رويت عن من هو أكبر منهم، فهذا الذي ذهب إليه الأئمة المحققين من السلف والخلف كما صرح به الإمام أبو عمرو الداني^{٦١}، ونص عليه الإمام مكي بن أبي طالب^{٦٢} في غير موضع، وغيرهما من العلماء رحمهم الله تعالى^{٦٣}.

وقد نظم هذه الشروط الثلاثة ابن الجزري رحمه الله تعالى^{٦٤} بقوله:

فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوِ ***** وَكَانَ لِلرَّسْمِ اخْتِمَالًا يَحْوِي
وَصَحَّ إِسْنَادًا هُوَ الْقُرْآنُ ***** فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَرْكَانُ
وَحَيْثُمَا يَحْتَلُّ رُكْنٌ أَتُبِتَ ***** شُدُودُهُ لَوْ أَنَّهُ فِي السَّبْعَةِ^{٦٥}
وإذا ثبت التواتر فلا يحتاج إلى الركنين الأخيرين من الرسم وموافقة اللغة؛ لأن ما ثبت من أحرف الخلاف متواتراً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب قبوله والقطع بكونه قرآناً، سواء موافق للرسم أو مخالف له^{٦٦}.

والقراءات التي استوفت هذه الشروط الآن عشرة وهي:

أولاً: قراءة الإمام نافع بن عبد الرحمن أبي رويم المدني، وفيها روايتان وهما:

رواية قالون، عيسى بن مينا^{٦٧}.

رواية ورش، عثمان بن سعيد^{٦٨}.

^{٦١} هو عثمان بن سعيد بن عثمان الأموي مولاهم القرطبي، الإمام العلم، صاحب التصانيف في القراءات وعلومها، المتوفى بدانية سنة (٤٤٤هـ). ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ص ٢٢٦.

^{٦٢} هو مكي بن أبي طالب الإمام، أبو محمد القيسي المغربي، القيرواني العلامة المقرئ، كثير التصانيف في القراءات وعلوم القرآن، المتوفى سنة (٤٣٧هـ). ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٢٠.

^{٦٣} ينظر: ابن الجزري، النشر، ج ١، ص ٩.

^{٦٤} هو محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري الدمشقي، أبو الخير، الإمام الحافظ المتقن، إليه انتهت الرئاسة في القراءات، صاحب المؤلفات في القراءات وغيرها، المتوفى سنة (٨٣٣هـ). ابن الجزري، غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٤٧.

^{٦٥} ابن الجزري، طيبة النشر في القراءات العشر، تحقيق: محمد تيمم الرُّعَيْي، (المدينة المنورة: دار المأثور للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٦، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م)، ص ٣٠، بيت رقم [١٤ - ١٦].

^{٦٦} ينظر: ابن الجزري، النشر، ج ١، ص ١٣.

^{٦٧} هو عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى، أبو موسى الزرقى، قارئ أهل المدينة في زمانه ونحويهم، كان ربيب نافع، وهو الذي لقبه بقالون لجودة قراءته، وهي لفظة رومية معناها جيد، لم يزل يقرأ على نافع حتى مهر وحذق. المتوفى سنة (٢٢٠هـ). ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ص ٩٣.

ثانيًا: قراءة الإمام ابن كثير، عبد الله بن كثير المكي، وفيها روايتان وهما:
 رواية البزي، أحمد بن محمد البزي المكي^{٦٩}.
 رواية قنبل، محمد بن عبد الرحمن المخزومي مولا هم المكي^{٧٠}.
 ثالثًا: قراءة الإمام أبي عمرو، زبّان بن العلاء المازني البصري^{٧١}، وفيها روايتان وهما:
 رواية الدوري، حفص بن عمر أبو عمر الدوري^{٧٢}.
 رواية السوسي، صالح بن زياد أبو شعيب السوسي^{٧٣}.
 رابعًا: قراءة الإمام ابن عامر، عبد الله بن عامر الدمشقي، وفيها روايتان وهما:
 رواية هشام بن عمار الدمشقي^{٧٤}.
 رواية ابن ذكوان، عبد الله بن أحمد الدمشقي^{٧٥}.

^{٦٨} هو عثمان بن سعيد أبو سعيد المصري المقرئ، الملقب بورش، قرأ القرآن وجوده على نافع عدة ختمات، ولقبه بورش لشدة بياضه، إليه انتهت رئاسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه. المتوفى سنة (١٩٧هـ). ينظر: المصدر نفسه، ص ٩١.

^{٦٩} هو أحمد بن محمد بن عبد الله، أبو الحسن البزي المكي، المقرئ قارئ مكة، ومؤذن المسجد الحرام ومولى بني مخزوم. قرأ على إسماعيل القسط، عن ابن كثير، أذن في المسجد الحرام أربعين سنة، المتوفى سنة (٢٥٠هـ). ينظر: المصدر نفسه، ص ١٠٢.

^{٧٠} هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد أبو عمر المخزومي مولا هم المكي مقرئ أهل مكة، المشهور بـ"قنبل"، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالحجاز، جود القراءة على القواس وأخذ القراءة عن البزي أيضًا عن ابن كثير، المتوفى سنة (٢٩١هـ). ينظر: الذهبي، المصدر نفسه، ص ١٣٣.

^{٧١} هو زبّان بن العلاء بن عمار، أبو عمرو بن العلاء المازني المقرئ النحوي البصري، أحد القراء السبعة، المتوفى سنة (١٤٥هـ). ينظر: المصدر نفسه، ص ٥٨.

^{٧٢} هو حفص بن عمر بن عبد العزيز، أبو عمر الدوري الأزدي البغدادي النحوي الدوري الضرير، إمام القراءة وشيخ الناس في زمانه، أول من جمع القراءات، قرأ على اليزيدي عن أبي عمرو. المتوفى سنة (٢٤٠هـ). ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية، ج ١، ص ٢٥٥.

^{٧٣} هو صالح بن زياد بن عبد الله أبو شعيب السوسي الرستي الرقي المقرئ. قرأ القرآن على اليزيدي عن أبي عمرو، المتوفى سنة (٢٦١هـ). ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ص ١١٥.

^{٧٤} هو هشام بن عمار بن نصير، أبو الوليد السلمى الدمشقي. شيخ أهل دمشق ومفتيهم، وخطيبهم ومقرئهم ومحدثهم، المتوفى سنة (٢٤٥هـ). ينظر: المصدر نفسه.

خامساً: قراءة الإمام عاصم بن أبي النجود الكوفي، وفيها روايتان وهما:
 رواية شعبة بن عيَّاش أبو بكر الكوفي^{٧٦}.
 رواية حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي.
 سادساً: قراءة الإمام حمزة بن حبيب الزيات الكوفي، وفيها روايتان وهما:
 رواية خلف بن هشام، أبو محمد البغدادي البزار.
 رواية خلاد بن خالد الشيباني مولا هم الصيرفي الكوفي^{٧٧}.
 سابعاً: قراءة الإمام الكسائي، علي بن حمزة، أبو الحسن الكوفي، وفيها روايتان وهما:
 رواية أبي الحارث، الليث بن خالد البغدادي^{٧٨}.
 رواية الدوري عن الكسائي، حفص بن عمر أبو عمر الدوري.
 ثامناً: قراءة الإمام أبي جعفر، يزيد بن القعقاع المدني وفيها روايتان وهما:
 رواية ابن وردان، عيسى بن وردان الحذاري^{٧٩}.
 رواية ابن جَمَّاز، سليمان بن مسلم بن جَمَّاز^{٨٠}.
 تاسعاً: قراءة الإمام يعقوب بن إسحاق الحضرمي^{٨١}، وفيها روايتان وهما:

^{٧٥} هو عبد الله بن أحمد بن ذكوان، أبو عمرو القرشي الفهري الدمشقي الإمام شيخ الإقراء بالشام وإمام جامع دمشق، أخذ القراءة عرضاً عن أيوب بن تميم وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة بدمشق. المتوفى سنة (٢٤٢هـ). ينظر: ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج ١، ص ٤٠٤.

^{٧٦} هو أبو بكر شعبة بن عيَّاش بن سالم الحنات بالنون الأسدي الكوفي الإمام العلم راوي عاصم، وعُمر دهرًا إلا أنه قطع الإقراء قبل موته بسبع سنين، وقيل بأكثر وكان إمامًا كبيرًا عالمًا عاملًا، المتوفى سنة (١٩٣هـ). ينظر: المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٢٥.

^{٧٧} هو خلاد بن خالد أبو عيسى الشيباني، مولا هم الصيرفي الكوفي الأحول المقرئ. عرض على حمزة وهو من كبار أصحابه وعرض أيضًا على سليم. المتوفى سنة (٢٢٠هـ). ينظر: الذهبي، المصدر نفسه، ص ١٢٤.

^{٧٨} هو الليث بن خالد أبو الحارث البغدادي المقرئ صاحب الكسائي، والمقدم من بين أصحابه، المتوفى سنة (٢٤٠هـ). ينظر: المصدر نفسه، ص ١٢٤.

^{٧٩} هو عيسى بن وردان أبو الحارث المدني الحذاء إمام مقرئ حاذق، وراوٍ محقق ضابط، عرض على أبي جعفر وغيره. المتوفى في حدود سنة (١٦٠هـ). ينظر: ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج ١، ص ٦١٦.

^{٨٠} هو سليمان بن مسلم بن جَمَّاز أبو الربيع الزهري مولا هم المدني مقرئ جليل ضابط، عرض على أبي جعفر ونافع وغيرهما، المتوفى سنة (١٧٠هـ). ينظر: ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج ١، ص ٣١٥.

رواية رويس، محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري^{٨٢}.

رواية رُوح بن عبد المؤمن أبو الحسن البصري^{٨٣}.

عاشراً: قراءة الإمام خلف البزار، خلف بن هشام البغدادي، وفيها روايتان وهما:

رواية إسحاق بن إبراهيم، أبو يعقوب المروزي البغدادي الوراق^{٨٤}.

رواية إدريس بن عبد الكريم الحدّاد، أبو الحسن البغدادي^{٨٥}.

وهذه القراءات المتواترة اليوم، السبعة الأولى في متن الشاطبية، والثلاثة الأخيرة في متن الدرّة، يجب قبولها والعمل بها، فلا يجوز ردّ شيء منها، وما سوى هذه القراءات يطلق عليها الشاذ^{٨٦}.

ولمعرفة طبقات القراء وذكر مناقبهم وقراءاتهم وأسانيدهم يراجع كتب طبقات القراء وتراجمهم^{٨٧}.

وكل ما ينسب إلى هؤلاء الأئمة القراء فهو قراءة، وكل ما ينسب إلى الرواة عنهم مباشرة فهو رواية، وكل ما ينسب إلى الرواة عن هؤلاء الرواة وإن سفلوا فهو طريق^{٨٨}.

^{٨١} هو يعقوب بن إسحاق الحضرمي، قارئ أهل البصرة في عصره، الإمام أبو محمد، المتوفى سنة (٢٠٥هـ). ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ص ٩٤.

^{٨٢} هو محمد بن المتوكل أبو عبد الله اللؤلؤي البصري المعروف برويس، مقرئ حاذق ضابط مشهور، أخذ القراءة عرضاً عن يعقوب الحضرمي المتوفى بالبصرة سنة (٢٣٨هـ). ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٣٤.

^{٨٣} هو رُوح بن عبد المؤمن أبو الحسن البصري المقرئ، صاحب يعقوب الحضرمي، كان متقناً مجوّداً، المتوفى سنة (٢٣٥هـ). ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ص ١٢٦.

^{٨٤} هو إسحاق بن إبراهيم بن عثمان، أبو يعقوب المروزي البغدادي الوراق، قرأ على خلف اختياره وقام به بعده، وكان قيماً بالقراءة، المتوفى سنة (٢٨٦هـ). ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية، ج ١، ص ١٥٥.

^{٨٥} هو إدريس بن عبد الكريم الحدّاد المقرئ، أبو الحسن البغدادي. قرأ على خلف البزار وطائفة، وأقرأ الناس، ورحل إليه الناس من البلاد، لإتقانه وعلو سنده، المتوفى سنة (٢٩٢هـ). ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ص ١٤٥.

^{٨٦} ينظر: ابن الجزري، منجد المقرئين، ص ١٨.

^{٨٧} كابن السّالر الشافعي، عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم. طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم، تحقيق:

أحمد محمد عزوز، (بيروت: المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)، ص ٦٥.

^{٨٨} ينظر: قابه، القراءات القرآنية، ص ٢٨.

ونسبة هذه القراءات إلى هؤلاء الأئمة والرواة نسبة الزوم والدوام لا اختراع وإيجاد. فقبل أن يُولد هؤلاء الأئمة والرواة كانت هذه القراءات موجودةً، نسبت القراءة إليهم عند التدوين لملازمتهم لها واشتغالهم بها، وليس أنهم اخترعوها وابتدعوها من عند أنفسهم. فخلاصة ما سبق في هذا المبحث أنّ لفظة قراءات في اللغة من "قرأ" بمعنى الجمع والضم، وفي الاصطلاح: هي علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها معزّوًا لناقله. والقراءات المتواترة: هي كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصحّ سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها. وهي عشر قراءات فيها عشرون رواية كما سبق، وما سوى هذه القراءات يطلق عليه اسم الشاذ.

ولهذه القراءات أهميّة وفوائد منها التيسير وإظهار وجه إعجاز القرآن وبلاغته، والقراءات مصدر للغة العربية، وغير ذلك مما سبق ذكره في هذا المبحث.

المبحث الثاني: تعريف علم التوجيه وأهميته

يتناول هذا المبحث تعريف التوجيه من حيث اللغة والاصطلاح وأهميته، إذ يُعدّ التوجيه تفسيراً وتعليلاً لمعنى القراءة، وطريقاً للدفاع عن القراءات القرآنية، فهو من أهم ثمرات القراءات القرآنية؛ فلذا لا بدّ من تعريفه لغةً واصطلاحاً، فأقول مستعيناً بالله تعالى.

تعريف التوجيه:

التوجيه لغة: مصدر وجّه توجيهًا على وزن "فَعَّلَ تفعيلاً" نحو عظم تعظيمًا. وذكر ابن فارس رحمه الله تعالى^{٨٩} أنّ الواو والجيم والهاء، أصل واحد يدل على مقابلة لشيء. والوجه مستقبل لكل شيء. ووجهتُ الشيء: جعلته على جهة^{٩٠}. ويجوز أن يكون بمعنى القوي الظاهر أخذًا من قولهم: قدّمت وجوه القوم أي ساداتهم^{٩١}.

فكلمة "التوجيه" تدل على مقابلة الشيء ومستقبل كل شيء، فهي بمعنى الوجهة والقوة.

وأما اصطلاحاً: فهو إيراد الوجه المناسب لحال القراءة تقويةً لها^{٩٢}. وقيل: هو علم يعنى ببيان وجوه القراءات في اللغة والتفسير وبيان المختار منها^{٩٣}.

^{٨٩} هو أحمد بن فارس بن زكرياء، أبو الحسين، الرازي اللغوي؛ كان إمامًا في علوم شتى، وخصوصًا اللغة، المتوفى سنة (٣٩٠هـ). ينظر: أحمد بن محمد بن خلكان، شمس الدين أبو العباس البرمكي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ط ١، ١٩٠٠م)، ج ١، ص ١١٨.

^{٩٠} أحمد بن فارس القزويني، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، د. ط، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج ٦، ص ٨٨ وما بعدها، مادة (وجب).

^{٩١} أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (بيروت: المكتبة العلمية، د. ط، د. ت)، ج ٢، ص ٦٤٩، كتاب الواو، مادة (و ج هـ).

^{٩٢} الشنقيطي عبد الرحيم بن عبد الله بن عمر، "موارد توجيه القراءات القرآنية" مجلة الجامعة الإسلامية، (قسم القراءات، كلية القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية بالمدينة)، العدد ١٥٢، ص ١١٧.

^{٩٣} إبراهيم بن سعيد الدوسري، مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات، (الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ص ٤٩.

وقيل: هو بيان وجه القراءة من حيث العربية، ومعرفة الفروق بين القراءات المختلفة^{٩٤}.

وتعريف الأول أدق وأشمل؛ لأنّ التعريفين الأخيرين قيّدوه باللغة مع أنّ توجيه القراءات له موارد غير اللغة كالرسم وغيره، وأشار تعريف الثاني إلى الاختيار أو الترجيح بين القراءات، فتعريف الأول من أحسن تعريف التوجيه الذي وقفت عليه؛ لشموليته موارد التوجيه وجوانبه، والعلم عند الله تعالى.

ولتوجيه القراءات مسميات منها:

أولاً: الحجة^{٩٥}، سُمّي بالحجة؛ لأنّ الموجّه يذكر حجة القراءة في اللغة.

ثانياً: الاحتجاج^{٩٦}، سُمّي بالاحتجاج؛ لأنّ الموجّه يحتجّ للقراءة على مَنْ يستشكلها وينكرها أو يجهلها.

ثالثاً: علل القراءات^{٩٧}، سُمّي بالعلل؛ لأنّ الموجّه يذكر علة القراءة.

ربعاً: وجوه القراءات^{٩٨}، سُمّي بالوجوه أو الأوجه جمع وجه؛ لأنّ الموجّه يذكر وجه كل القراءة في اللغة أو المعنى.

خامساً: معاني القراءات^{٩٩}، سُمّي بالمعاني القراءات؛ لأنّ الموجّه يذكر معنى القراءة في اللغة والتفسير وغير ذلك.

^{٩٤} مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، **فصول في أصول التفسير**، تقديم: الدكتور محمد بن صالح الفوزان، (المملكة السعودية: دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٣م)، ص ١٦٦.

^{٩٥} كما فعل ابن خالويه سَمّى كتابه في التوجيه بـ(الحجة في القراءات السبع).

^{٩٦} كقول ابن خالويه عند توجيه كلمة قرآنية سبق توجيهها في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا مُقَامَ﴾ [الأحزاب: ١٣] "يقرأ بضم الميم وفتحها. وقد تقدم ذكر الاحتجاج عليه آنفاً". ابن خالويه، الحسين بن أحمد، أبو عبد الله، **الحجة في القراءات السبع**، تحقيق: الدكتور عبد العال سالم مكرم، (بيروت: دار الشروق، ط ٤، ١٤٠١هـ)، ص ٢٨٩.

^{٩٧} كما سَمّى ابن القُرّاب إسماعيل السرخسي الهروي كتابه بـ(الشافى في علل القراءات).

^{٩٨} كما سَمّى مكي بن طالب القيسي كتابه بـ(الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها).

^{٩٩} كما سَمّى أبو منصور الأزهرى، كتابه بـ(معاني القراءات).

سادساً: معاني القرآن ١٠٠، سُمِّيَ بالمعاني القرآن؛ لأنَّ أصحاب كتب معاني القرآن يذكرون توجيه القراءة تبعاً في كتب التي سُمِّيت بمعاني القرآن، فيُدخلون توجيهها القراءات في ضمنها.

سابعاً: إعراب القرآن ١٠١، سُمِّيَ بإعراب القرآن؛ لأنَّ أغلب التوجيه إعراب، والإعراب بيان، سواء من حيث اللغة أو تفسير للمعنى. وغير ذلك مما سُمِّيَ به هذا العلم، وأشهرها عند المتأخرين توجيه القراءات.

أهمية توجيه القراءات:

إنَّ توجيه القراءات له أهمية كبيرة منها ما يأتي:

أولاً: أنه ثمرة القراءات ونتيجتها، كما في توجيه القراءتين المتواترتين في قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَقَتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٢]، قرأ ابن عامر ﴿لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾ بكسر في الهمزة، وقرأها الباقر ﴿لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾ بفتح الهمزة. فقراءة ﴿لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾ بالكسر بمعنى لا تصديق لهم، وقيل: معناه: لا إجارة لهم، من آمنه إيماناً، إذا أجاره. وقراءة ﴿لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾ فهي جمع يمين، والمعنى: لا عهد لهم إذا أقسموا وحلفوا؛ لأنهم لا يدينون دين الحق ١٠٢. فهذه ثمره هاتين القراءتين وأهميتهما عند التوجيه.

ثانياً: أنه به يعرف فصاحة اللفظ وبلاغته ونكت القراءة وإعرابها وحججها وعللها ولطائفها، كما في نحو قوله تعالى: ﴿فَيَحِلُّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلُلْ عَلَيْهِ غَضَبِي﴾ [طه: ٨١] ورد فيها قراءتان، فقرأ الكسائي ﴿فَيَحِلُّ﴾ بضم الحاء، وفي قوله: ﴿وَمَنْ يَحْلُلْ عَلَيْهِ﴾ بضم اللام. وقرأها الباقر ﴿فَيَحِلُّ﴾ بكسر الحاء، وفي قوله: ﴿وَمَنْ يَحْلُلْ﴾ بكسر

١٠٠ كمؤلف أبي زكريا الفراء، المسمَّى بـ(معاني القرآن).

١٠١ كمؤلف أبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، المسمَّى بـ(التبيان في إعراب القرآن).

١٠٢ ينظر: محمد بن أحمد أبو منصور الأزهري الهروي، معاني القراءات، تحقيق: مركز البحوث في كلية الآداب، (السعودية: جامعة الملك سعود، ط ١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م)، ج ١، ص ٤٤٨.

اللام^{١٠٣}. وتظهر ثمة هاتين القراءتين في التوجيه، فقراءة ﴿فَيَحِلُّ﴾ و﴿وَمَنْ يَحِلُّ عَلَيْهِ﴾ فهو من الحُلُول، وهو: النزول، وقراءة ﴿فَيَحِلُّ﴾ و﴿وَمَنْ يَحِلُّ﴾ فهي بمعنى: يَجِبُ^{١٠٤}.

ثالثاً: أنه مما يتميز به المفسر على غيره في التفسير كابن جرير الطبري^{١٠٥} رحمه الله، فإنه مما تميّز به تفسيره توجيه القراءات، له عناية كبيرة به جداً، لا تكاد تجد آية فيها قراءة إلا ذكر القراءة وتوجيهها^{١٠٦}، فتوجيه القراءات مما يحتاج إليه المفسر في تفسيره لاتصاله بالمعنى.

رابعاً: كونه جزءاً من تفسير القرآن بالقرآن، كنحو قراءة قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٣٦]، قرأ حمزة ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ بألف بعد الزاي وتخفيف اللام، وقرأه الباقون ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ بالحذف والتشديد^{١٠٧}.

وتظهر ثمة القراءتين في التوجيه، فقراءة حمزة ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ من الزوال، بمعنى الانتقال عن الجنة، أي نحاها عن الحال التي كانا عليها، من قول القائل أزال فلان فلاناً عن موضعه إذا نحاها عنه، وحجته قوله: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، أي اثبتا فثبتا فأزالهما الشيطان فقابل الثبات بالزوال الذي هو خلافه، ومما يقوّي قراءته قوله: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ فأخراجهما في المعنى قريب من إزالتها.

^{١٠٣} ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص ٢٩٧.

^{١٠٤} ينظر: الأزهرى، معاني القراءات، ج ٢، ص ١٥٦.

^{١٠٥} هو محمد بن جرير بن يزيد الإمام أبو جعفر الطبري، رأس المفسرين، أحد الائمة، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وله التصانيف العظيمة منها تفسير القرآن وغيره، المتوفى سنة (٣١٠هـ). ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، طبقات المفسرين العشرين، تحقيق: علي محمد عمر، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط ١، ١٣٩٦هـ)، ص ٩٥.

^{١٠٦} كنحو قوله في تفسيره: "القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمِنَا فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [الأنعام: ١٦] اختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة: ﴿مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمِنَا﴾ بضم الياء وفتح الراء، بمعنى: من يُصْرِفْ عنه العذاب يومئذ. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: ﴿مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمِنَا﴾ بفتح الياء وكسر الراء، بمعنى: من يصرف الله عنه العذاب يومئذ". ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، ج ٩، ص ١٧٨.

^{١٠٧} ينظر: ابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٢١١.

وقراءة الباقيين ﴿فَازَهُمَا﴾ من زللت وأزلني غيري أي أوقعهما في الزلل وهو أن يزل الإنسان عن الصواب إلى الخطأ والزلّة، وحجتهم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَسْتَرْهُمْ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [آل عمران: ١٥٥] ونسب الفعل إلى الشيطان؛ لأنهما زلا بإغواء الشيطان إياهما فصار كأنّه أزلهما^{١٠٨}.

فقراءة الجمهور بيّنت السبب، أي كسبهما الشيطان الزلة، بأنّ زين لهما المعصية فوقها فيها، وقراءة حمزة ذكرت عاقبة السبب، وهو إخراجهما من الجنة، ففي هاتين القراءتين تفسير وبيان لمعناهما، فهو من تفسير القرآن للقرآن.

خامساً: أنّه توضيح للمشكل ودفاع للقرآن الكريم من كل اعتراض، كالقراءات الواردة في قوله تعالى ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرُنِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ [طه: ٨٧]. ورد فيها أربع قراءات متواترة، وهي قراءة ابن كثير بتخفيف ﴿إِنَّ﴾، و﴿هَذَا﴾ بالرفع وتشديد النون ﴿إِنَّ هَذَا﴾، وقراءة حفص مثله مع تخفيف النون ﴿إِنَّ هَذَا﴾، وقراءة أبي عمرو بتشديد ﴿إِنَّ﴾ و﴿هَذَا﴾ بالياء، ﴿إِنَّ هَذَا﴾، وقرأ الباكون بتشديد ﴿إِنَّ﴾ و﴿هَذَا﴾ بالرفع وتخفيف النون ﴿إِنَّ هَذَا﴾^{١٠٩}.

وتظهر أهمية هذه القراءة في توجيهها، فقراءة حفص ﴿إِنَّ هَذَا﴾ وقراءة ابن كثير ﴿إِنَّ هَذَا﴾ بالرفع إلى أنّ ﴿إِنَّ﴾ إذا حُفَّت رُفِعَ ما بعدها، ولم يُنصَب بها، وتشديد النون من ﴿هَذَا﴾ لغة معروفة.

والمعنى في هذه القراءة ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرُنِ﴾: ما هذان إلا ساحران، بمعنى النفي، واللام في ﴿لَسِحْرُنِ﴾ بمعنى: "إلا" وهذا صحيح في المعنى، وفي كلام العرب^{١١٠}. وأما قراءة أبي عمرو ﴿هَذَا﴾ بنصب "هذين" اسم "إنّ" منصوب بالياء؛ لأنه مثنى، يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء، فهذه قراءة جلية يتكلم بها جماهير العرب^{١١١}.

^{١٠٨} ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٩٤.

^{١٠٩} الأزهري، معاني القراءات، ج ٢، ص ١٤٩.

^{١١٠} المصدر نفسه.

^{١١١} ينظر: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة المقدسي الدمشقي، إبراز المعاني من حرز الأماني، (مصر:

دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، ص ٥٩٠.

واستشكل قراءة الباقيين ﴿إِنَّ هَذَا﴾، حتى ذكر ابن زنجلة^{١١٢} أن هذا الحرف في كتاب الله مشكل على أهل اللغة وقد كثر اختلافهم في تفسيره، وزال هذا الإشكال بتوجهات كثيرة أشهرها: أنها لغة كنانة يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد، يقولون: أتاني الزيدان ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان^{١١٣}، فبالتوجيه ذهب الإشكال بكل وضوح.

سابعاً: كثرة التأليف فيه وعناية العلماء به من المفسرين^{١١٤} واللغويين^{١١٥} وغيرهم. ثامناً: كونه علماً يبين وجوه القراءات القرآنية واتفاقها مع قواعد النحو واللغة، تحقيقاً لأحد أركان القراءة الصحيحة؛ وهو موافقة اللغة ولو بوجه، سواء هذا الوجه مشهور في اللغة أو غير مشهور، كقراءة الواردة في كلمة ﴿وَأَرْجُلُكُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]، فقد ورد فيها قراءتان، قرأها نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص بنصب اللام وقرأها الباقون ﴿وَأَرْجُلُكُمْ﴾ بالخفض^{١١٦}. وتظهر أهمية التوجيه في توجيه القراءتين، فقراءة النصب معطوفة على ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾، وعليه يجب غسل الرجل، وقراءة الخفض معطوفة على ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ فيجب على الرجل المسح^{١١٧}، فالرجل لها حالتان، حالة يجب عليها الغسل، وهي قراءة النصب، وحالة يجب عليها المسح، وهي قراءة الخفض، فالتوجيه هو الذي بين لنا وجوه القراءتين واتفاقها مع قواعد النحو واللغة.

^{١١٢} هو عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، عالم بالقراءات كان قاضياً مالكيًا. صاحب كتاب حجة القراءات وشرف القراء في الوقف والابتداء. المتوفى حوالي سنة (٤٠٣هـ). ينظر: الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ٣٢٥.

^{١١٣} ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٤٥٤.

^{١١٤} كالبعوي والقرطبي والسمين الحلبي في تفاسيرهم وغيرهم رحمهم الله تعالى.

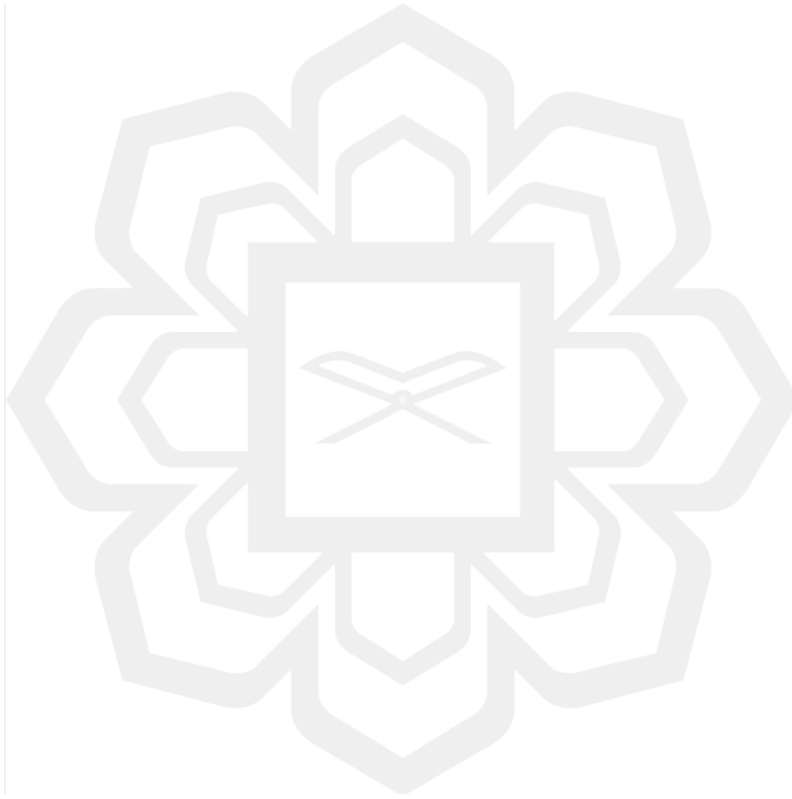
^{١١٥} كالفرّاء في تفسير معاني القرآن وكذلك الزجاج والنحاس والزخشري في تفسير الكشاف، وابن عاشور في التحرير والتنوير وغيرهم رحمهم الله تعالى.

^{١١٦} ينظر: ابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٢٥٤.

^{١١٧} ينظر: السيوطي، الإتقان، ج ١، ص ٢٧٩.

فخلاصة هذا المبحث أنّ كلمة التوجيه في اللغة تدل على مقابلة الشيء ومستقبل كل شيء، فهي بمعنى الوجهة والقوة، وفي الاصطلاح: إيراد الوجه المناسب لحال القراءة تقوية لها.

وأنّ لتوجيه القراءات أهمية، فهو من أهمّ ثمرات القراءات، وله مسمّيات منها الاحتجاج والعلل والحجة وغير ذلك مما سبق ذكره في هذا المبحث، ولله الحمد والمنّة.



المبحث الثالث: علاقة علم التوجيه بالقراءات

يقدم هذا المبحث وجه العلاقة بين علم التوجيه وعلم القراءات، ومدى تأثرهما وحاجة بعضهما البعض.

فالعلاقة بين علم التوجيه والقراءات، علاقة تكاملية قوية جداً، يكمل أحدهما الآخر؛ لأنَّ القراءات تنقسم إلى قسمين أساسيين وهما:

أولاً: الرواية: وهي القراءات، كنحو قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ أَرْوَاهُ دُخْرِينَ﴾ [النمل: ٨٧]، فقرأ حمزة وخلف وحفص ﴿وَكُلُّ أَرْوَاهُ﴾ بقصر الهمزة وتاء مفتوحة، وقرأه الباقون ﴿وَكُلُّ أَرْوَاهُ﴾ بمد الهمزة وضم التاء^{١١٨}، فهذا المراد بالقراءة، وكل قراءة منسوبة إلى مَنْ قرأ بها.

ثانياً: الدراية: وهي فهم تلك الرواية جملةً وتفصيلاً من جميع النواحي بالتوجيه، ومعرفة حقائقها ومسائلها اللغوية والمعنوية وغير ذلك، فمثلاً توجيه القراءتين الواردتين في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ أَرْوَاهُ﴾، هو شرح وبيان لمعنى القراءتين^{١١٩}.

فالرواية نقل القراءة وروايتها مع نسبتها وعزوها إلى القراء، والدراية فهم تلك الرواية المروية وتعليلها، وهو المراد بالتوجيه، فبهذا يتبين وجه العلاقة بين التوجيه والقراءات، فهي علاقة تكاملية.

وغاية علم توجيه القراءات بيان وجوه القراءات القرآنية، والاحتجاج لها وتعليلها واتفاقها مع قواعد النحو واللغة، ومعرفة مستنداتها اللغوي، تحقيقاً لأحد شروط القراءة الصحيحة، وهو موافقة اللغة العربية ولو بوجه.

كما يهدف علم التوجيه إلى ردِّ الاعتراضات والانتقادات التي يوردها بعض النحاة واللغويين والمفسرين^{١٢٠} على بعض وجوه القراءات^{١٢١}.

^{١١٨} ينظر: ابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٣٣٩.

^{١١٩} فقرأه ﴿وَكُلُّ أَرْوَاهُ﴾ بقصر التاء، جعله فعلاً ماضياً، بمعنى أي جاؤوه. وقراءة الباقيين ﴿وَكُلُّ أَرْوَاهُ﴾ بالمد وضم التاء على الاستقبال، وحجتهم قوله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥]. ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٥٣٨.

وأما القراءات فهي مبنية على الرواية وكيفية القراءة ونسبة مَنْ قرأ بها، فالقراءات لا مجال للنظر والقياس والاجتهاد فيها بخلاف توجيه القراءات، فالقراءات سنة متبعة، يأخذها الآخر عن الأول إلى النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن رب العزة تبارك وتعالى.

والقراءات كما سبق في تعريفها: علم بكيفية أداء كلمات القرآنية، واختلافها معزواً لنقله. والتوجيه هو علم يعنى بفهم وبيان وجوه القراءات في اللغة والتفسير وغيره.

ومما تظهر به علاقة التوجيه بالقراءات في نحو هذا المثال قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧]، ورد في ﴿بُشْرًا﴾ أربع قراءات، قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو ويعقوب ﴿نُشْرًا﴾ بضم النون والشين، وقراءة ابن عامر ﴿نُشْرًا﴾ بضم النون وسكون الشين، وقراءة حمزة والكسائي وخلف ﴿نُشْرًا﴾ بفتح النون وسكون الشين، وقراءة عاصم ﴿بُشْرًا﴾ بالباء وسكون الشين^{١٢٢}، فهذه القراءات بينت كيفية القراءة مع نسبة كل قراءة إلى مَنْ قرأ بها من القراء والرواة.

وأما توجيه هذه القراءات، فقراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو ويعقوب ﴿نُشْرًا﴾ بضم في النون والشين، جمع نشور كقولك: صبور وصبر وعجوز وعجز ورسول ورسل، وكقول العرب: هذه رياح نُشْر، مثل قولك: نساء صبر. وذكر أبو عبيد: الريح النشور التي تهب من كل جانب وتجمع السحابة الممطرة، وقال غيره الريح النشور التي تنشر السحاب^{١٢٣}.

^{١٢٠} كانتقاد بعض علماء اللغة والمفسرين قراءة حمزة ﴿وَالْأَرْحَامِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١] بالخفض، فالتوجيه هو الذي رد الانتقادات والاعتراضات على هذه القراءة، وأن لها أصل في اللغة العربية، وهي مثل قوله تعالى: ﴿وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفِّرَ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وعليه فلا وجه لنقد القراءة واستشكالها. ينظر: أحمد بن يوسف بن عبد الدائم السمين الحلبي، أبو العباس، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، (دمشق: دار القلم، د.ط، د.ت)، ج ٣، ص ٥٥٤.

^{١٢١} ينظر: محمد أحمد مفلح القضاة وصاحبه، مقدمات في علم القراءات، (الأردن: دار عمار، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص ٢٠١.

^{١٢٢} ينظر: ابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٢٧٠.

^{١٢٣} ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٨٥.

وقراءة ابن عامر ﴿نَشْرًا﴾ بنون مضمومة وسكون الشين أراد ﴿نَشْرًا﴾ فخفف مثل رُسُل ورُسُل.

وقراءة حمزة والكسائي ﴿نَشْرًا﴾ بنون مفتوحة وسكون الشين، والنشْر من الرياح الطيبة اللينة، التي تنشئ السحاب، فهو صنف من صنوف الرياح ونوع من أنواعها. ويجوز أن يكون قوله ﴿نَشْرًا﴾ مصدر نشرت الريح السحاب نشراً، فكأن معنى ذلك على هذا التأويل، وهو الذي يرسل الرياح ناشرة للسحاب، ثم اكتفى بالمصدر عن الفاعل كما تقول العرب: رجل صوم ورجل فطر أي صائم، وحجة هذه القراءة قوله تعالى ﴿وَالنَّشْرُ نَشْرًا﴾ [المَرْسَلَات: ٢].

وقراءة عاصم ﴿بُشْرًا﴾ بباء مضمومة وسكون الشين من البشارة، وحجته قوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ [الرُّوم: ٤٦]، وذلك أنَّ الريح تبشّر بالمطر، ينشر المطر أي يحيي الأرض بعد موتها، يقال: نشر وأنشر إذا أحيا^{١٢٤}. ومن العلاقة بين توجيه القراءات بالقراءات، أنَّ التوجيه جزء من التفسير وشرح للقراءات والاحتجاج لها وتعليلها من حيث اللغة والمعنى، وغير ذلك من موارد توجيه القراءات، كنعو قوله تعالى ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الْفُرْقَان: ٦٠].

قرأ حمزة والكسائي ﴿لِمَا يَأْمُرُنَا﴾ بالياء، وقرأ الباقون ﴿لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ بالتاء. ففسّر التوجيه معنى القراءتين، فمن قرأ ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا يَأْمُرُنَا﴾ بالياء فمعناه: أنَّ الكفار قالوا: أنسجد لما يأمرنا محمد؟ ومعنى استفهامهم الإنكار، أي: لا نسجد لله وحده دون الشركاء. ويجوز أن يكون "ما" بمعنى "من". ومن قرأ ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ فهو خطاب من الكفار للنبي - صلى الله عليه وسلم - أي: لا نسجد لما تأمرنا أن نسجد له وحده^{١٢٥}، فهذا التوجيه تفسير للقراءتين وبيان لمعناهما.

^{١٢٤} ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٨٥.

^{١٢٥} ينظر: الأزهرى، معاني القراءات، ج ٢، ص ٢١٧.

وأختم بكلام طاش كبري زاده^{١٢٦} عن العلاقة بين علم القراءات وعلم التوجيه بقوله:
"علم علل القراءات: وهو علم باحث عن لمية القراءات، كما أنّ علم القراءة باحث عن
أنيتها، فالأول دراية، والثاني رواية. ولما كانت الرواية أصلاً في العلوم الشرعية، جعل الأول
فرعاً والثاني أصلاً، ولم يُعكس الأمر، وإنّ أمكن ذلك باعتبار آخر"^{١٢٧}.
فخلاصة ما سبق، أنّ العلاقة بين القراءات والتوجيه علاقة تكاملية، القراءات نقل
ورواية مع نسبة من قرأ بها من القراء، والتوجيه تفسير وتعليل لبيان وجه القراءة من حيث
اللغة والمعنى وغير ذلك من موارد توجيه القراءات.



^{١٢٦} هو عصام الدين، أبو الخير، أحمد بن مصطفى بن خليل، الشهير بطاشكبري زاده، المتوفى بقسطنطينية سنة (٩٦٧هـ). ينظر: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، (إستانبول: مكتبة إرسیکا، د.ط، ٢٠١٠م)، ج ١، ص ٢٥٢.

^{١٢٧} أحمد بن مصطفى، الشهير بطاش كبري زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، (لبنان: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ج ٣، ص ٣٣٥.

المبحث الرابع: تعريف الدلالة لغةً واصطلاحاً

الدلالة لغة: مصدر الفعل من دلّ يدلُّ بمعنى الإرشاد والهداية.

وذكر الجوهري رحمه الله تعالى^{١٢٨} أنّ دَلَّ والدليل بمعنى ما يُسْتَدَلُّ به. والدليل: الدالّ. وقد دلّه على الطريق يَدُلُّهُ دَلَالَةً ودُلُولَةً، والفتح أعلى^{١٢٩}، أي ما يُهْتَدَى به. وعند ابن فارس رحمه الله تعالى، الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمانة تتعلّمها، والآخر اضطراب في الشيء. فالأول قولهم: دللت فلاناً على الطريق. والدليل: الأمانة في الشيء، وهو بين الدلالة والدلالة^{١٣٠}.

وذكر ابن منظور رحمه الله تعالى^{١٣١} أنّ دَلَّه على الشيء يَدُلُّهُ دَلًّا ودَلَالَةً فاندلّ: سدّده إليه، ودلّته فاندلّ^{١٣٢}.

وأصل الدلالة مصدر كالكتابة والإمارة، والدالّ: مَنْ حصل منه ذلك، والدليل في المبالغة كعالم وعليم، وقادر وقدير، ثم يسمّى الدالّ والدليل دلالة، كتسمية الشيء بمصدره^{١٣٣}.

ويتلخّص مما سبق أنّ الدلالة في اللغة تدل على الاهتداء والإرشاد والإبانة والتسديد. وأما في الاصطلاح فلها تعريفات عدة منها:

^{١٢٨} هو إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي أبو نصر، إمام في علم اللغة، المتوفى سنة (٣٩٣هـ). ينظر: جمال الدين علي بن يوسف، أبو الحسن القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار الفكر العربي، ط ١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٢م)، ج ١، ص ٢٢٩.

^{١٢٩} إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي أبو نصر، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، ط ٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ج ٤، ص ١٦٩٨. فصل الدال.

^{١٣٠} ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٢٠٩، كتاب الدال.

^{١٣١} هو محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين أبو الفضل، الأنصاري الخزرجي الإفريقي المصري، صاحب "لسان العرب" المتوفى سنة (٧١١هـ). ينظر: حاجي خليفة، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، ج ٣، ص ٢٧٢.

^{١٣٢} محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ)، ج ١١، ص ٢٤٨.

^{١٣٣} الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني أبو القاسم، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق: دار القلم، دار الشامية، ط ١، ١٤١٢هـ)، ص ٣١٦.

الدلالة: هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول^{١٣٤}.

وعرفها الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى^{١٣٥} بأنّ الدلالة: ما يتوصّل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة، أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حيّ، قال الله تعالى: ﴿مَا دَهُمُ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ [سَبَأ: ١٤]^{١٣٦}.
وقيل: دراسة المعنى. أو العلم الذي يدرس المعنى. أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى^{١٣٧}.

وقيل: هي الأثر المعنوي المستفاد من بنية الكلمة، ومن التغيرات التي تحوّلها إلى أبنية مختلفة^{١٣٨}. وتعريف الأخير هو الذي يهتم هذا البحث لتعلّقه بالصرف.
ويتلخّص مما سبق أنّ الدلالة في اللغة تدل على الاهتداء والإرشاد والإبانة والتسديد، وفي الاصطلاح: هي الأثر المعنوي المستفاد من بنية الكلمة، ومن التغيرات التي تحوّلها إلى أبنية مختلفة هو المراد بالدلالة.

^{١٣٤} علي بن محمد بن علي الزين الجرجاني، **التعريفات**، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، ص ١٠٤.

^{١٣٥} هو حسين بن محمد بن الفضل الشهير بالراغب الأصفهاني، الإمام العالم الفاضل أبو القاسم، المتوفى سنة (٦٩٠هـ). ينظر: أحمد بن محمد الأدنهي، **طبقات المفسرين**، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، (السعودية: مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص ٤٤٠.

^{١٣٦} الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص ٣١٦.

^{١٣٧} أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، ص ١١.

^{١٣٨} فريد بن عبدالعزيز الزامل السليم، **الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن الكريم**، (الرياض: دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٧هـ)، ص ٦١.

المبحث الخامس: تعريف المبنى والمعنى لغةً واصطلاحاً

إنّ العلم بمباني الكلمات ووزنها الصرفي، مما يمكن الإنسان في اللغة العربية الصحيحة، بحيث يكون كلامه في جودة عالية، وقوة في المعنى المقصود إيصاله إلى السامع بطريقة مختصرة وأسلوب سهل، بغير تكلف وخطأ في تركيب الكلمة ووزنها الصحيح عند علماء الصرف واللغة. وبناء على هذا فلا بدّ من تعريف المبنى لغةً واصطلاحاً لأهميته في هذه الرسالة.

المبنى لغة: مصدر ميمي على وزن "مفعّل"، مشتقّ من البناء، والبناء نقيض الهدم، وبناء الشيء، أي ضمّ بعضه إلى بعض.

وذكر ابن فارس رحمه الله تعالى أنّ الباء والنون والياء أصل واحد، وهو بناء الشيء بضمّ بعضه إلى بعض. تقول بنيت البناء أبنيه. وتسمّى مكة البَنِيَّة^{١٣٩}.

والبَنِي: نقيض الهدم، بَنَى الْبَنَاءُ الْبِنَاءَ بَنِيًا وَبَنَاءً وَبَنَى مَقْصُورًا، وَبُنْيَانًا وَبُنْيَةً وَبِنَايَةً وَابْتَنَاهُ وَبَنَاهُ كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ مَنْظُورٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^{١٤٠}.

فالخلاصة أنّها تدل على نقيض الهدم، وضمّ الشيء بعضه إلى بعض. والحروف كاللبنّة، إذا اجتمعوا وضمّ بعضها إلى الآخر بنوا الكلمة وكوّنوها.

وأما في الاصطلاح: هو جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعاني، كالتصغير والتكسير واسم الفاعل واسم المفعول^{١٤١}.

وقيل: هو هيئة الكلمة الملحوظة من حركة وسكون وعدد حروف وترتيب^{١٤٢}.

^{١٣٩} ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ١، ص ٣٠٢، كتاب الباء.

^{١٤٠} ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤، ص ٩٣، فصل الباء.

^{١٤١} بدر الدين حسن بن قاسم أبو محمد المرادي، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، (بيروت: دار الفكر العربي، ط ١، ١٤٢٨ هـ/٢٠٠٨ م)، ج ٣، ص ١٥٠٨.

^{١٤٢} أحمد بن محمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، تحقيق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، (الرياض: مكتبة الرشد، د. ط، د. ت)، ص ١١.

وقيل المراد من بناء الكلمة ووزنها وصيغتها: هَيْئَتُهَا التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها، وهي عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها مع اعتبار الحروف الزائدة والأصلية كلٌّ في موضعه، فَرَجُلٌ مثلاً على هيئة وصفة يشاركه فيه "عَضْدٌ" ١٤٣.

وتعريف الأول من أحسن التعريفات فيما وقفت عليه؛ لشموليته وزن الكلمة والمعنى، فالمعنى لها دور في بنية الكلمة ووزنها الصرفي.

والمعنى لغة: مصدر ميمي على وزن "مفعل"، من عنا بمعنى القصد.
عَنَيْتَ فلاناً عَنِيّاً أي قصدته ومن تَعْنِي بقولك؟ أي مَنْ تقصد؟ وعناني أمرك أي قصدي ١٤٤.

والذي يدل عليه قياس اللغة، أنّ المعنى هو القصد الذي يبرز ويظهر في الشيء إذا بُحِثَ عنه. يقال: هذا معنى الكلام ومعنى الشعر، أي الذي يبرز من مكنون ما تضمّنه اللفظ ١٤٥.

فخلاصة معنى المفهوم بالمعنى في اللغة هو القصد الذي يبرز ويظهر في الشيء.
وأما اصطلاحاً: هي ما يقصد بشيء ١٤٦.
وقيل المعنى: ما يفهم من اللفظ ١٤٧.
وكلا التعريفين قريب المعنى لمفهوم المعنى، وإن كان الثاني أدقّ؛ لأنّ اللفظ لا يشاركه غيره، وأما الشيء يدخل فيه اللفظ وغيره.

-
- ١٤٣ محمد بن الحسن نجم الدين الرضي الإستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ج ١، ص ٢.
- ١٤٤ محمد بن أحمد بن الأزهر، أبو منصور، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م)، ج ٣، ص ١٣٦، باب العين والنون.
- ١٤٥ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٤، ص ١٤٨، كتاب العين.
- ١٤٦ علي بن محمد بن علي الزين الجرجاني، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص ٢٢٠.
- ١٤٧ أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة، د. ط، د. ت)، ص ٨٤٢.

والمراد بالمعنى هو المفهوم من ظاهر اللفظ، ففهم فحوى اللفظ وقصده هو لبّ المقصود المعنى.

فالمفهوم الظاهر من اللفظ هو عين المعنى.

فالخلاصة أنّ المبنى يدل على نقيض الهدم، وضّمّ الشيء بعضه إلى بعض. وفي الاصطلاح: هو جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعاني، كالتصغير والتكسير واسم الفاعل واسم المفعول.

وأنّ المعنى في اللغة تدل على القصد. وأما في الاصطلاح: ما يفهم من اللفظ.



المبحث السادس: أهمية الدلالة وأثرها عند اللغويين في زيادة المبنى

يُعد مبحث الدلالي في المفردات ودلالاتها من أهم الفروع التي يبحثها علم اللغة العربية، وعلم اللغة يدرس الكلمة من جوانب أربعة، وهي: بناء الكلمة، وبناء الجملة، والأصوات، والدلالة، فإنّ هذا الجانب الرابع هو الأكثر الأهمية، من حيث إنّّه يجمع الجوانب الثلاثة الأخرى في إطار واحد؛ كي تكون خادمة له من أجل إفراز المعنى وتحليل البنية اللغوية للجملة^{١٤٨}.

وإنّ مقصود المتكلّم وغرضه للكلام إفادة المعنى، وإظهار ما في ضميره وخاطره ليُفهم من يخاطب بكلامه فهمًا تامًّا، فمتى أراد المتكلّم تأكيد كلامه أو المبالغة فيه، فلا بدّ من الإتيان بما يدلّ على ذلك، إما بالزيادة على مبنى الكلمة، أو باستعمال وزن من أبنية الصرفية الدالة على الكثرة والمبالغة، أو غير ذلك مما يُؤكّد به الكلام عند أهل اللغة والبلاغة؛ لأنّ الألفاظ أدلة على المعاني، وقوة اللفظ لقوة المعنى.

اهتمّ أهل اللغة بهذه القضية، وأعطوها اهتمامًا كبيرًا، فقد خصّص لها ابن جني رحمه الله تعالى^{١٤٩} بابًا في كتابه الخصائص بقوله: "باب في قوة اللفظ لقوة المعنى، ثم قال: "هذا فصل من العربية حسن"^{١٥٠}. وكذلك ابن الأثير رحمه الله تعالى^{١٥١} تبع ابن جني في هذه القضية بقوله: "وهو نوع من علم البيان شريف المحل، لطيف المأخذ، وإنّما يعتمد إليه لضرب من المبالغة"^{١٥٢}.

^{١٤٨} ينظر: فتح الله أحمد سليمان، مدخل إلى علم الدلالة (القاهرة: مكتبة الآداب، ط ١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م)، ص ٥.
^{١٤٩} هو عثمان بن جني، أبو الفتح الموصليّ النحويّ اللغوي، المتوفى سنة (٣٩٢هـ). ينظر: القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج ٢، ص ٣٣٥.

^{١٥٠} ابن جني، الخصائص، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٤، د. ت)، ج ٣، ص ٢٦٨.
^{١٥١} هو نصر الله بن محمد بن محمد الشيباني ابن الأثير ضياء الدين أبو الفتح الجزري، الأديب الفاضل الناظم النثر، المتوفى سنة (٦٣٧هـ). ينظر: خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (بيروت: دار إحياء التراث، د. ط، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ج ٢٧، ص ٢٤.
^{١٥٢} ابن الأثير الكاتب، أبو الفتح، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تحقيق: مصطفى جواد، (بغداد: مطبعة المجمع العلمي، د. ط، ١٣٧٥هـ)، ص ١٩٣.

وأقدم من تكلم في هذا الباب وأجاد فيه بعد سيبويه رحمه الله تعالى^{١٥٣} حسب ما وقفت عليه ابن جني في كتابه الخصائص والمحتسب^{١٥٤}، وابن الأثير في كتابه المثل السائر كما سبق الإشارة إلى ذلك، وما ذاك إلا لعلمهما بعلو مكانه في أبواب المعاني رحمهما الله تعالى وغفر لهما.

ومن أمثلة زيادة المبنى الكلمة التي تدل على زيادة المعنى، قول العرب: حَشَنَ وَاخْشَوْشَنَ^{١٥٥}، فمعنى خشن دون معنى اخشوشن؛ لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو، نحو "فعل" و"افعول"، ومنه قول عمر رضي الله عنه^{١٥٦}: "اخشوشنوا وتَعَدَّدُوا"^{١٥٧}، أي اصلبوا وتناهوا في الخشنة.

وكذلك قولهم: أعشب المكان، فإذا أرادوا كثرة العشب فيه قالوا: اعْشَوْشَبَ. ومثله حلا واخلوئي^{١٥٨}، وخلق واخلوَلَقَ^{١٥٩}. وبابه فعل وافتعل، نحو قدر واقتدر. فاقتدر أقوى معنى من قولهم: قدر^{١٦٠}.

^{١٥٣} هو عمرو بن عثمان بن قنبر، مولى بني الحارث، سيبويه، وهو اسم فارسي، فالسي ثلاثون، وبويه رائحة، فكأنه في المعنى: ثلاثون رائحة. وكان فيما يقال حسن الوجه. المتوفى سنة (١٨٠هـ). ينظر: محمد بن الحسن بن عبيد الله الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار المعارف، ط ٢، د.ت)، ص ٦٦. وسيأتي كلام سيبويه بعد قليل.

^{١٥٤} ينظر: ابن جني، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (القاهرة: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، د.ط، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ج ٢، ص ١٣٤.

^{١٥٥} من الخشونة: وهي ضد اللين. واخشوشن الشيء: اشتدت خشونته. وهو للمبالغة، كقولك: أعشبت الأرض واعشوشبت. الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج ٥، ص ٢١٠٨.

^{١٥٦} هو صحابي جليل، عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي، أبو حفص الفاروق، أمير المؤمنين وثاني خلفاء الراشدين، من أشرف قریش، وإسلامه كان عزّ للمسلمين، شهد بدرًا وغيرها، وفضائله كثيرة رضي الله عنه، المتوفى سنة (٢٤هـ). ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤، ص ١٣٧.

^{١٥٧} تعددوا: أي تباعد. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٢، ص ١٥٤، باب الدال والعين.

^{١٥٨} من الخلو: بمعنى نقيض المُرّ. يقال: حلا الشيء يخلو حلاوة. واخلوَى مثله. ينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج ٦، ص ٢٣١٧.

^{١٥٩} يقال اخلوَلَقَ السحاب: بمعنى استوى. ورَسَمَ مُخْلَوَلَقٌ، إذا استوى بالأرض. ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٢١٤، كتاب الحاء.

^{١٦٠} ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ٣، ص ٢٦٨.

وقد أشار سيبويه رحمه الله في الكتاب أنه يوجد الفرق بين كسب واكتسب من ناحية المعنى، وذلك للزيادة على مبنى الكلمة كما قال: "وأما كسب، فإنه أصاب، واكتسب فهو التصرف والطلب والاجتهاد بمنزلة الاضطراب". كما ذكر أبو سعيد رحمه الله تعالى ١٦١ أن سيبويه فرق بين كسب واكتسب ١٦٢.

وأكد ابن جني هذا الفرق - الذي سببته الزيادة في مبنى الكلمة - بتوضيح جيد عند قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فقال: "وتأويل ذلك أن كسب الحسنة بالإضافة إلى اكتساب السيئة أمر يسير ومستصغر، وذلك لقول الله تبارك وتعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

أفلا ترى أن الحسنة تصغر بإضافتها إلى جزائها صغر الواحد إلى العشرة، ولما كان جزاء السيئة إنما هو بمثلها، لم تحتقر إلى الجزاء عنها، فعلم بذلك قوة فعل السيئة على فعل الحسنة؛ ولذلك قال تبارك وتعالى: ﴿تَكَادُ السَّمُوتُ يَنْفَطِرُنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مریم: ٩٠]، فإذا كان فعل السيئة ذاهباً بصاحبه إلى هذه الغاية البعيدة المترامية، عظم قدرها، وفخم لفظ العبارة عنها، فقليل: لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت. فزيد في لفظ فعل السيئة، وانتقص من لفظ فعل الحسنة لما ذكرنا ١٦٣.

١٦١ هو الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو سعيد السيرافي النحوي القاضي سكن بغداد، وولي القضاء بها، وكان يدرس القرآن والقراءات واللغة وغيرها، وكان من أعلم الناس بنحو البصريين، المتوفى سنة (٣٦٨هـ). ينظر: أحمد بن علي بن مهدي، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ج ٨، ص ٣١٦.

١٦٢ ينظر: الحسن بن عبد الله بن المرزبان، أبو سعيد السيرافي، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٨م)، ج ٤، ص ٤٥٢.

١٦٣ ابن جني، الخصائص، ج ٣، ص ٢٦٨.

وذكر الزبيدي رحمه الله تعالى^{١٦٤} أنَّ الشُّقْدُفَ، كقُنْفُذٍ: وهو مركب معروف بالحجاز، يركبه الحُجَّاج إلى بيت الله الحرام، وهو أوسع من العماري، وأعظم جرماً، والجمع: شَقَادِف.

قال سمعت بعض مشايخي يقول: إنه مرَّ رجل على عراقيٍّ، فقال له: ما تسمّون هذا عندكم فقال: الشَّقْدَفُ، فقال: أليس هو الشُّقْدُفُ قال: لا، ألا تدري أنَّ زيادة البناء تدل على زيادة المعنى، وهذا أعظم من شَقَادِفِكُمْ، وأوسعها جرماً^{١٦٥}، وهذا مما يدل على اهتمام اللغويون بهذه القضية.

واستنبط الصبَّان أيضاً رحمه الله تعالى^{١٦٦} أنَّ زيادة البناء تدل على زيادة المعنى في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ جَنًّا وَلَيْكُونًا مِّنَ الصَّغِيرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢] أنَّ امرأة العزيز كانت أشد حرصاً على سجنه من كونه صاعراً؛ للزيادة الموجودة على وزن الكلمة بالنون التوكيد الثقيلة ﴿لَيْسَ جَنًّا﴾، فإنَّها كانت تتوقَّع حبسه في بيتها فتتقرَّب منه وتراه كلما أرادت^{١٦٧}.

وعلى ما سبق ذهب اللغويون إلى أنَّ اللَّفْظ إذا كان على وزن من الأوزان، ثم نُقِلَ إلى وزن آخر أكثر منه، فلا بدَّ أن يتضمَّن من المعنى أكثر مما يتضمَّنهُ أولاً؛ لأنَّ الألفاظ أدلَّة على المعاني، وأمثلة للإبانة عنها، فإذا زيدَ في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني بقدر ما زيدَ في الألفاظ، وهذا المقصود عند أهل اللغة بقوة اللفظ لقوة المعنى، أو زيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، فإذا أرادوا مبالغة المعنى زادوا في بنية الكلمة كنحو كلمة العشب قالوا "اعشوشب".

^{١٦٤} هو محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، أبو الفيض، الملقب بمرتضى: علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين، المتوفى سنة (١٢٠٥هـ). ينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، الأعلام، (بيروت: دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م)، ج ٧، ص ٧٠.

^{١٦٥} ينظر: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، أبو الفيض الملقب بمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (الكويت: دار الهداية، د.ط، د.ت)، ج ٢٣، ص ٥٢٥.

^{١٦٦} هو محمد بن علي الصبان، أبو العرفان المصري، عالم بالعربية والأدب، المتوفى سنة (١٢٠٦هـ)، ينظر: الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ٢٩٧.

^{١٦٧} ينظر: محمد بن علي الصبان الشافعي، أبو العرفان، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ج ٣، ص ٣١٤.

وكذلك "قَدَرَ" واقتَدَرَ، فمعنى "اقتدر" أقوى من معنى "قدر"، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القَمَر: ٤٢]، فمقتدر هنا أبلغ من قادر، وإنما عدل إليه للدلالة على تفخيم الأمر، وشدة الأخذ الذي لا يصدر إلا عن قوة الغضب، أو للدلالة على بسطة القدرة، فإنَّ المقتدر أبلغ في البسطة من القادر، وذاك أنَّ "مقتدر" اسم فاعل من "اقتدر"، و"قادر" اسم فاعل من "قدر"، ولا شك أنَّ "افتعل" أبلغ من "فعل". وعلى هذا ورد قول الشاعر:

فَعَفَوْتُ عَنِّي عَفْوَ مُقْتَدِرٍ *** حَلَّتْ لَهُ نَقْمٌ فَأَلْفَاهَا

أي: عفوت عني عفو قادر متمكن القدرة لا يردّه شيء عن إمضاء قدرته^{١٦٨}. واخْدَوْدَبَ أقوى معنى من حَدَبٍ، واَعْشَوْشَبَ أقوى من أَعْشَبَ؛ وذلك لكثرة الحروف، وأصل هذا كله من "فَعَلَ" في الفعل، كقَطَّعت وكَسَّرت، ألا تراها أقوى معنى من قَطَّعت وكَسَّرت؟ وعليه جاء قوله: ﴿أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾، فهو أبلغ من قادر^{١٦٩}. والأمثلة على مثل هذا في القرآن كثيرة جدًا منها: قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠]. فإنَّ غفَّارًا أبلغ في المغفرة من غافر؛ لأنَّ فعَّالًا يدل على كثرة صدور الفعل، وفاعلاً لا يدل على الكثرة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوْبِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢]. فالتَّوَاب هو الذي تتكرَّر منه التوبة مرَّة بعد مرَّة، وهو فعَّال، وذلك أبلغ من التائب الذي هو فاعل، فالتائب اسم فاعل من تاب يتوب فهو تائب: أي صدرت منه التوبة مرَّة واحدة؛ فإذا قيل: تَوَّاب؛ كان صدور التوبة منه مرارًا كثيرًا. وإنما يعمد إلى هذا الأسلوب لضرب من التوكيد، ولا يوجد ذلك إلا فيما فيه معنى الفعلية؛ كاسم الفاعل والمفعول. وكالفعل نفسه، نحو قوله تعالى: ﴿فَكُبِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ [الشُّعْرَاء: ٩٤].

^{١٦٨} ينظر: ابن الأثير الكاتب، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج ٢، ص ٥٦.

^{١٦٩} ابن جني، المحتسب، ج ٢، ص ١٣٤.

فمعنى كبكبوا من الكبّ، وهو القلب، إلا أنّه مكرّر المعنى، وإنما استعمل في الآية دلالة على شدة العقاب؛ لأنه موضع يقتضي ذلك.

واعلم أنّ الزيادة مطلقة في الألفاظ لا توجب زيادة في المعاني، إلا إذا تضمّنت معنى الفعلية؛ لأنّ الأسماء التي لا معنى للفعل فيها إذا زيدت استحال معناها، ألا ترى لو نقلت لفظة "عذب" وهي ثلاثية، إلى الرباعي فقلت: "عذيب"، على وزن "جعفر" لاستحال معناها، ولم يكن لها معنى، وهذا بخلاف ما فيه معنى الفعلية؛ كقادر ومقتدر، فإنّ قادراً اسم فاعل "قدر" وهو ثلاثي، ومقتدراً اسم فاعل "اقتدر" وهو رباعي؛ فلذلك كان معنى القدرة في "اقتدر" أشد من معنى القدرة في "قدر"، وهذا لا نزاع فيه. وهذا الباب بجملته لا يقصد به إلا المبالغة في إيراد المعاني ١٧٠.

شروط إفادة زيادة المبنى على المعنى:

إنّ لزيادة المبنى على المعنى شروطاً، تتلخّص في أربعة أمور وهي:
أولاً: أنّ هذا الباب إنما يعتمد إليه لضرب من التوكيد، ولا يوجد إلا فيما فيه معنى الفعلية، كاسم الفاعل واسم المفعول وكالفعل نفسه، كنحو قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾؛ لأنّ غفّاراً أبلغ في المغفرة من غافر.
وليس من هذا الباب: زيادة التصغير؛ لأنّ الزيادة في الألفاظ لا توجب زيادة في المعاني إلا إذا تضمّنت معنى الفعلية ١٧١.

ثانياً: أن يتنبّه المتكلّم عند استعمال هذا الأسلوب زيادة المبنى في مقام المبالغة؛ لأنّه قد يستعمله فينعكس المعنى فيه إلى ضد قصد المتكلّم إذا لم يتنبّه لذلك، كما جاء لأحد شعراء الحماسة بقوله:

لله تَئِيمٌ أَيُّ رُمَحٍ طَرَادٍ ***** لَأَقَى الحِمَامَ بِهِ وَنَصَلَ جِلَادٍ
وَمَحَشٍ حَرْبٍ مُّقْدِمٍ مُتَعَرِّضٍ ***** لِلْمَوْتِ غَيْرِ مُعَرِّدٍ حَيَّادٍ

١٧٠ ينظر: ابن الأثير الكاتب، أبو الفتح، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج ٢، ص ٥٧.

١٧١ ينظر: حسن بن إسماعيل بن حسن الجناحي، خصائص النظم في خصائص العربية لأبي الفتح عثمان بن جني، (مصر: دار الطباعة المحمدية القاهرة، ط ١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص ٧١.

فقد أراد الشاعر بلفظه "حيّاد" المبالغة في وصف شجاعة هذا الرجل، فانعكس عليه المقصد؛ لأنه نفى كثرة الحيدودة عنه؛ فيكون بهذا حائداً، وإذا وُجدت منه مرة واحدة كان جَبَنًا لا شجاعة، وكان الأولى أن يقول غير مكذّب حائد.

ثالثاً: إذا وردت لفظة تحتل التضعيف الذي هو طريق المبالغة وتحتل غيره، فإن اقتضى المقام حملها على المبالغة كان ذلك أولى.

رابعاً: إنَّ قوة اللفظ لقوة المعنى، لا تستقيم إلا في نقل اللفظ من صيغة إلى صيغة أكثر منها، كنقل الثلاثي إلى الرباعي، فإذا كانت صيغة الرباعي مثلاً موضوعة لمعنى، فإنّه لا يراد به ما أريد من نقل الثلاثي إلى مثل تلك الصيغة، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، فإنَّ كَلَّمَ على وزن قَتَلَ ولم يرد به التكثير، ومن هنا شدّ قولهم في "عليم" إنّه أبلغ من "عالم"؛ لأنَّ كَلَّمَ منهما أربعة أحرف، وليس بينهما زيادة ينقل فيها الأدنى إلى الأعلى ١٧٢.

فالحلاصة أنَّ اللَّفْظ إذا كان على وزن من الأوزان، ثم نُقِلَ إلى وزن آخر أكثر منه، فلا بدَّ أن يتضمَّن من المعنى أكثر مما كان يتضمَّنهُ أولاً؛ لأنَّ الألفاظ أدلّة على المعاني، فإذا زيدَ في الألفاظ أوجبَت القسمةُ زيادةَ المعاني بقدر ما زيدَ في الألفاظ، فإذا أرادوا مبالغة المعنى زادوا في بنية الكلمة كنحو كلمة العشب قالوا "اعشوشب".

وإنما يعمد إلى هذا الأسلوب لضرب من التوكيد، ولا يوجد ذلك إلا فيما فيه معنى الفعلية، كاسم الفاعل والمفعول وكالفعل نفسه كما سبق المثال عليه.

والزيادة المطلقة في الألفاظ لا توجب زيادة في المعاني، إلا إذا تضمَّنت معنى الفعلية؛ لأنَّ الأسماء التي لا معنى للفعل فيها إذا زيدت استحال معناها، كنحو لفظ "عَذَب" وهو ثلاثي لو نُقِلَ إلى الرباعي فقلت: "عذيب" لاستحال معناها، ولم يكن لها معنى، وهذا بخلاف ما فيه معنى الفعلية كقادر ومقتدر، فاقترأ أشد من معنى القدرة في قدر، وهذا الباب بجملة لا يقصد به إلا المبالغة في إيراد المعاني.

١٧٢ ينظر: الجناحي، خصائص النظم في خصائص العربية لأبي الفتح عثمان بن جني، ص ٧٣.

المبحث السابع: أثر الدلالة في علوم القراءات

سبق في المبحث السابق، أنّ دلالة الزيادة على مبنى الكلمة لها أهمية وأثر عند اللغويين في زيادة المعنى، وفي هذا المبحث سيكون الكلام عن أثر هذه الدلالة في القراءات القرآنية بإذن الله تعالى.

فالدلالة لها أثر واضح في علوم القراءات، وخاصة في جانب توجيه القراءات؛ إذ هو من ثمرة القراءات؛ لأنه وسيلة إلى تدبر القرآن وفهم معانيه، الذي أمر الله به في كتابه بقوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]، فلا يتم التدبر إلا بفهم المعنى، وكل ما كان الفهم عميقاً دقيقاً، كان التدبر أدق وأكثر.

وفهم معنى المراد من القراءة، لا يتم إلا بالنظر إلى دلالة اللفظ وأثرها فيه، ما الذي أفادته هذه الدلالة وما أثرها في المعنى؟

وهذه الدلالة قد تكون بتحويل صيغة بنية الكلمة إلى صيغة أقوى منها في الدلالة والمعنى. كنحو قوله تعالى: ﴿كُلُّ عَامِنٍ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتِبَ عَلَيْهِ وَرُسُلُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ففي كلمة ﴿وَكُتِبَ عَلَيْهِ﴾ قراءتان متواترتان، قراءة ﴿وَكُتِبَ عَلَيْهِ﴾ بالألف على الإفراد، وقراءة ﴿وَكُتِبَ عَلَيْهِ﴾ بحذف الألف على الجمع^{١٧٣}.

فقراءة ﴿وَكُتِبَ عَلَيْهِ﴾ بالألف على الإفراد، تحوّل وزنها إلى الأقوى وهو جمع التكسير، الذي جاء على وزنه قراءة ﴿وَكُتِبَ عَلَيْهِ﴾ بحذف الألف على الجمع. فقراءة الجمع بتحويل وزن الكلمة إلى أقوى هو الذي أفاد زيادة المعنى؛ لإفادته الجمع مطلقاً بدون احتمال القلة.

وقد تكون الدلالة بالزيادة على وزن الكلمة كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَظْهَرَنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ففي ﴿يَظْهَرَنَّ﴾ قراءتان متواترتان، ﴿يَظْهَرَنَّ﴾ بتشديد في الطاء والهاء، و﴿يَظْهَرَنَّ﴾ بتخفيف في الطاء وضم الهاء^{١٧٤}.

^{١٧٣} قرأها حمزة والكسائي وخلف ﴿وَكُتِبَ عَلَيْهِ﴾ بالألف على الإفراد، وقرأها الباقون ﴿وَكُتِبَ عَلَيْهِ﴾ بحذف الألف على الجمع. ينظر: ابن سوار، المستنير، ص ٤٩١؛ وابن بليمة، تلخيص العبارات، ص ٧٤.

^{١٧٤} قرأها حمزة والكسائي وخلف وشعبة ﴿يَظْهَرَنَّ﴾ بتشديد الطاء والهاء، وقرأها الباقون ﴿يَظْهَرَنَّ﴾ بتخفيف الطاء وضم الهاء. ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص ١٤٦.

فقراءة ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بالتخفيف تدل بمجرد انقطاع دم الحيض تطهر المرأة، يحل وطأها لزوجها، وعلى قراءة ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بالتشديد تدل على أنّ المرأة لا يجوز وطأها لزوجها حتى تغتسل بالماء بعد انقطاع الدم^{١٧٥}.

وقد أفادت قراءة ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بالتشديد زيادة المعنى على قراءة ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بالتخفيف، وهو وجوب الغسل قبل وطأ المرأة بعد انقطاع الدم، والذي دل على ذلك وأثر، الزيادة على وزن الكلمة.

وعلى هذا اختلف الفقهاء في وطء الحائض في طهرها قبل الاغتسال، فذهب مالك^{١٧٦} والشافعي^{١٧٧} والجمهور إلى أنّ ذلك لا يجوز حتى تغتسل، وذهب أبو حنيفة^{١٧٨} وأصحابه إلى أنّ ذلك جائز إذا طهرت لأكثر أمد الحيض، وهو عنده عشرة أيام، وذهب الأوزاعي^{١٧٩} إلى أنّها إن غسلت فرجها بالماء جاز وطؤها وبه قال أبو محمد بن حزم^{١٨٠} رحمهم الله جميعاً رحمةً واسعة.

وقد رجّح الجمهور مذهبهم بأنّ صيغة التفعّل إنما تنطبق على ما يكون من فعل المكلفين، لا على ما يكون من فعل غيرهم، فيكون قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] أظهر في معنى الغسل بالماء منه في الطهر الذي هو انقطاع الدم، والأظهر يجب

^{١٧٥} ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١٣٥.

^{١٧٦} هو مالك بن أنس الأصبحي، أبو عبد الله الإمام، فقيه المدينة، إليه ينتسب مذهب المالكية، المتوفى سنة (١٧٩هـ).
ينظر: إبراهيم بن علي الشيرازي، أبو اسحاق، طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار الرائد العربي، ط ١، ١٩٧٠م)، ص ٦٧.

^{١٧٧} هو محمد بن إدريس بن العباس القرشي المطلب الشافعي، أبو عبد الله الإمام الفقيه، إليه ينتسب مذهب الشافعية، المتوفى سنة (٢٠٤هـ). ينظر: المصدر نفسه، ص ٧١.

^{١٧٨} هو النعمان بن ثابت التيمي، أبو حنيفة الإمام، فقيه الملة، عالم العراق، إليه ينتسب مذهب الحنفية، المتوفى سنة (١٥٠هـ). ينظر: المصدر نفسه، ص ٨٦.

^{١٧٩} هو أبو عمرو، عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، فقيه مجتهد، قال ابن مهدي: ما كان أحد بالشام أعلم بالسنة من الأوزاعي. وقال هقل بن زياد: أجاب الأوزاعي في سبعين ألف مسألة، المتوفى سنة (١٥٧هـ). ينظر المصدر نفسه، ص ٧٦.

^{١٨٠} هو أبو محمد، علي بن أحمد بن حزم الفارسي الأصل القرطبي الظاهري، كان أولاً شافعيًا ثم صار ظاهريًا مجتهدًا. المتوفى سنة (٤٥٦هـ). ينظر: حاجي خليفة، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، ج ٢، ص ٣٤٨.

المصير إليه حتى يدل الدليل على خلافه، ورجح أبو حنيفة مذهبه بأن لفظ "يفعلن" في قوله تعالى: ﴿يَطْهَرْنَ﴾ هو أظهر في الطهر الذي هو انقطاع دم الحيض منه في التطهر بالماء ١٨١. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]. ورد في كلمة ﴿فَيُضْعِفُهُ﴾ أربع قراءات وهي: ﴿فَيُضْعِفُهُ﴾ و﴿فَيُضْعِفُهُ﴾ و﴿فَيُضْعِفُهُ﴾ و﴿فَيُضْعِفُهُ﴾ ١٨٢. فقراءة التخفيف ﴿فَيُضْعِفُهُ﴾ و﴿فَيُضْعِفُهُ﴾ أن "ضاعف" أكثر من "ضعف" لقوله: ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾. ودليله قوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وقراءة التشديد ﴿فَيُضْعِفُهُ﴾ و﴿فَيُضْعِفُهُ﴾ أن المعنى فيها تكرير الفعل والمداومة، وزيادة الضعف على الواحد إلى ما لا نهاية له؛ لأن الله عز وجل يضعف له أضعافاً كثيرة بالواحد إلى سبعمائة ضعف إلى حيث شاء الله تبارك وتعالى. وأما رفع الفاء ونصبها، فمن رفع عطف على ﴿يُقْرِضُ﴾، ومن نصب فعلى جواب الاستفهام ١٨٣.

وأثر المستفاد من قراءة التشديد ﴿فَيُضْعِفُهُ﴾ و﴿فَيُضْعِفُهُ﴾ بالزيادة على المبنى الكلمة هو تكرير الفعل والمداومة، وإن كانت قراءة التخفيف تشير إلى ذلك، لكنه أوضح في قراءة التشديد.

ومن أثر زيادة مبنى الكلمة على المعنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ففي كلمة ﴿يَصْعَدُ﴾ ثلاث قراءات ﴿يَصْعَدُ﴾ و﴿يَصْعَدُ﴾ و﴿يَصْعَدُ﴾ ١٨٤.

١٨١ محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، أبو الوليد، المشهور بابن رشد الحفيد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، (القاهرة: دار الحديث، د. ط، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ج ١، ص ٦٤.

١٨٢ قرأ ابن كثير وأبو جعفر وروح ﴿فَيُضْعِفُهُ﴾ بالرفع والتشديد، وقرأ ابن عامر ورويس ﴿فَيُضْعِفُهُ﴾ بالنصب والتشديد، وقرأ عاصم ﴿فَيُضْعِفُهُ﴾ بالنصب والألف، وقرأ أبو عمرو ونافع وحمة والكسائي وخلف ﴿فَيُضْعِفُهُ﴾ بالرفع والألف. ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص ١٤٧.

١٨٣ ينظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ٩٨. وابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١٣٩.

فقراءة ﴿يَصْعَدُ﴾ من الصعود، والمعنى أنه في نفور الكافر من الإسلام وثقله عليه بمنزلة مَنْ تكلف ما لا يطيقه، كما أنَّ صعود السماء لا يستطيع.

وقراءة ﴿يَصْعَدُ﴾ أصلها "يتصعد" والمعنى: أنه يتكلف ما يثقل عليه، وكأنه يتكلف شيئاً بعد شيء، كقولهم: يتفوق ويتجرع، ونحو ذلك مما يتعاطى فيه الفعل شيئاً بعد شيء، و﴿يَصْعَدُ﴾ مثل: يتصعد في المعنى مثل: ضاعف وضعف وناعم ونعم^{١٨٥}.

فقراءة ﴿يَصْعَدُ﴾ زادت معنى على قراءة ﴿يَصْعَدُ﴾ لزيادة مبنى الكلمة، فدللت الزيادة على المبالغة والتكثير.

وغير ذلك من أثر دلالة الزيادة على المعنى، مما يكون أثر المعنوي المستفاد من بنية الكلمة بالزيادة على مبنى الكلمة أو بتحويل وزن الكلمة إلى أقوى منه، وهذا الذي سيتناوله البحث في فصول القادمة بعون الله وتوفيقه، والله أسأل التوفيق والسداد.

^{١٨٤} قرأ ابن كثير بسكون الصاد وتخفيف العين ﴿يَصْعَدُ﴾، وقرأ شعبة بفتح الصاد مشددة وألف بعدها وتخفيف العين ﴿يَصْعَدُ﴾، وقرأ الباقون بتشديد الصاد والعين ﴿يَصْعَدُ﴾. ينظر: ابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٢٦٢.

^{١٨٥} الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجايي، (دمشق: دار المأمون للتراث، ط ٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ج ٣، ص ٤٠٢.

خلاصة الفصل

وخلاصة هذا الفصل تتمثل في الآتي:

أنّه تضمّن تعريف المصطلحات المتعلقة بهذا البحث، القراءات والتوجيه والدلالة والمبنى والمعنى لغةً واصطلاحاً.

الكلام عن أهمية القراءات وفوائدها كالتيسير على الأمة، وإظهار وجه إعجاز القرآن وبلاغته، وكون القراءات مصدر للغة العربية وغير ذلك مما سبق ذكره. وكذلك تناول البيان عن شروط القراءة الصحيحة.

وأنّ توجيه القراءات يعد تفسيراً وتعليلاً لمعنى القراءة، وطريقاً للدفاع عن القراءات القرآنية، وله أهمية كبيرة جدّاً، فهو من أهمّ ثمرات القراءات، وله مسمّيات منها الاحتجاج والعلل والحجة وغير ذلك مما سبق.

والعلاقة بين علم التوجيه والقراءات، علاقة تكاملية قوية جدّاً، يكمل أحدهما الآخر؛ لأنّ القراءات رواية ودراية، والتوجيه من الدراية وفهم تلك الرواية. والدلالة هي الأثر المعنويّ المستفاد من بنية الكلمة، ومن التغيرات التي تحوّلها إلى أبنية مختلفة هو المراد بالدلالة.

وأنّ العلم بمباني الكلمات ووزنها الصرفي، مما يمكن الإنسان في اللغة العربية الصحيحة، بحيث يكون كلامه في جودة عالية، وقوة في المعنى المقصود إيصاله إلى السامع بطريقة مختصرة وأسلوب سهل، بغير تكلف وخطأ في تركيب الكلمة ووزنها الصحيح عند علماء الصرف.

أنّ دلالة زيادة المبنى لها أهمية وأثر عند أهل اللغة في زيادة المعنى، وكذلك لها أثر في القراءات القرآنية كما سبق ذكر ذلك، وسيأتي في الفصول القادمة المزيد من الأمثلة على ذلك بإذن الله سبحانه وتعالى.

الفصل الثالث

أثر دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى في القراءات القرآنية في سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران

التمهيد

يتناول هذا الفصل القراءات العشر المتواترة الفرشية، التي اختلفت بنية كلماتها مع القراءة الأخرى في نفس الكلمة من حيث الزيادة بالألف، أو بالثقل والتخفيف، أو التي تحوّل وزنها وأبنيتها إلى أقوى منها المتعلقة بالمعنى، من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة آل عمران. وقد بلغ عدد الكلمات الفرشية في هذا الفصل، ثمانية وثلاثين قراءةً من القراءات، موضع واحد في سورة الفاتحة، وستة وعشرون قراءةً في سورة البقرة، وإحدى عشرة قراءةً في سورة آل عمران.

ويعتمد الباحث في هذا الفصل على كتب القراءات نظمها ونثرها، وكتب توجيه القراءات والتفسير واللغة وغيرها بإذن الله تعالى.

ويورد البحث الدليل على القراءات من منظومتي الشاطبية للإمام الشاطبي والدرّة المضية للإمام ابن الجزري رحمهما الله تعالى، مع تعميق محل الشاهد من البيت، الكلمة القرآنية والرمز أو اسم القارئ. وإذا كان القراء الثلاثة التي في الدرّة على أصولهم لم يختلفوا، أكتفي بذكر الشاهد من الشاطبية كما عليه ابن الجزري في الدرّة، أنّه ذكر فيها ما اختلف القراء الثلاثة أصولهم وشيوخهم في الشاطبية فقط.

فكل ما سبق تمهيد لما سيأتي في هذا الفصل وما بعده من الفصول بإذن الله تعالى، فالله أسأل التوفيق والسداد، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: سورة الفاتحة

المبحث الثاني: سورة البقرة

المبحث الثالث: سورة آل عمران

المبحث الأول: سورة الفاتحة

يتناول هذا المبحث أثر دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى في القراءات القرآنية الفرشية في سورة الفاتحة، التي زاد مبنى الكلمة على القراءة الأخرى المتعلق بالمعنى. ويقوم الباحث بدراسة المواضع في هذه السورة، الواحد تلو الآخر، وفق ترتيب القراءات وإيرادها في القرآن الكريم.

الموضع الأول: قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الْفَاتِحَةُ: ١].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿مَلِكٍ﴾، فقرأها عاصم والكسائي ويعقوب وخلف البزار ﴿مَلِكٍ﴾ بالألف، وقرأها الباقون ﴿مَلِكٍ﴾ بغير الألف^١.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى^٢:

وَمَالِكٍ يَوْمَ الدِّينِ رَاوِيهِ نَاصِرٌ *** وَعَنْدَ سِرَاطٍ وَالسِّرَاطُ لِي قُنْبُلًا^٣.

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

وَبَسْمَلٍ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ أَيْمَةً *** وَمَالِكٍ حَزْزُ وَالصِّرَاطُ فِيهِ اسْجَلًا^٤.

توجيه القراءة:

^١ ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص ٨٦. وظاهر بن عبد المنعم بن غلبون الحلبي، أبو الحسن، التذكرة في القراءات الثمان، تحقيق: أيمن رشدي سويد، (جدة: الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن، ط ١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م)، ص ٦٥.

^٢ هو القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد، أبو القاسم الرعيني الشاطبي المقرئ الضرير، صاحب المنظومتين المشهورتين في القراءات والرسم، حرز الأمان وعقيلة أتراب القصائد، المتوفى سنة (٥٩٠هـ). ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ص ٣١٢.

^٣ ينظر: القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد، أبو القاسم الرعيني الشاطبي، متن الشاطبية = حرز الأمان ووجه التهامي، تحقيق: محمد تميم الزعبي، (السعودية: دار الهدى، ط ١١، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، ص ٩، بيت رقم [١٠٨].

^٤ ابن الجزري، الدرّة المضيئة في القراءات الثلاث المرضية، تحقيق: محمد تميم الزعبي، (السعودية: دار الهدى، ط ٦، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م)، ص ١٦، بيت رقم [١٠].

أَنَّ قراءة ﴿مَلِك﴾ بغير الألف من المُلِك، والمَلِك أخص من المالك وأمدح؛ لأنَّه قد يكون المالك غير ملك، ولا يكون الملك إلا مالِكًا، ويؤيده قوله تعالى: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمُلْكُ الْحَقُّ﴾ [طه: ١١٤].

ومَلِك يجمع مالِك، ومالك لا يجمع ملك، ثم إنَّ مَلِكًا أبلغ في المدح، والآية إنما نزلت في المدح بدلالة ما قبلها، والربوبية والملِك متشابهان، ولا يكون مَلِكًا حتى يكون مالِكًا لكثير من الأشياء.

وقراءة ﴿مَلِك﴾ بالألف من المُلِك، والمَلِك داخل تحت المالك. لقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦]، والوصف بالملِك أعم من الوصف بالملِك؛ لأنَّه ينطبق على كل شيء، فالله تعالى مالِك كل شيء، والمعنى في الآية أنَّه يملك الحُكْم في يوم الدين، فالملِك إنما يكون مع الناس، والمالك مع غيرهم، يقال: هو ملك الناس ومالك الدراهم، والله تعالى مالِك للناس ولغيرهم^٥.

وذكر أبو علي الفارسي رحمه الله تعالى^٦ أنَّ ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٢]، مثل سيِّد الناس وربِّ الناس، و﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فلا يقال: سيِّد يوم الدين، وإذا كان مع الناس وما يفضل عليهم كان "ملك"، وإذا كان مع غير الناس كان "مالك"^٧. ومعنى المالك: المتصرِّف في الأعيان المملوكة على أي وجه كان، والملِك: المتصرِّف بالأمر والنهي في المأمورين^٨.

^٥ ينظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ٦٢. ونصر بن علي بن محمد، المشهور بابن أبي مريم، أبو عبد الله الشيرازي الفارسي النحوي، الموضح في وجوه القراءات وعللها، تحقيق: د. عمر حمدان الكبيسي، (جدة: الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، ط ١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ج ١، ص ٢٢٩.

^٦ هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو علي الفارسي النحوي، علت منزلته في النحو، حتى قال قوم من تلامذته: هو فوق المبرِّد وأعلم، صاحب كتاب الحجة في القراءات وغيره، المتوفى سنة (٣٧٧هـ). ينظر: القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج ١، ص ٣٠٨.

^٧ أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ١، ص ١١.

^٨ الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: الدكتور محمد عبد العزيز بسيوني، (جامعة طنطا: كلية الآداب، ط ١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ج ١، ص ٥٦.

والفرق بينهما، أنّ المالك من المخلوقين، قد يكون غير ملك، وإن كان الله تعالى مالكا كان ملكا، فإذا وُصف الله تعالى بأنّه ملك، يكون ذلك من صفات ذاته، وإذا وُصف بأنّه مالك، يكون ذلك من صفات أفعاله^٩.

ويظهر خلال ما سبق أنّ علماء التوجيه اختلفوا في توجيه القراءتين، حيث يرى البعض قراءة ﴿مَلِكٍ﴾ أشمل في المعنى من قراءة ﴿مُلِكٍ﴾، ويرى بعض الآخر عكس ذلك، أنّ قراءة ﴿مُلِكٍ﴾ أشمل وأوسع للمعنى من قراءة ﴿مَلِكٍ﴾، وقيل بأنّ معناهما واحد مثل فرهين وفارهي.

والحقيقة عند التأمل والنظر في القراءتين، نجد في قراءة ﴿مُلِكٍ﴾ زيادة ألف في الوزن "فاعل" على قراءة ﴿مَلِكٍ﴾ بوزن "فَعَلَ"، فمالك تصحّ إضافته في اللفظ إلى سائر المخلوقات، العقلاء وغير العقلاء، فيقال: هو مالك الناس والجن، ومالك الحيوان ومالك الرياح، ومالك الطير وغير ذلك من الأشياء، ولا يقال هو ملك الريح والحيوان، فبناءً على هذا، الوصف بالملك أعم من الوصف بالملك، وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

والمملك يكون أبلغ في المدح من مالك في صفة المخلوقين؛ لأنّ أحدهم يملك شيئا دون شيء والله يملك كل شيء؛ لأنه يملك الجميع وتحيط به قدرته ويحكم يوم الدين بين خلقه دون سائر خلقه.

والحق أنّ لكل واحد من الوصفين نوع أخصية لا يوجد في الآخر، فالمالك يقدر على ما يقدر عليه الملك من التصرفات بما هو مالك له بالبيع والهبة والعتق ونحوها، والملك يقدر على ما لا يقدر عليه المالك من التصرفات العائدة إلى تدبير الملك وحياطته ورعاية مصالح الرعية، فالمالك أقوى من الملك في بعض الأمور، والملك أقوى من المالك في بعض الأمور، وهذا في صفات المخلوقين. وأمّا بالنسبة إلى الرب سبحانه وتعالى فالفرق بين الوصفين، أنّ

^٩ ينظر: علي بن محمد بن محمد الماوردي، أبو الحسن، تفسير الماوردي = النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، ج ١، ص ٥٦.

المالك صفة لذاته، والمالك صفة لفعله^{١٠}، وبهذا تتكامل دلالة معنى القراءتين فيما يظهر، والعلم عند الله تبارك وتعالى.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿مَلِكٍ﴾ بالألف، دلّت على معنى غير موجود في قراءة ﴿مَلِكٍ﴾، فمالك تحسن إضافته إلى جميع الأشياء، فيقال: مالك الناس، ومالك الطير، ومالك الدواب، ولا يحسن أن يقال: ملك الطير ولا ملك الدواب؛ لأنه لا يوصف الملك إلى غير العقلاء، فوصفه تبارك تعالى بالصفة التي تحسن إضافتها إلى جميع الأشياء، أعم من وصفه بالصفة التي تضاف إلى بعض الأشياء دون بعض.

ومالك صفة جارية على الفعل تقول: ملك يملك فهو مالك، فهذه الصفة هي اسم الفاعل، فهي تجمع الاسم والفعل، فكان وصفه تعالى بما يجمع الاسم والفعل أعم من وصفه بما لا يكون إلا في معنى الاسم خاصة، فقوة اللفظ لقوة المعنى، ودلالة زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

ودلّت الزيادة أيضًا على أنّ مالكا يحوي الملك ويشتمل عليه، ويصير الملك مملوكًا لقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ﴾، فقد جعل الملوك للمالك، فصار مالك أمدح وأشمل للقوة والتمكّن^{١١}.

وعلى هذا فقراءة ﴿مَلِكٍ﴾ بالألف زادت معنى غير موجود في قراءة ﴿مَلِكٍ﴾ بغير الألف، والله أعلم.

ولا يوجد في سورة الفاتحة من القراءات الفرشية غير قراءة ﴿مَلِكٍ﴾ بـ ﴿مَلِكٍ﴾ مما ينطبق عليه منهج البحث.

^{١٠} دحان، أحمد بن محمد كمال بن سليمان، الرياض الناضرة في توجيه القراءات العشر المتواترة، (دمشق: مؤسسة

الرسالة ناشرون، ط ٢، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م)، ص ٥٤.

^{١١} ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٧٩. وأبو العباس المهدوي، شرح الهداية، ج ٢، ص ١٦.

المبحث الثاني: سورة البقرة

تناول هذا المبحث أثر دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى في القراءات الفرشية في سورة البقرة، التي زاد مبنى الكلمة على القراءة الأخرى المتعلق بالمعنى، ويحاول البحث مناقشة ذلك الأثر وعرضه على أقوال علماء التوجيه والمفسرين واللغويين، واحداً بعد واحد في هذه السورة، حسب ترتيب القراءات وإيرادها فيها.

الموضع الأول: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿وَمَا يُخَدِّعُونَ﴾، فقرأها نافع وابن كثير وأبو عمرو ﴿وَمَا يُخَدِّعُونَ﴾ بياء مضمومة وألف بعد الخاء وكسر الدال، وقرأها الباقون ﴿وَمَا يُخَدِّعُونَ﴾ بياء مفتوحة وسكون الخاء وفتح الدال من غير ألف^{١٢}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَمَا يُخَدِّعُونَ الْفَتْحُ مِنْ قَبْلِ سَاكِنٍ *** وَبَعْدُ ذِكَا وَالْعَيْرِ كَالْحَرْفِ أَوْلاً^{١٣}.

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

حُرُوفُ التَّهَجِّي أَفْصَلُ بِسَكْتٍ كَحَا أَلِفٌ *** أَلَا يُخَدِّعُونَ اَعْلَمَ حَجِيٍّ وَاشْتِمًا طَلَا^{١٤}.

توجيه القراءة:

^{١٢} ينظر: عبدالرحمن بن عتيق بن الفخّام، أبو القاسم الصّقلي، كتاب التجريد لبغية المريد في القراءات السبع. تحقيق: الدكتور ضاري إبراهيم العاصي الدوري، (عمّان: دار عمار للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ص ١٨٧. وابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٢٠٧.

^{١٣} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٣٦، بيت رقم [٤٤٥].

^{١٤} ابن الجزري، الدرّة المضيئة، ص ٢٢، بيت رقم [٦٢].

أَنَّ قِرَاءَةَ ﴿وَمَا يُخَدِّعُونَ﴾ عَلَى عَظْفٍ لَفْظِ الثَّانِي عَلَى الْأَوَّلِ ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ﴾ لِلْمَشَاكِلَةِ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ^{١٥}.

وقراءة ﴿وَمَا يُخَدِّعُونَ﴾ عَلَى أَنَّ الْفِعْلَ مِنْ وَاحِدٍ، وَكَانَ ذَلِكَ أَشْبَهَ بِمَا قَبْلَهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَخْبَرَ عَنْهُمْ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ أَنَّهُمْ يُخَادِعُونَهُ، فَإِذَا قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾، صَارَ مَعْنَاهُ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَمَا يُخَادِعُونَ اللَّهَ، فَيَصِيرُ قَدْ نَفَى عَنْهُمْ فِي آخِرِ الْكَلَامِ مَا أَثْبَتَهُ لَهُمْ فِي أَوَّلِهِ كَمَا ذَكَرَهُ الْمَهْدَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^{١٦}.

ويَجُوزُ أَنْ تَكُونَ قِرَاءَةُ ﴿وَمَا يُخَدِّعُونَ﴾، بِمَعْنَى ﴿وَمَا يُخَدِّعُونَ﴾، فَيَكُونُ مِثْلُ مَا جَاءَ عَنِ الْعَرَبِ مِنْ قَوْلِهِمْ: عَاقَبَتِ اللَّصَّ وَطَارَقَتِ النَّعْلَ وَعَافَيْتَهُ، فَبَنَوْا هَذَا كُلَّهُ مِنَ الْمَفَاعِلَةِ وَالْفِعْلِ مِنْ وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا جَاءَ هُنَا "فَاعِلٌ" بِمَعْنَى "فَعَلٌ" لِشَاكْلِ لَفْظِهِ لَفْظُ الْأَوَّلِ، وَإِنْ كَانَ الْمَعْنَى غَيْرَ الْأَوَّلِ؛ طَلَبًا لِمُزَاجَةِ اللَّفْظِ^{١٧}.

وَيُرَى السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^{١٨} أَنَّ الْقِرَاءَتَيْنِ تَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، أَيْ يَكُونُ "فَاعِلٌ" بِمَعْنَى "فَعَلٌ"، وَتَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْمَفَاعِلَةُ عَلَى بَابِهَا، أَيْ صَدُورُهَا مِنْ اثْنَيْنِ، فَهَمْ يُخَادِعُونَ أَنْفُسَهُمْ، حَيْثُ يُنْتَوِهَا الْأَبَاطِيلُ، وَأَنْفُسُهُمْ أَيْضًا تُخَادِعُهُمْ حَيْثُ تُثْنِيهِمْ ذَلِكَ، فَهِيَ كَأَنَّهَا مُحَاوَرَةٌ بَيْنَ طَرَفَيْنِ^{١٩}.

^{١٥} ينظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ٦٨.

^{١٦} هو أحمد بن عمار أبو العباس المهدوي، المقرئ من أهل المهدية، كان رأسًا في القراءات والعربية، صنف كتبًا مفيدة، المتوفى سنة (٤٣٠هـ). ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ص ٢٢٣.

^{١٧} أبو العباس المهدوي، شرح الهداية، ج ٢، ص ١٥٤. وابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٢٤٥.

^{١٨} هو أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المقرئ النحوي الحلبي، المشهور بالسمين الحلبي، منصف تفسير الدر المصون، كان بارعًا في النحو والقراءات والفقهاء، المتوفى سنة (٧٥٦هـ). ينظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، أبو الفضل، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، (الهند: مجلس دائرة المعارف

العثمانية، ط ٢، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، ج ١، ص ٤٠٢.

^{١٩} السمين الحلبي، الدر المصون، ج ١، ص ١٢٧.

وذكر الرازي رحمه الله تعالى^{٢٠} أنّ حجة قراءة ﴿وَمَا يُخَدِّعُونَ﴾ لمطابقة لفظ الأول، وحجة قراءة ﴿وَمَا يُخَدِّعُونَ﴾ أنّ المخادعة لا تكون إلا بين اثنين، فالإنسان وحده لا يكون مخادعاً لنفسه. وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ فيه وجهان: الأول: أنّ الله تعالى سيجازيهم على ذلك ويعاقبهم على فعلهم، فلا يكونون خادعين في الحقيقة إلا أنفسهم.

والثاني: أنّ وبّال المخادعة وعاقبتها راجع إليهم في الدنيا؛ لأنّ الله يدفع ضرر خداعهم وأذيتهم عن عباده المؤمنين ويصرفه إليهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] ^{٢١}.

ويظهر مما سبق أنّ القراءتين بمعنى واحد، غير أنّ قراءة ﴿وَمَا يُخَدِّعُونَ﴾ على المفاعلة؛ إذ تقتضي حصول الفعل من طرفين، فإذا لم يقتض الواقع المشاركة فهي للمبالغة. وعلى القول بأنّ المفاعلة على بابها من اثنين، فهم خادعون أنفسهم حيث منّوها الأباطيل، وأنفسهم خادعتهم حيث منّتهم ذلك أيضاً.

وإن اعتبر المفاعلة على غير بابها فهي على سبيل المبالغة في الفعل، فهم يُمنعون في الخداع، ولكنهم في الحقيقة ما يخادعون إلا أنفسهم؛ إذ وبّال ذلك ليس راجعاً إلى أحد غيرهم، فكأنّهم ما خادعوا إلا أنفسهم بإيرادها الهلكة وهم لا يشعرون بذلك جهلاً منهم، فتكون القراءة على نحو قولك: عاقبت اللص.

فقراءة ﴿يُخَدِّعُونَ﴾ تصف حالهم العادي في خداعهم المعتاد، وقراءة ﴿يُخَدِّعُونَ﴾ تصف حالهم أثناء مبالغتهم في الخداع، فهم في حال كونهم ﴿يُخَدِّعُونَ﴾ وفي حال كونهم ﴿يُخَدِّعُونَ﴾ لا يخدعون ولا يخادعون إلا أنفسهم؛ إذ وبّال ذلك راجع إليهم ^{٢٢}.

^{٢٠} هو محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازي، خطيب الري، فاق أهل زمانه في علم الكلام، له التصانيف المفيدة في فنون عديدة منها التفسير وغيره. المتوفى سنة (٦٠٦هـ). ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٢٤٩.

^{٢١} ينظر: محمد بن عمر بن الحسن، فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٢٠هـ)، ج ٢، ص ٣٠٤.

^{٢٢} ينظر: بازمول، محمد بن عمر بن سالم، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، (السعودية: دار الهجرة، د. ط، ١٤١٢هـ) ج ١، ص ٤٠٦.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين حيث بيّنت قراءة ﴿وَمَا يُخَدِّعُونَ﴾ مآل أمرهم في خداعهم المعتاد. وقراءة ﴿يُخَدِّعُونَ﴾ بيّنت مآل أمرهم في مبالغتهم في الخداع، ففي كلتا الحالين ما يخدعون إلا أنفسهم، إذ وبّال ذلك عليهم لا محالة.

وأما على القول بأنّ المفاعلة على بابها في قراءة ﴿يُخَدِّعُونَ﴾، فهناك عملية مخادعة بينهم وبين أنفسهم، فهم يخادعون أنفسهم يغرونها بالأمان، وأنفسهم كذلك تخادعونهم حيث تُمنّيهم ذلك أيضاً فكأنها محاورة بين اثنين، فبهذا تتكامل معنى القراءتين والعلم عند الله تبارك وتعالى.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿وَمَا يُخَدِّعُونَ﴾ أفادت معنى غير موجود في قراءة ﴿وَمَا يُخَدِّعُونَ﴾ كما سبق، وهي المبالغة في المعنى.

فقراءة ﴿وَمَا يُخَدِّعُونَ﴾ تُطمئن المؤمنين بأنّ عمل هؤلاء المنافقين سينقلب وبّاله عليهم، فنتيجة هذه المخادعة ضرر محقق لأنفسهم، فهي بشارة للمؤمنين بما سيقع على هؤلاء المنافقين.

وأما قراءة ﴿وَمَا يُخَدِّعُونَ﴾ فإنها تزيد معنى آخر، وهو ما يجده المنافقون في أنفسهم من اضطراب وضيق وعدم استقرار وثبات، فهناك عملية مخادعة بينهم وبين أنفسهم، فهم يخادعون أنفسهم يغرونها بالأمان، وأنفسهم كذلك تخادعونهم^{٢٣}، فقوة اللفظ لقوة المعنى، وزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى.

وذكر الزمخشري رحمه الله تعالى^{٢٤} لو قيل ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾؟ يحتمل أن يراد به: وما يعاملون هذه المعاملة الشبيهة بمعاملة المخادعين إلا أنفسهم؛ لأنّ ضرر المخادعة يرجع إليهم ومكرها أيضاً يحيق بهم، كما يقال: فلان يضارّ فلاناً وما يضارّ إلا نفسه، أي: عاقبة الضرر راجع إليه. ويحتمل أن يراد بالمخادعة حقيقتها، بمعنى أنّهم في ذلك يخدعون أنفسهم بكونهم يمتّونها الأباطيل ويكذبون عليها فيما يحدّثونها به،

^{٢٣} الجمل، محمد أحمد عبدالعزيز، الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة، (رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن الكريم، جامعة اليرموك أردن، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ص ٢٩٦.

^{٢٤} هو محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، المعتزلي، الأديب اللغوي، شيخ البلاغة والفصاحة، صاحب الكشف في تفسير القرآن، المتوفى سنة (٥٣٨هـ). ينظر: القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج ٢، ص ٣٣٥.

وكذلك أنفسهم تمنّيههم وتحذّثهم بالأمان. أو يكون المراد بـ﴿وَمَا يُخَدِّعُونَ﴾ جيء به على لفظ "يفاعلون" للمبالغة^{٢٥}، وهذا أثر هذه الزيادة في مبنى الكلمة أفادت المبالغة فيما يظهر والله أعلم.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿يَكْذِبُونَ﴾، فقرأها عاصم وحمة والكسائي وخلف البزار ﴿يَكْذِبُونَ﴾ بالفتح في الياء والتخفيف في الدال، وقرأها الباقون ﴿يَكْذِبُونَ﴾ بضم في الياء وتشديد في الدال^{٢٦}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَحَفَّفَ كُوفٍ يَكْذِبُونَ وَيَأُوهُ *** بَفَتْحٍ وَلِلْبَاقِينَ ضَمٌّ وَثَقَّلَا^{٢٧}.

توجيه القراءة:

أنّ قراءة ﴿يَكْذِبُونَ﴾ من الكذب، وهو أشبه بما قبل الآية وما بعدها؛ لأنّه أخبر عن المنافقين قبل الآية بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، فأخبر عنهم في هذه أنهم كاذبون، والذي بعد الآية قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شُيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ﴾

^{٢٥} ينظر: محمود بن عمرو بن أحمد، أبو القاسم الزمخشري جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعبون الأقوال في وجوه التنزيل، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤٠٧هـ)، ج ١، ص ٥٨.

^{٢٦} ينظر: ابن خالويه، البديع، تحقيق: الأستاذ الدكتور جaid زيدان مخلف، (العراق: مركز البحوث والدراسات الإسلامية، د.ت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ص ٤٩. والحسن بن محمد بن إبراهيم، أبو علي المالكي البغدادي، الروضة في القراءات الإحدى عشرة، تحقيق: الدكتور مصطفى عدنان، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، ج ٢، ص ٥٢٦.

^{٢٧} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٣٦، بيت رقم [٤٤٦].

[البقرة: ١٤]، فقولهم هذا أيضاً كذب؛ لقولهم لرؤسائهم ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾، وكان إخباره بأنّ لهم ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ أشبه بما قبل الآية وما بعدها.

وأيضاً فإنّ هذا الإخبار لا يخلو أن يكون عن المنافقين أو المشركين، فإن كان عن المنافقين فوّاه ما سبق من شبهه بما قبله وبما بعده، وفوّاه أيضاً إخباره عنهم بالكذب في غير موضع في القرآن الكريم كنحو قوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] ولم يقل لمكذبون.

فإن كان الإخبار عن المشركين فقد أخبر عنهم بالكذب في غير موضع من القرآن، نحو قوله تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: ٩٠ - ٩١] وما أشبهه.

وقراءة ﴿يَكْذِبُونَ﴾ من التكذيب، وهو نسبة الغير إلى الكذب، ويتضمن التكذيب الكذب؛ لأنّ مَنْ كَذَبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كَذَبَ على الله تعالى، فكل مكذّب كاذب، وليس كل كاذب مكذّباً؛ لأنّه قد يكذب الإنسان ولا يكذب أحداً، وقراءة التشديد تجمع المعنيين جميعاً^{٢٨}.

ومعنى قراءة ﴿يَكْذِبُونَ﴾ بالتخفيف، أي بما كانوا يكذبون عليه، كقولهم: أنه ساحر، وأنه مجنون وأنّه كاهن وغير ذلك من افتراءهم عليه. و"كذب" بالتشديد يتعدّى بلفظه، و"كذب" بالتخفيف لا يتعدّى إلا بحرف جر، فأضمر حرف الجر. و﴿يَكْذِبُونَ﴾ بالتشديد فيه تردّد منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم به من عند الله تعالى مرّة بعد أخرى.

وَمَنْ كَذَّبَ بِمَا جَاءَ بِهِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كَذَّبَ^{٢٩}.

^{٢٨} ينظر: أبو العباس المهدوي، شرح الهداية، ج ٢، ص ١٥٥. وابن أبي مريم، الموضح، ٢٤٦.

^{٢٩} ينظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ٦٨.

ويتبين خلال ما سبق أنّ قراءة ﴿يَكْذِبُونَ﴾ بالتخفيف من الكذب، أي: بكذبهم. وأما قراءة ﴿يَكْذِبُونَ﴾ بالتشديد من التكذيب، وهو نسبة الغير إلى الكذب، والتكذيب أكثر من الكذب؛ إذ كل مَنْ كَذَبَ صادقاً فهو كاذب، وليس مَنْ كَذَبَ فهو مُكْذِبٌ. وتتكامل الدلالة بين القراءتين أنّ أول ما يبدأ الإنسان الكذب ثم التكذيب فيكذب غيره، كما دلّ عليه سياق الآيات.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿يَكْذِبُونَ﴾ من التكذيب، تشمل قراءة ﴿يَكْذِبُونَ﴾ من الكذب؛ لأنّ الكذب داخل في التكذيب، و"كذب" على وزن "فعل" وهو من صيغ المبالغة، فزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى. وفيها تكامل دلالي واضح؛ لأنّ قراءة ﴿يَكْذِبُونَ﴾ تجمع معنى الكذب والتكذيب، فكل مكذبٍ كاذب، وليس كلُّ كاذبٍ مكذباً؛ لأنّه قد يكذب الإنسان ولا يكذب أحدًا، وأنّه مَنْ كَذَبَ رسول الله فقد كَذَبَ الله تعالى، فلما كانت القراءة بالتشديد تجمع المعنيين جميعاً، كانت أشمل وأبلغ في الدلالة على كذبهم، والزيادة على وزن الفعل هي التي زادت في معنى القراءة وقوة دلالتها، فقوة اللفظ لقوة المعنى، والعلم عند الله تبارك وتعالى.

الموضع الثالث: قول الله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾، فقرأها حمزة ﴿فَأَزَالَهُمَا﴾ بألف بعد الزاي وتخفيف اللام، وقرأها الباقون ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ بالحذف والتشديد^{٣٠}. والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

^{٣٠} ينظر: أحمد بن موسى التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي، السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، (مصر: دار المعارف، ط ٢، ١٤٠٠هـ)، ص ١٥٤. والحسن بن أحمد العطار، وأبو العلاء الهمداني، غاية الاختصار في قراءات العشر أئمة الأمصار، تحقيق: أشرف طلعت، (جدة: الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن، ط ١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ج ٢، ص ٤٠٧.

وَيَ فَازَلَّ اللَّامَ حَقْفَ حِمْرَةٍ *** وَزِدْ أَلْفًا مِنْ قَبْلِهِ فَتُكَمَّلَا ٣١.

توجيه القراءة:

أَنَّ قراءة ﴿فَازَاهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ من أزال فلان فلاناً عن موضعه، إذا نحاه عنه، وزال هو عن مكانه، بمعنى نحاهما عن حالهما التي كانا عليها. وحجة ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، أي اثبتا في موضعكما فثبتا فإزاهما الشيطان عنها، فقابل الثبات بالزوال الذي هو خلافة. ويقوي هذه القراءة قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾، فالإخراج قريب من الإزالة في المعنى ٣٢؛ لأنَّ إخراجهما الشيطان منها إزالة منه لهما مما كانا فيه من الحال. وقد يُتوهم أنَّ ذلك تكرير للمعنى فقط لا فائدة فيه، والصحيح أنَّه يفيد معنًى زائداً؛ لأنَّه يجوز أن يزيلهما عن موضعهما ولا يخرجهما مما كانا فيه من الرغد والرفاهية، فيفيد قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ أنَّهما زالا من الجنة وخرجا مما كانا فيه من الدعة ورغد العيش، وعلى هذا لم يكن تكريراً غير مفيد.

ومثل هذا التكرير في هذا الموضع يكون لتعظيم القصّة وتفخيمها بألفاظ مختلفة ليس بمجتنب ولا مكروه، بل هو مستعمل مستحب، كما يقال: أزلت نعمته، وأخرجته من إمارته، وغلظت عقابه ٣٣.

وقراءة ﴿فَازَاهُمَا﴾ تحتمل وجهين، أحدهما: بمعنى كسبهما الزلّة. والآخر: أن يكون أزل من زل بمعنى عثر. فالدلالة على الوجه الأول ما جاء في القرآن الكريم من تزيين الشيطان لهما لتناول ما منعهما الله تعالى أكله بقوله تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ* وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠ - ٢١].

٣١ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٣٧، بيت رقم [٤٥١].

٣٢ ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٩٤.

٣٣ ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٢، ص ١٦.

وقد نسب الله تعالى كسب الإنسان الزلّة إلى الشيطان كما قال: ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [آل عِمْرَان: ١٥٥]، واستزلّ وأزلّ بمعنى واحد كما يقال: استجاب وأجاب، فكما أنّ استزلّهم من الزلّة.

والمعنى أي كسبهم الشيطان الزلّة، وكذلك المعنى في قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾، فنسب الله الفعل إلى الشيطان؛ لأنهما وقع في الزلّة بإغواء الشيطان لهما فصار كأنه أزلهما. والوجه الآخر أن يكون بمعنى ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ من: زلّ عن المكان، إذا عثر عن المكان فلم يثبت عليه، ويدل على هذا قوله: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ فكما أنّ الخروج عن الموضع الذي هو فيه انتقال منه إلى غيره، كذلك يكون عثاره فيه وزيله^{٣٤}.

وتحتمل أن تكون القراءتان بمعنى واحد، وذلك أنّ قراءة ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ يجوز أن تكون من "زلّ عن المكان" إذا تنحى عنه، فتكون بمعنى الزوال كقراءة حمزة. أو يردّ قراءة ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ إلى قراءة ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ وتكون بمعنى ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ أي: صرفهما الشيطان عن طاعة الله تعالى فأوقعهما في الزلّة؛ لأنّ إغواء الشيطان وإيقاعه لهما في الزلّة سبب لزوالهما عن موضعهما.

وتحتمل كل قراءة أن تفيد معنى مستقلاً، فقراءة ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ تؤذن بإيقاعهما في الزلّة، فيكون زلّ استزلّ، وقراءة ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ تؤذن بتنحيتهما عن مكانهما، ولا بدّ من المجاز في كلتا القراءتين؛ لأنّ الزلل أصله يكون في زلّة القدم، فاستعمل هنا في زلّة الرأي، والشيطان إنما يقدر على الوسوسة التي هي في زلّة الرأي، وهي سبب التنحية، ولا يقدر على التنحية^{٣٥}.

والظاهر أنّ القراءتين بمعنىين، فإنّ قراءة ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ مقدّمة لقراءة ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾، وقراءة ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ بينت سبب إيقاعهما في الزلّة، وهي المعصية، وقراءة ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ بينت نتيجة فعلهما، وهي تنحيتهما عن مكانهما فأخرجهما من الجنة، فبهذا تتكامل دلالة معنى القراءتين، والله أعلم.

^{٣٤} ينظر: المصدر نفسه، ص ١٧.

^{٣٥} ينظر: السمين الحلي، الدر المصون، ج ١، ص ٢٨٧.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿فَأَزَاهُمَا﴾ أنها أفادت عاقبة جزاء ما ارتكبه آدم عليه الصلاة والسلام وزوجته من المعصية، فتضمنت قراءة ﴿فَأَزَاهُمَا﴾ السبب والنتيجة أو الفعل وجزاءه، فبعد ما وقعا في الزلل والمعصية، أزاهما ونحاهما مما هما فيه في الجنة فأخرجهما منها، والله المستعان.

الموضع الرابع: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: ٥١].

ونظيره قوله تعالى: ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَّمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنٍ مِيقَتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢].

ونظيره قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُ إِسْرَءِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَمْ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ [طه: ٨٠].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة هذه الكلمة ﴿وَعَدْنَا﴾ في ثلاث مواضع في سورة البقرة والأعراف وطه كما سبق في هذه الآيات، فقرأها أبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب ﴿وَعَدْنَا﴾ بحذف الألف، وقرأها الباقون ﴿وَعَدْنَا﴾ بإثبات الألف^{٣٦}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَيُقْبَلُ الْأَوَّلَى أَنْتَبُوا دُونَ حَاجِزٍ *** وَعَدْنَا جَمِيعًا دُونَ مَا أَلِفَ حَلَا^{٣٧}.

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

وَعَدْنَا أَتْلُ بَارِيٍّ بَابِ يَأْمُرُ أَتَمَّ حَمَّ *** أَسَارَى فِدَا خِفُّ الْأَمَانِي مُسَجَّلَا^{٣٨}.

^{٣٦} ينظر: ابن مهران، الغاية في القراءات العشر، تحقيق: محمد غيث الجنباز، (الرياض: دار الشواف، ط ١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص ١٠١. ومكي بن طالب، التبصرة في القراءات السبع، تحقيق: الدكتور محمد غوث الندوي، (الهند: الدار السلفية، ط ١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص ٤٢١.

^{٣٧} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٣٧، بيت رقم [٤٥٣].

^{٣٨} ابن الجزري، الدرّة المضية، ص ٢٣، بيت رقم [٦٦].

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿وَعَدْنَا﴾ من المواعدة على المفاعلة التي تكون من اثنين، فمن الله تعالى لموسى وعد، وكان من موسى عليه الصلاة والسلام قبول الوعد، فجرى ذلك مجرى المواعدة، ويجوز أن يكون من موسى أيضاً وعد بالحضور في الطور، فتصحّ المواعدة على ذلك. ويجوز أن تكون المفاعلة على غير بابها من اثنين، فيكون "فَاعَلَ" من واحد كعاقبت اللص وطارقت النعل، فيكون الوعد في ﴿وَعَدْنَا﴾ من الله تعالى فحسب.

وقراءة ﴿وَعَدْنَا﴾ من الوعد، وأكثر ما جاء في القرآن من هذا اللفظ قد جاء على "وعد" دون "واعد" نحو قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩] وقوله: ﴿قَالَ يُقَوْمُ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ [طه: ٨٦] وقوله: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٨] وقوله: ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَعَائِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ [الفتح: ٢٠]، وكل هذا على أنَّ الواعد هو الله تعالى، فإلحاق ذلك بما كثر مثله في القرآن أخرى.

وإذا حُمِلَ ﴿وَعَدْنَا﴾ في بعض وجوهه على ﴿وَعَدْنَا﴾ فلأنَّ يختار ﴿وَعَدْنَا﴾ الذي هو الأصل المحمول عليه أولى^{٣٩}.

وذكر الزجاج رحمة الله عليه^{٤٠} أنَّ ﴿وَعَدْنَا﴾ هنا جيد بالغ؛ لأنَّ القبول في الوفاء بمنزلة المواعدة، فهو من الله تعالى وعد، ومن موسى عليه السلام قبول الوعد واتباعه، فجرى مجرى المواعدة^{٤١}.

والذي يظهر أنَّه يحتمل أن يكون "واعدنا" بمعنى "وعدنا"، ويكون الفعل صدر من واحد، ويحتمل أن يكون من اثنين على أصل المفاعلة، فيكون الله تعالى وعد موسى المناجاة،

^{٣٩} ينظر: ابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٢٧٤.

^{٤٠} هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق، المشهور بالزجاج، إمام في اللغة، صاحب كتاب معاني القرآن وإعرابه، المتوفى سنة (٣١٦هـ). ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ١١١.

^{٤١} ينظر: إبراهيم بن السري، أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه. تحقيق: عبد الجليل عبده شلي، (بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ج ١، ص ١٣٣.

ويكون موسى وعد الله المجيء للميقات. أو يكون الوعد من الله تعالى، وقبوله كان من موسى عليه السلام، وقبول الوعد يشبه الوعد.

وكما ذكر القفال^{٤٢} أنه لا يبعد أن يعد الآدمي الله تعالى بمعنى يعاهده. وقيل الوعد إذا كان عن غير الطلب، وواعد إذا كان عن الطلب^{٤٣}.

وتتكمال دلالة معنى القراءتين في بيان أن الله تعالى وعد موسى لقاءه بالطور، ووعدته موسى المجيء، فالله تبارك وتعالى لموسى واعدًا ومواعدًا له المناجاة على الطور، وكان موسى واعدًا لربه مواعدًا له اللقاء^{٤٤}.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿وَعَدْنَا﴾ أنها على المفاعلة، تفيد المشاركة من طرفين، إذ تتضمن زيادة في المعنى على قراءة ﴿وَعَدْنَا﴾، حيث أكدت وعد الله لموسى كما في قراءة ﴿وَعَدْنَا﴾، ثم أضافت معنى جديدًا، وهو وعد موسى ربه للقيام بما أمره، فزيادة المبني زيادة في المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى، والله تعالى أعلم.

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿خَطِيئَتُهُ﴾، فقرأها نافع وأبو جعفر ﴿خَطِيئَتُهُ﴾ بالألف على الجمع، وقرأها الباقون ﴿خَطِيئَتُهُ﴾ بغير الألف على الأفراد^{٤٥}.
والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

^{٤٢} وبعد البحث لم أقف على ترجمته لعدم تمييزه عن غيره.

^{٤٣} ينظر: محمد بن يوسف بن حيّان، أبو حيان، أثر الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، د. ط، ١٤٢٠هـ)، ج ١، ص ٣٢١.

^{٤٤} ينظر: ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، ج ١، ص ٦٦٣.

^{٤٥} ينظر: محمد بن شريح الرعيني الأندلسي أبو عبد الله، الكافي في القراءات السبع، تحقيق: أحمد محمود الشافعي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ص ٧٩. وابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٢١٨.

خَطِيئَتُهُ التَّوْحِيدُ عَنْ غَيْرِ نَافِع *** وَلَا تَعْبُدُونَ الْعَيْبَ شَايِعَ دُخْلًا ٤٦.

توجيه القراءة:

أَنَّ قِرَاءَةَ ﴿خَطِيئَتُهُ﴾ بِالْجَمْعِ حَمَلًا عَلَى الْمَعْنَى، وَمَعْنَاهُ عَلَى الْكَثْرَةِ؛ لِأَنَّ الْمَخْبِرَ عَنْهُمْ جَمَاعَةٌ، وَإِنْ غُبِرَ عَنْهُمْ بِلَفْظِ الْمَفْرَدِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ لَيْسَ مُرَادٌ بِهِ وَاحِدًا، وَإِنَّمَا يَدْخُلُ تَحْتَهُ كُلُّ كَاسِبٍ لِلْسَيِّئَةِ مُحِيطٌ بِهِ خَطَايَاهُ لِمَا يَتَضَمَّنُهُ مِنْ مَعْنَى الشَّرْطِ، فَالْمَعْنَى عَلَى الْكَثْرَةِ وَالْعُمُومِ، وَالِدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْكَثْرَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ هُمْ كَاسِبُوا السَّيِّئَةِ الَّذِينَ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى بَعْدَهُ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢]، وَهُمْ جَمَاعَةٌ عُودِلَ بِهِمْ مَنْ تَقَدَّمَ لَهُمْ، وَالْمُعَادِلُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِثْلَ مَنْ عُودِلَ بِهِ.

وَيَقْوَى هَذِهِ الْقِرَاءَةُ أَنَّهُ وَصِفَ الْخَطِيئَةُ بِالْإِحَاطَةِ، وَالْإِحَاطَةُ بِالشَّيْءِ شُمُولٌ لَهُ، فَهِيَ تَقْتَضِي الْكَثْرَةَ فِي حَقِيقَةِ الْأَصْلِ؛ لِأَنَّ الْجِسْمَ لَا يَحِيطُ بِالْجِسْمِ حَتَّى يَكُونَ كَثِيرَ الْأَجْزَاءِ. وَقِرَاءَةُ ﴿خَطِيئَتُهُ﴾ بِالْإِفْرَادِ؛ لِأَنَّهَا لَمَّا كَانَتْ مُضَافَةً إِلَى مَفْرَدٍ فِي اللَّفْظِ، كَانَ الْإِفْرَادُ فِيهَا أَوَّلَى، لَا سِيَّمَا وَقَدْ أُفْرِدَتِ السَّيِّئَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ لَمَّا كَانَ مُسْنَدًا إِلَى لَفْظِ ﴿مَنْ﴾ وَلَفْظُهُ وَاحِدٌ، وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ الْجَمْعُ وَالْكَثْرَةُ، وَلَا يَمْتَنِعُ فِي الْمَفْرَدِ أَنْ يَقَعَ لِلْكَثْرَةِ وَالْجَمْعِ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فَإِنَّ الْإِحْصَاءَ يَقْتَضِي الْكَثْرَةَ، فَإِذَا لَمْ يَمْتَنِعْ نَحْوُ هَذَا لَا يَمْتَنِعُ أَيْضًا أَنْ يَرَادَ بِالْخَطِيئَةِ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً مَعْنَى الْجَمْعِ، وَكَذَلِكَ السَّيِّئَةُ ٤٧.

وَذَكَرَ السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ - أَنَّ وَجْهَ الْقِرَاءَتَيْنِ مَبْنِي عَلَى مَعْرِفَةِ مَعْنَى السَّيِّئَةِ وَالْخَطِيئَةِ. وَفِي ذَلِكَ أَقْوَالٌ: الْأَوَّلُ: أَنَّهُمَا عِبَارَتَانِ بِلَفْظَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ عَنِ الْكُفْرِ. الثَّانِي: السَّيِّئَةُ بِمَعْنَى الْكُفْرِ، وَالْخَطِيئَةُ بِمَعْنَى الْكِبِيرَةِ. الثَّلَاثُ: عَكْسُ الثَّانِي.

فَوَجْهَ قِرَاءَةِ ﴿خَطِيئَتُهُ﴾ بِالْإِفْرَادِ عَلَى قَوْلِ الْأَوَّلِ وَالثَّلَاثِ، الْخَطِيئَةُ بِمَعْنَى الْكُفْرِ وَهُوَ مَفْرَدٌ، وَعَلَى الْقَوْلِ الثَّانِي الْمُرَادُ بِهَا جِنْسُ الْكِبِيرَةِ.

٤٦ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٣٧، بيت رقم [٤٦٣].

٤٧ ينظر: ابن أبي مريم، الموضح، ج ٢، ص ٢٨٤.

ووجه قراءة ﴿خَطِيئَتُهُ﴾ بالجمع على قول الأول والثالث، المراد بالخطيئات أنواع الكفر المتجددة في كل وقت، وعلى القول الثاني المراد بها الكبائر وهي جمع. وقيل: معنى الخطيئة نفس السيئة المتقدمة، فسميت بهذين الاسمين تقييحا لها، كأنه قال: وأحاطت به خطيئته تلك، أي السيئة، وتكون السيئة بمعنى الكفر، أو المراد بها العصاة، ويكون المراد بالخلود المكث الطويل، ثم بعد ذلك يخرجون^{٤٨}.

والذي يتبين خلال ما سبق، أنّ قراءة ﴿خَطِيئَتُهُ﴾ المراد بها الكفر وهو مفرد، أو يكون المراد به جنس الكبيرة، وأكبر الكبائر الشرك.

وقراءة ﴿خَطِيئَتُهُ﴾ بالجمع، المراد بها أنواع الكفر المتجددة في كل وقت، أو المراد به الكبائر وهي جمع، وأكبر الكبائر الشرك.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين باعتبار أنّ قراءة ﴿خَطِيئَتُهُ﴾ بالإفراد تعني الكفر والشرك، فتكون هذه القراءة مؤكدة لمعنى السيئة المراد بها الكفر، ويصبح المعنى أنّ مَنْ كفر بالله وأحرق به كفره من كل جانب ومات عليه فهو من الهالكين الخالدين في نار جهنم.

وعلى قراءة ﴿خَطِيئَتُهُ﴾ بالجمع، فمعناها الذنوب والكبائر عموماً، وأكبر الكبائر الشرك بالله تعالى، ويصبح معنى الآية: أنّ مَنْ كفر بالله وانغمس في الذنوب والكبائر بحيث أحاطته من كل جانب حتى مات عليها فهو من الهالكين الخالدين في نار جهنم^{٤٩}.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة أنّ قراءة ﴿خَطِيئَتُهُ﴾ بالجمع أضافت إلى كبيرة الشرك الكبائر الأخرى من أنواع الشرك والكفر، بحيث لو نجا من إحداها أوبقته الكبائر الأخرى المؤدية إلى الكفر، فلا مفرّ له من الخلود في النار، وعلى هذا ففوة اللفظ لقوة المعنى، وزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، والله أعلم.

^{٤٨} ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج ١، ص ٤٥٧.

^{٤٩} ينظر: سنبل وزملاءه، الإعجاز في القراءات القرآنية والجمع بينهما، (طنطا: دار الصحابة، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م)، ج ١، ص ٣٨.

الموضع السادس: قول الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِيرِهِمْ تَظْهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ وَإِن يَأْتِيَنَّكُمْ أُسْرَىٰ تُمْسِكُوهُمْ وَهِيَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿تَظْهَرُونَ﴾، فقرأها عاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿تَظْهَرُونَ﴾ بالتخفيف، وقرأها الباقون ﴿تَظْهَرُونَ﴾ بالتشديد^{٥٠}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَتَظَاهَرُونَ الظَّاءُ حُفِّ ثَابِتًا *** وَعَنْهُمْ لَدَى التَّحْرِيمِ أَيْضًا تَحَلَّلًا^{٥١}.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿تَظْهَرُونَ﴾ بالتشديد، أصلها "تَظَاهَرُونَ"، فأدغم التاء في الظاء لِقُرْبِ المخرجين. وقراءة ﴿تَظْهَرُونَ﴾ بالتخفيف، فالأصل فيه "تَظَاهَرُونَ" بتاءين أيضاً، فحذفت التاء الثانية لاجتماعهما.

ومعنى "تظاهرون": تَتَعَاوَنُونَ، يقال: ظاهر فلان فلاناً: إذا عاونه. وقال الله تعالى: ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ [التَّحْرِيمِ: ٤] أي: وإن تعاونا. والظهير: المعين، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ [الْقُرْآن: ٥٥] بمعنى: مُعِينًا^{٥٢}.

ويظهر أنَّ القراءتين بمعنى واحدٍ، إلا أنَّ في قراءة ﴿تَظْهَرُونَ﴾ زيادة المبالغة في المعنى.

^{٥٠} ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص ١٣٢. وعبدالكريم بن عبدالصمد، أبو معشر الطبري، التلخيص في القراءات الثمان، تحقيق: محمد حسن عقيل، (رسالة ماجستير كلية الدعوة، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٤١٢هـ)، ص ٢١١.

^{٥١} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٣٨، بيت رقم [٤٦٥].

^{٥٢} ينظر: الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ١٦٢.

وتتکامل دلالة معنى القراءتين في بيان أنّ اليهود على درجات متفاوتة في التعاون والتناصر على الإثم والعدوان على إخوانهم.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿تَظْهَرُونَ﴾ بالتشديد، إفادتها المبالغة في المعنى عن قراءة ﴿تَظْهَرُونَ﴾ بالتخفيف، والحرص الشديد من قبل اليهود على نقض العهد وقتل إخوانهم اليهود، باعتبار أنّ زيادة المبنى تفيد زيادة المعنى^{٥٣}، ففوة اللفظ لقوة المعنى.

الموضع السابع: قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تُوْفُوهُمْ وَأَسْرَىٰ تُوْفُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ [البقرة: ٨٥].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿أُسْرَىٰ﴾، فقرأها حمزة ﴿أُسْرَىٰ﴾ بهمزة مفتوحة وسكون السين من غير ألف، وقرأها الباقون ﴿أُسْرَىٰ﴾ بهمزة مضمومة وألف بعد السين^{٥٤}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَحَمْزَةُ أُسْرَىٰ فِي أُسَارَىٰ وَضَمُّهُمْ *** تُفَادُوهُمْ وَالْمَدُّ إِذْ رَاقَ نُقْلًا^{٥٥}.

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

وَعَدْنَا أَتْلُ بَارِئُ بَابِ يَأْمُرُ أَتَمَّ حُمُ *** أُسَارَىٰ فِدَا خِفُّ الْأَمَانِي مُسَجَّلًا^{٥٦}.

توجيه القراءة:

^{٥٣} ينظر: سنبل وزملاءه، الإعجاز في القراءات القرآنية، ج ١، ص ٤٢.

^{٥٤} ينظر: عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني، التيسير في القراءات السبع، تحقيق: أوتو تريزل، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ص ٧٤. وابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٢١٨.

^{٥٥} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٣٨، بيت رقم [٤٦٦].

^{٥٦} ابن الجزري، الدرّة المضيئة، ص ٢٣، بيت رقم [6٦].

أنَّ قراءة ﴿أُسْرَى﴾ على وزن "فَعَلَى"، جُمِعَ "فَعِيلًا" على "فَعَلَى"؛ لأنَّ "فَعِيلًا" إذا كان بمعنى "مَفْعُول" جُمِعَ على "فَعَلَى"، نحو: جريح وجرحى، وقتيل وقتلى، وصريع وصرعى، فمعنى ذلك مقتول ومجروح ومصروع، وكذلك معنى أسير مأسور، فهو "فَعِيل" بمعنى "مَفْعُول".
وقراءة مَنْ قرأ ﴿أُسْرَى﴾ فإنه شَبَّهه بـ"كُسَالَى"، ووجه شبهه به: أنَّ الأسير لما كان محبوسًا عن التصرّف، وكان الكسلان يجبسه كسله عن التصرّف أيضًا والحركة، شَبَّه أحدهما بالآخر، كما قالوا: "سكرى" فشَبَّهوا مريضًا وهو مثل "فَعِيل"، وليس بمعنى "مَفْعُول"، "فَفَعِيل" الذي هو في معنى "مَفْعُول" من أجل أنَّ المريض ابْتُليَ بأمر غلبه، وجاء من قبل غيره، كالأسير وما أشبهه^{٥٧}.

وذكر السمين الحلبي -رحمة الله عليه- أنَّ قراءة ﴿أُسْرَى﴾ تحتل أربعة أوجه:
أحدها: أنها جُمِعَت جَمْعَ كسلان لِمَا جَمَعَهُما من عدم النشاط والتصرّف، فقالوا: أسير وأسارى بهمة مضمومة، كسكران وسكاري، وكسلان وكسالى، كما أنَّه قد شَبَّه سكران وكسلان به، فجمعاه جمعه الأصلي الذي هو على "فعلى" فقالوا: كسلان وكسلى، وسكران وسكرى كقولهم: أسير وأسرى.
قال سيبويه رحمه الله تعالى: "فقالوا في جمع كسلان كسلى شَبَّهوه بأسرى كما قالوا أسارى شَبَّهوه بكسالى".

ووجه الشبه أنَّ الأسير يدخل على الإنسان كرهًا، كما يدخل عليه الكسل، باعتبار هذا المعنى أنَّهم جمعوا هالِكًا ومريضًا وميتًا على "فعلى" فقالوا: هلكى ومرضى وموتى لما جمعها المعنى الذي في قتلى وجرحى.

الثاني: أنَّ ﴿أُسْرَى﴾ على جمع أسير، وقد وُجِدَ "فَعِيلًا" يجمع على "فعالى" قالوا: شيخ قديم وشيوخ قدامى، وهذا شاذٌّ لا يقاس عليه.

الثالث: أنَّه جمع على أسير أيضًا، وإنَّما ضُمَّ الهمزة من "أسارى"، وأصلها الفتح كنديم وندامى كما ضُمَّت السين والكاف من سُكاري وكُسالى، والأصل فيهما الفتح نحو: عطشان وعطاشى.

^{٥٧} أبو العباس المهدوي، شرح الهداية، ج ١، ص ١٧٤.

الرابع: أنّه جمع "أسرى" الذي هو جمع أسير فيكون جمع الجمع^{٥٨}.

والذي يتبيّن في معنى القراءتين أنّ قراءة ﴿أُسْرَى﴾ تفيد تشبيه الأسير بالمرضى وذوي العاهات، وأنّ اليهود تمالؤا مع أعدائهم على إخوانهم حتى وقعوا في الأسر في أيدي أعدائهم، فصاروا كذوي العاهات والمرضى.

وأما قراءة ﴿أُسْرَى﴾ فأفادت بيان تهاون اليهود في أمر مناصرة إخوانهم حتى وقعت جماعات كثيرة منهم في الأسر^{٥٩}.

وتتكمال دلالة معنى القراءتين في بيان تهاون اليهود في أمر مناصرة إخوانهم وإهمالهم حتى وقع جماعات كثيرة منهم في الأسر كرهًا في أيدي أعدائهم، فصاروا كذوي العاهات والمرضى.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿أُسْرَى﴾ أنّها تدل على الكثرة؛ لأنّها على وزن "فُعَالَى" وهو من صيغ منتهى الجموع، التي تدل على الكثرة، وأيضًا فإنّ ﴿أُسْرَى﴾ جمع لـ ﴿أُسْرَى﴾، فهو جمع الجمع. فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى، والعلم عند الله تعالى.

الموضع الثامن: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أُسْرَى تَفْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ [البقرة: ٨٥].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿تَفْدُوهُمْ﴾، فقرأها نافع وأبو جعفر وعاصم والكسائي ويعقوب ﴿تَفْدُوهُمْ﴾ بتاء مضمومة وألف بعد الفاء، وقرأها الباقون ﴿تَفْدُوهُمْ﴾ بتاء مفتوحة وسكون الفاء وبدون الألف^{٦٠}.

^{٥٨} السمين الحلبي، الدر المنصون، ج ١، ص ٤٨٠.

^{٥٩} ينظر: سنبل وزملاءه، الإعجاز في القراءات القرآنية، ج ١، ص ٤٢.

^{٦٠} ينظر: علي بن فارس الخياط ابن فارس، أبو الحسن، التبصرة في القراءات الأئمة العشرة، تحقيق: الدكتور رحاب محمد شقيق، (الرياض: مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ص ١٦٣. ابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٢١٨.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَحَمَزَةُ أُسْرَى فِي أُسَارَى وَضَمُّهُمْ *** تُفَادُوهُمْو وَالْمَدُّ إِذْ رَاقَ نَقْلًا ٦١.

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

وَقُلْ حَسَنًا مَعَهُ تُفَادُو وَنُنْسِيهَا *** وَتَسْأَلُ حَوَى وَالضَّمُّ وَالرَّفْعُ أَصْلًا ٦٢.

توجيه القراءة:

أنّ قراءة ﴿تَفْدُوهُمْ﴾ مبنية على المفاعلة بين الطرفين؛ لأنّ كل واحد من الفريقين يدفع من عنده من الأسارى، ويأخذ ما عند الآخرين من الأسرى، فكل واحد مفاد فاعل، والفاعلان باجمعا المفاعلة.

ويجوز أن تكون المفاعلة من واحد كنحو: عاقبت اللّص، فيكون معناه معنى قراءة ﴿تَفْدُوهُمْ﴾، فتتفق معنى القراءتين.

وأما قراءة ﴿تَفْدُوهُمْ﴾، فإنها مبنية على أنّ أحد الفريقين يفدي أصحابه من الفريق الآخر بمال أو غيره من المقابل، وكذلك العادة في المغلوب، هو يفدي ما أخذ له الغالب. فالفعل من واحد، إذ لا يكون كل واحد من الفريقين غالبًا.

وإنما تحتل المفاعلة على قراءة ﴿تَفْدُوهُمْ﴾ بالألف، لأنّ لكل واحد من الفريقين أسيرًا، فيفادي كل واحد منهما، ويدفع ما عنده من الأسرى بما عند الفريق الآخر من الأسرى. ويجوز أن يكونا تقاتلا فغلب أحدهما الآخر وأسر الغالب، ثم تقاتلا فغلب المغلوب وأسر، ثم تفادوا، وإنما أسروا أسرى هؤلاء، وأسرى هؤلاء ٦٣.

وذكر أبو علي الفارسي رحمه الله تعالى أنّ قراءة ﴿تَفْدُوهُمْ﴾ مثل قراءة ﴿تَفْدُوهُمْ﴾ في المعنى، إلا أنّ قراءة ﴿تَفْدُوهُمْ﴾ جاءت بالفعل على وزن "تَفْعُل"، وفي هذا الوجه دفعًا من كلّ واحد من الأسرى والمأسور منهم الفدية للأسير، وطلب الانقاذ له من الأسر ٦٤.

٦١ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٣٨، بيت رقم [٤٦٦].

٦٢ ابن الجزري، الدرّة المصيبة، ص ٢٣، بيت رقم [٦٨].

٦٣ ينظر: مكّي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٢٥٢.

٦٤ ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٢، ص ١٤٧.

والذي يظهر أنّ قراءة ﴿تَفْدُوهُمْ﴾ على المفاعلة بين اثنين؛ وذلك أنّ الأسير يعطي المال، والأسير يعطي الإطلاق، وقراءة ﴿تَفْدُوهُمْ﴾ على أنّ الفعل من واحد، وذلك أنّ أحد الفريقين يفدي صاحبه من الآخر بمال أو غيره.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين أنّ كل قراءة أشارت إلى حال من أحوال تعامل اليهود مع أسراهم في يد أعدائه، فهم لا يألون جهداً ولا يتركون طريقةً لفكّ إसार أسراهم، فقد يفدوهم بالمال، وهذه أفادته قراءة ﴿تَفْدُوهُمْ﴾، وقد يبادلون أسراهم بأسرى العدو إن كان عندهم أسرى، وهذه أشارت إليها قراءة ﴿تَفْدُوهُمْ﴾ بمعنى تبادلوهم الأسرى، وذلك أنّه يحرم في دين اليهود أن يكون أسير من أهل ملّتهم في إसार غيرهم، وأنّ عليهم أن يفدوهم بكل حال، وإن لم يفدهم القوم الآخرون^{٦٥}.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿تَفْدُوهُمْ﴾ إفادتها المفاعلة؛ لأنه يكون من كل واحد من الأسر والمستنقذ فعل، فأحدهما يدفع الفداء، والآخر يدفع الأسير، أو يتبادلان الأسرى بينهما، إذ أنّ لكل واحد من الفريقين أسيراً، فيفادي كل واحد منهما، ويدفع ما عنده من الأسرى بما عند الفريق الآخر من الأسرى. وهذا الذي أفادته زيادة المبنى على المعنى، فقوة اللفظ لقوة المعنى. والعلم عند الله تبارك وتعالى.

الموضع التاسع: قوله سبحانه وتعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [البقرة: ٩٠].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿يُنَزَّلُ﴾ وبابه، إذا كان فعلاً مضارعاً أوله تاء أو ياء أو نون مضمومة، فقرأه ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب ﴿يُنْزِلُ﴾ بالتخفيف حيث وقع إلا قوله تعالى في الحجر: ﴿وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١] فلا خلاف في تشديده؛ لأنّه أريد به المرّة بعد المرّة، وافقهم حمزة والكسائي وخلف في لقمان والشورى عند قوله تعالى: ﴿وَيُنْزِلُ

^{٦٥} ينظر: الجمل، الوجوه البلاغية في توجيه القراءات، ص ٥٥٤.

الْعَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴿الْقَمَان: ٣٤﴾، وفي الشورى عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْعَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ [الشورى: ٢٨].

وخالف أبو عمرو ويعقوب أصليهما في الأنعام عند قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً﴾ [الأنعام: ٣٧] فشدداه، ولم يخففه سوى ابن كثير، فخالف أصله في موضعين من سورة الإسراء وهما ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ [الإسراء: ٨٢] و﴿حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرؤه﴾ [الإسراء: ٩٣]. وقرأ الباقون ﴿يُنَزِّلُ﴾ وبابه بالتخفيف^{٦٦}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَيُنَزِّلُ خَفَّفَهُ وَتُنَزِّلُ مِثْلُهُ *** وَنُنَزِّلُ حَقٌّ وَهُوَ فِي الْحَجْرِ ثَقُلَا
وُخِفَّ لِلْبَصْرِ بِسُبْحَانَ الَّذِي *** فِي الْأَنْعَامِ لِلْمَكِّي عَلَى أَنْ يُنَزِّلَا
وَمُنَزَّلَهَا التَّخْفِيفُ حَقٌّ شِفَاؤُهُ *** وَخُفِّفَ عَنْهُمْ يُنَزِّلُ الْعَيْثَ مُسَجَّلَا^{٦٧}.

توجيه القراءة:

أَنَّ قِرَاءَةَ ﴿يُنَزِّلُ﴾ بالتشديد وقراءة ﴿يُنَزِّلُ﴾ بالتخفيف أنهما لغتان مستعملتان في متعدّي "نَزَلَ" تقول: "نَزَلَ وَأُنْزِلَ" بمعنى واحد قد نزل بهما القرآن الكريم.

وقيل قراءة ﴿يُنَزِّلُ﴾ بالتشديد للتكرير والتكثير فيما يتكرّر ويكثر وقوعه، وقراءة ﴿يُنَزِّلُ﴾ بالتخفيف يفيد الوقوع مرة واحدة، فلا يكثر ولا يتكرّر وقوعه^{٦٨}.

وذكر مكّي بن أبي طالب - رحمه الله تعالى - أن ابن كثير خصّ هذين الموضعين ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ و﴿حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرؤه﴾ بالتشديد؛ ليدلّ به معنى التكرير في النزول؛ لأنّ التشديد يدلّ على التكرير. فلما كان القرآن ينزل شيئاً بعد شيء، شدّد ليدلّ على هذا المعنى، إذ لو خفّف لجاز أن ينزل مرة واحدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن كذلك.

^{٦٦} ينظر: إسماعيل بن خلف الأنصاري السرقسطي، أبو طاهر، العنوان في القراءات السبع، تحقيق: الدكتور زهير زاهد والدكتور خليل (بيروت: دار عالم الكتب، د. ط، ١٤٠٥هـ)، ص ٧٠. وابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٢١٨.

^{٦٧} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٣٨، بيت رقم [٤٦٨ - ٤٧٠].

^{٦٨} ينظر: ابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٢٩٠.

وشدّد ﴿وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ ليدل على نزول المطر شيئاً بعد شيء، إذ لو خفف لجاز أن ينزل المطر مرةً واحدةً، وليس الأمر كذلك، والتشديد للتكرير في الفعل، فهو يدل على هذه المعاني.

وخالف أيضاً أبو عمرو في موضعين، فشدّد في سورة الأنعام: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً﴾ فشدّده حملاً على صدر الكلام؛ لأنّ قبله ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الأنعام: ٣٧]، ومستقبل "نزل ينزل"؛ فحمّله على ما قبله وأجراه عليه وعلى لفظه، والموضع الثاني في الحجر ﴿وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ كما سبق في الفقرة السابقة. وقراءة الباقيين بالتشديد في ذلك كله، حملاً على "نزل"، والتشديد يدل على تكرير الفعل.

وخفف حمزة والكسائي وخلف البزار موضعين في لقمان ﴿وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ وفي الشورى عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ جعلوه من "أنزل"، وحمّله على قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧]، وكله في نزول المطر^{٦٩}.

ويتبيّن خلال ما سبق، أنّ قراءة ﴿يُنْزِلُ﴾ بالتشديد من "نزل"، وقراءة ﴿يُنْزِلُ﴾ بالتخفيف من "أنزل" لغتان في الفعل بمعنى واحدٍ، وعلى ذلك فلا اختلاف بين القراءتين. وقيل: إنّ "نزل" يدل على التكرير، و"أنزل" يفيد النزول جملةً واحدةً، وعلى هذا فإنّ اليهود يحسدون المؤمنين على ما أنزله الله عليهم من فضله، وكلما تكرّر نزول شيء ازدادوا حسداً وبغياً على المؤمنين.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى تفاوت أحوال الكافرين في كفرهم لما أنزله الله تبارك وتعالى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمنهم من كفر به أول ما سمعه، ومنهم من كلما أنزل الله شيئاً على نبيه زاده ذلك كفراً وعناداً.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿يُنْزِلُ﴾ بالتشديد من "نزل"، يدل على المبالغة والتكرير في المعنى. وقراءة ﴿يُنْزِلُ﴾ بالتخفيف من "أنزل" للدلالة على الإنزال مرةً

^{٦٩} ينظر: مكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٢٥٤.

واحدة، وعلى هذا فقوة اللفظ لقوة المعنى، وزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، والعلم عند الله تبارك وتعالى.

الموضع العاشر: قول الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿فَأُمَتِّعُهُ﴾، فقرأها ابن عامر ﴿فَأُمَتِّعُهُ﴾ بسكون الميم وتاء مخففة، وقرأها الباقر ﴿فَأُمَتِّعُهُ﴾ بفتح في الميم وتشديد في التاء^{٧٠}.
والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:
وَأَخْفَاهُمَا طَلَّقَ وَخَفُّ ابْنِ عَامِرٍ *** فَأُمَتِّعُهُ أَوْصَىٰ بِوَصَىٰ كَمَا اغْتَلَا^{٧١}.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿فَأُمَتِّعُهُ﴾ بالتشديد من "متع"، كنحو قوله تعالى: ﴿وَمَتَّعْنَهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨]، و"متع" يفيد التكرير والمداومة.
وقراءة ﴿فَأُمَتِّعُهُ﴾ بسكون الميم وتاء مخففة من "أمتع"، وتكرير الفعل ومداومته لا يكون معه ﴿قَلِيلًا﴾، فلما كان معه "قليل"، كان "أمتع" أولى به من "متع"، لأنَّ "أفعل" و"فعل" يأتیان بمعنى واحدٍ في الكلام، كنحو: أفضلت وفضلت.
وقد يأتي "أفعل" و"فعل" في الكلام والمعنى مختلف، كنحو: فرطت بمعنى قصرت. وأفرطت بمعنى تقدّمت وتجاوزت الحد. وقد تأتي "فعلت" بما لا يأتي له "أفعلت" كنحو: كلّمت زيدًا، ولا تقول: أكلمت وأجلست زيدًا. ولا تقول: جلّست^{٧٢}.

^{٧٠} ينظر: محمد بن الحسين بن بُندار/ أبو العز القلانسي، الواسطي، الكفاية الكبرى في القراءات العشر، تحقيق: عثمان محمود غزال، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٧م)، ص ١٩٤. وابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٢٢٢.

^{٧١} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٣٩، بيت رقم [٤٨٦].

وذكر أبو علي الفارسي -رحمة الله عليه- أنَّ قراءة ﴿فَأْمِتْعُهَا﴾ بقاء مخففة من أمتعت.
وقراءة ﴿فَأْمِتْعُهَا﴾ بالتشديد من متّعت، كما في نحو قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتّعُوا فِي
دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥]، فتمتّع مطاوع متّع.

وعامة ما في القرآن الكريم على التشكيل كقوله تعالى: ﴿يُمَتّعْكُمْ مَتْعًا حَسَنًا﴾ [هود:
٣] وقوله تعالى: ﴿كَمَنْ مَتّعَهُ مَتْعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [القصاص: ٦١] وقوله تعالى: ﴿وَمَتّعْنَهُمْ
إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨].

فهذه الآيات جاءت على "متّع" دون "أمتع"، فالأولى بالمختلف فيه أن يكون على
المتفق عليه، أي على متّع دون أمتع.

ووجه قراءة ﴿فَأْمِتْعُهَا﴾ بالتخفيف أن "أمتع" لغة، وقد يجري "فعل" مجرى "أفعل"،
نحو: ونزلته وأنزلته، فرّحته وأفرّحته.

وأما "قليلًا" من قوله تعالى: ﴿فَأْمِتْعُهَا قَلِيلًا﴾ يحتمل وجهين: يجوز أن يكون
﴿قَلِيلًا﴾ صفة للمصدر، ويجوز أن يكون صفة للزمان.

فالدلالة على جواز كونه صفة للمصدر قوله تعالى: ﴿يُمَتّعْكُمْ مَتْعًا حَسَنًا﴾ فوصف
المصدر به.

وإنما حسن وصف الكثير بالقليل من حيث كون الكثير إلى نفاذ ونقص وتناه، كما
جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَتّعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧]، فعلى هذا النحو وصف المتاع
بالقليل في قوله: ﴿فَأْمِتْعُهَا قَلِيلًا﴾.

وأما جواز كون قليل صفة للزمان، فيدل عليه قوله تعالى: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِّيُصْبِحَنَّ
نُذِيرٌ﴾ [المؤمنون: ٤٠]، فتقدير هذا: ليصبحنّ نادمين بعد زمان قليل^{٧٣}.

والظاهر أنّ القراءتين بمعنى واحدٍ، فقراءة ﴿فَأْمِتْعُهَا﴾ بالتخفيف من "أمتع" لغة في
"متّع"، وكلاهما بمعنى واحدٍ، غير أنّ قراءة ﴿فَأْمِتْعُهَا﴾ بالتشديد فيه معنى تكرير الفعل.

^{٧٢} ينظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ٨٧.

^{٧٣} ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٢، ص ٢٢١.

وتتکامل دلالة معنی القراءتين في الإشارة إلى أَنَّ الله یمتّع من کفر بالله متاعاً قليلاً في الدنيا، ومهما طال هذه النّعم، التي أنعمها الله عليه وأمدّه بها متعةً بعد متعة، فإنها قليلة بالنسبة إلى الآخرة إذا اضْطُرَّ إلى النار. نعوذ بالله من النار.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿فَأَمْتَعُهُ﴾ بالتشديد إفادتها تكرير معنی الفعل والمداومة، فمهما أنعم الله على الكفار وأمدّهم بالنعم، فإنّه قليل بالنسبة إلى العذاب. ففوة اللفظ لقوة المعنی، وزيادة المبني تدل على زيادة المعنی، والعلم عند الله تعالى.

الموضع الحادي عشر: قوله تبارك وتعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿وَوَصَّىٰ﴾، فقرأها نافع وأبو جعفر وابن عامر ﴿وَأَوْصَىٰ﴾ بهمزة مفتوحة صورتها ألف بين الواوين مع تخفيف في الصاد، وقرأها الباقون ﴿وَوَصَّىٰ﴾ بتشديد في الصاد من غير الهمزة^{٧٤}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَأَخْفَاهُمَا طَلَّقَ وَخَفَّ ابْنُ عَامِرٍ *** فَأَمْتَعُهُ أَوْصَىٰ بِوَصَىٰ كَمَا اغْتَلَا^{٧٥}.

توجيه القراءة:

أَنَّ قراءة ﴿وَأَوْصَىٰ﴾ على وزن "أفعل" ومنه قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةِ تَوْصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١٢]. يقال: وصى التبت: إذا اتصل بعضه ببعض. فالوصية كأنّ الموصي بالوصية يصلّ جلّ أمره إلى الموصى إليه ليقوم به.

^{٧٤} ينظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص ١٧١. وأبو العز القلانسي، إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي، (رسالة ماجستير من كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٤٠٤هـ)، ص ١٥٣.

^{٧٥} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٣٩، بيت رقم [٤٨٦].

وقراءة ﴿وَوَصَّى﴾ على وزن "فَعَّل"، ومنه قوله عز وجل: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٥٠]، فالتوصية مصدر وصَّى، مثل: قطع قطعة. وهذه القراءة ﴿وَوَصَّى﴾ أبلغ من ﴿وَأَوْصَى﴾؛ لأنَّ ﴿وَأَوْصَى﴾ جائز أن تكون مرّة واحدة، ﴿وَوَصَّى﴾ لا تكون إلا مرات كثيرة.

وذهب الكسائي رحمه الله تعالى إلى أنَّهما لغتان معروفتان، يقال: وصَّيتك وأوصيتك كما يقال: كرَّمتك وأكرمتك، والقرآن الكريم جاء بالوجهين كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١] وقوله: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ و﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا﴾ والتشديد أكثر ورودًا في القرآن الكريم^{٧٦}.

والذي يظهر خلال ما سبق أنَّ القراءتين لغتان بمعنى واحد، غير أنَّ قراءة ﴿وَوَصَّى﴾ تفيد المبالغة والتكرار على قراءة ﴿وَأَوْصَى﴾.

وتتكامل دلالة القراءتين في الإشارة إلى أنَّ إبراهيم أوصى بنيه ويعقوب عليهما السلام بالاستقامة على التوحيد حتى الموت، وهذه التوصية تكررت منهما مرّة بعد مرّة.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة هنا كانت بتحويل وزن الفعل إلى أقوى منه، من "أفعل" إلى "فَعَّل" وعلى هذا فقراءة ﴿وَوَصَّى﴾ بالتشديد، أفادت المبالغة والتكرار في الوصية، وأنَّ إبراهيم ويعقوب - عليهما السلام - لم يكتفيا بالوصية لأبنائهم مرة واحدة، بل كرّرا الوصية مرّة بعد أخرى لأهميتها، فقوة اللفظ لقوة المعنى، والعلم عند الله تعالى.

الموضع الثاني عشر: قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

القراءة:

^{٧٦} ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٢، ص ٢٢٧. وابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١١٥.

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿رَعُوفٌ﴾، فقرأها نافع وأبو جعفر وابن كثير وابن عامر وحفص ﴿رَعُوفٌ﴾ بزيادة واو بعد الهمزة، وقرأها الباقر ﴿رُوفٌ﴾ بقصر الهمزة وحذف الواو^{٧٧}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَفِي أَمْ يَقُولُونَ الْخُطَابُ كَمَا عَلَا *** شَفَا وَرَعُوفٌ قَصْرُ صُحْبَتِهِ حَلَا^{٧٨}.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿رَعُوفٌ﴾ بإثبات الواو على وزن "فَعُولٌ"، وبعض صفات الله تعالى جاءت على هذا الوزن كقوله: غفور، شكور، ودود، وهو أفخم؛ لأنَّ ذلك لا يقال إلا لمن دام الفعل منه وثبت له كقول الشاعر:

نُطِيعُ نَبِيَّنَا وَنُطِيعُ رَبَّنَا ***** هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَ بِنَا رُؤُوفًا

وقراءة ﴿رُوفٌ﴾ بحذف الواو على وزن "فَعْلٌ"، أنه ميل إلى التخفيف؛ لاجتماع الهمز والواو، وكان حذفها لا يزيل لفظاً ولا يحيل معنى، فاستجاز ذلك كما قال الشاعر:

يَرَى لِلْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ حَقًّا ***** كَفَعَلَ الْوَالِدِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ

وذهب ابن زنجلة - رحمه الله تعالى - إلى أنَّ قراءة ﴿رُوفٌ﴾ بالقصر على وزن "فَعْلٌ" أبلغ في المدح كما تقول رجل حَذَقٌ وَيَقْظُ للمبالغة^{٧٩}.

ويرى المكي - رحمه الله تعالى - أنَّ القراءتين لغتان بمعنى واحدٍ، يأتي اسم الفاعل على "فَعُولٌ" وعلى "فَعْلٌ"، لكن باب "فَعُولٌ" أكثر من باب "فَعْلٌ" في الاستعمال، يقال: رجل ضروب وشكور، فهو أكثر من قولك: رجل حَذَرٌ. والقراءتان متوازنتان، لكن حذف الواو أخف في القراءة، وإثباتها أكثر في الاستعمال لنظائره^{٨٠}.

^{٧٧} ينظر: عبد المنعم بن عبيد الله الحلبي، أبو الطيّب ابن غلبون، الإرشاد في القراءات عن الأئمة السبعة رضي الله عنهم، تحقيق: أ.د. باسم حمدي بن حامد (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، ط ١، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م)، ص ٥٣٨. وابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٢٢٣.

^{٧٨} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٣٩، بيت رقم [٤٨٧].

^{٧٩} ينظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ٨٩. وابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١١٦.

^{٨٠} ينظر: مكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٢٦٧.

وخلال ما سبق يتبين أنّ القراءتين بمعنى واحد غير أنّ قراءة ﴿رُءُوفٌ﴾ على صيغة المبالغة تفيد التكرار، وقراءة ﴿رُؤْفٌ﴾ صفة مشبهة تفيد الثبوت وال لزوم. وتتكامل دلالة معنى القراءتين أنّهما بمعنى واحد، أنّه لما نفى الله إضاعة أعمال المؤمنين قبل تحويل القبلة بقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ في هذه الجملة مبالغاً فيها بلام الجحود، ناسب إثبات الجملة الخاتمة مبالغاً فيها، فبالغ فيها بأنّ وباللام وبالوزن على "فَعُول" و"فَعْلٌ"، كل ذلك إشارة إلى سعة الرحمة وكثرة الرأفة^{٨١}.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿رُءُوفٌ﴾ أنّها على صيغة المبالغة، أفادت تأكيد المعنى من قراءة الأخرى، وقراءة ﴿رُؤْفٌ﴾ صفة مشبهة تفيد الثبوت وال لزوم. ففوة اللفظ لقوة المعنى، وزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، والله أعلم.

الموضع الثالث عشر: قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿الرِّيْحِ﴾ في القرآن الكريم، فقرأها نافع وأبو جعفر وعاصم وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب ﴿الرِّيْحِ﴾ بالألف على الجمع في عشرة مواضع، هنا في سورة البقرة والأعراف والحجر والكهف والفرقان والنمل وموضعين في سورة الروم وموضع في سورة فاطر والجنّة. وزاد نافع موضع في سورة إبراهيم والشورى، وزاد أبو جعفر على ذلك موضع في سورة الإسراء والأنبياء وسبأ على الجمع، والباقي على الأفراد.

ووافقهم ابن كثير في البقرة والحجر والكهف وموضع الأول من سورة الروم والجنّة بالجمع والباقي على الأفراد. ووافقهم حمزة والكسائي وخلف في سورة الحجر بالألف على

^{٨١} ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٢، ص ٢٠.

الجمع، والباقي على الإفراد سوى أول سورة الروم ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ [الرُّوم: ٤٦]، فباتفاق الكل على الجمع^{٨٢}.

والخلاصة أنَّ حمزة والكسائي وخلف قرؤوا كلمة ﴿الرَّيْح﴾ في هذا الموضع بسكون الياء من غير ألف على الإفراد، وقرأ الباقون ﴿الرَّيْح﴾ بياء مفتوحة وألف بعدها على الجمع. والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَفِي التَّاءِ يَاءٌ شَاعَ وَالرَّيْحَ وَحَدَا *** وَفِي الْكَهْفِ مَعَهَا وَالشَّرِيعَةَ وَصَّالَا
وَفِي النَّمْلِ وَالْأَعْرَافِ وَالرُّومِ ثَانِيَا *** وَفَاطِرِ دُمٍ شُكْرًا وَفِي الْحِجْرِ فُصِّلَا
وَفِي سُورَةِ الشُّورَى وَمِنْ تَحْتِ رَعْدِهِ *** خُصُوصٌ وَفِي الْفُرْقَانِ زَاكِيهِ هَلَّا^{٨٣}.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿الرَّيْح﴾ بالإفراد على أنَّ الواحد يدل على الجنس، فهو أعم كما تقول: كثر الدرهم والدينار في أيدي الناس، وإنما تريد هذا الجنس. وذكر الكسائي رحمه الله تعالى أنَّ العرب تقول: جاءت الريح من كل مكان، ولو كانت ريحًا واحدةً جاءت من مكان واحد، فقولهم من كل مكان وقد وحدوها يدل على أنَّ في التوحيد معنى الجمع.

وقراءة ﴿الرَّيْح﴾ بالألف على الجمع؛ لأنَّها أنواع يختلف مجاريها وتصريفها ويتغاير مهاجها في المشرق والمغرب، ويتغاير جنسها في الحرِّ والبرد، فجمعت لأنَّها أنواع مختلفة المعنى. ويقوي الجمع ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما^{٨٤}، عن النبي ﷺ أنَّه كان إذا هاجت ريح جثًا على ركبته واستقبلها ثم قال: "اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيَّاحًا، وَلَا تَجْعَلْهَا رِيحًا، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رَحْمَةً، وَلَا تَجْعَلْهَا عَذَابًا"^{٨٥}.

^{٨٢} ينظر: عبدالله بن علي سبط الخياط البغدادي، المبهج في القراءات السبع الممتمة بابن محيصن والأعمش ويعقوب وخلف، تحقيق: سيد كسروي حسن، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ج ٢، ص ٨٨.

وابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٢٢٣.

^{٨٣} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٣٩، بيت رقم [٤٩٠ - ٤٩٢].

وذكر المكي - رحمه الله تعالى - أنّ وجه القراءة بالجمع هو إتيانها من كل جانب، وذلك معنى يدل على اختلاف هبوبها، فهي رياح لا ربح؛ لأنّ الرّيح الواحد إنّما تأتي من جانب واحد، فكان لفظ الجمع فيها أولى؛ لتصرّفها من جهات مختلفة، فيكون لفظها مطابقاً لمعناها في الجمع.

وأيضاً فإنّ هذه المواضع أكثرها لغير العذاب، وقد كان النبي ﷺ يقول كما في الحديث السابق إذا رأى ريحاً هبّت: "اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيحًا، وَلَا تَجْعَلْهَا رِيحًا"، فعلم أنّ الرّيح بالجمع تأتي في الرحمة، وبالإفراد للعقوبة في الغالب^{٨٦}.

والظاهر أنّ القراءتين بمعنى واحدٍ غير أنّ قراءة الجمع تتطابق مع تصريف الرياح أكثر، إذ صرّحت بأنّ الرياح أنواع، وقراءة الإفراد دلّت على جنس الرّيح، وهو يقع على القليل والكثير.

وتتّكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى أصل معنى الرّيح، وأنّها أنواع مختلفة المجاري والتصريف، يتغاير مهاهما في المشرق والمغرب، ويتغاير جنسها في الحرّ والبرد؛ لإتيانها من جوانب متعدّدة بالرحمة والعذاب.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿الرَّيْح﴾ بالجمع للدلالة على أنواع الرياح بدون احتمال القلة، وعلى معنى إتيانها من جوانب متعدّدة، بخلاف قراءة ﴿الرَّيْح﴾ بالإفراد التي دلّت على جنس الرّيح وفيها احتمال القلة. فقوة اللفظ لقوة المعنى، وزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، والعلم عند الله تبارك وتعالى.

^{٨٤} هو صحابي جليل، عبد الله بن العباس بن عبدالمطلب الهاشمي، أبو العباس، له مناقب كثيرة، منها دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بالعلم بالتفسير والفقّه رضي الله عنه، المتوفى سنة (٦٨هـ). ينظر: عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان، أبو القاسم البغوي، معجم الصحابة، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، (الكويت: مكتبة دار البيان، ط ١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ج ٣، ص ٤٨٢.

^{٨٥} حديث ضعيف، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني أبو عبد الرحمن، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، (الرياض: دار المعارف، ط ١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ج ٩، ص ٢٢٨.

^{٨٦} ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١١٨. ومكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٧٢.

الموضع الرابع عشر: قوله تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨٢].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿مُوسٍ﴾، فقرأها شعبة وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف البزار ﴿مُوصٍ﴾ بفتح في الواو وتشديد في الصاد، وقرأها الباقون ﴿مُوسٍ﴾ بالتخفيف^{٨٧}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَلَكِنْ خَفِيفٌ وَارْفَعَ الْبِرَّ عَمَّ فِيهِ *** هَمَا وَمُوصٍ ثَقُلَهُ صَحَّ شُلْشَلًا^{٨٨}.

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

وَلَكِنْ وَبَعْدُ انْصَبَ أَلَا اشْدُدْ لِتُكْمِلُوا *** كَمُوسٍ حِمًا وَالْعُسْرَ وَالْيُسْرَ أَثْقَلًا^{٨٩}.

توجيه القراءة:

أنّ قراءة ﴿مُوصٍ﴾ بالتشديد من "وصى وتوصية"، ف"موص" اسم فاعل من "وصى"، ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَوَصَّيْ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ وَيَعْقُوبُ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٥٠]، فالتوصية مصدر وصى، مثل: قطع تقطعة. وفي قراءة ﴿مُوصٍ﴾ بالتشديد معنى التكرير والتكثير.

وقراءة ﴿مُوصٍ﴾ بالتخفيف هو اسم فاعل من "أوصى يوصي"، ومنه قوله تعالى:

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١]، وقوله: ﴿مَنْ بَعَدَ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾

[النساء: ١٢]^{٩٠}.

^{٨٧} ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص ١٤٢. والحسن بن خلف بن عبد الله ابن بليمة، أبو علي،

تلخيص العبارات بلطيف الإشارات في القراءات السبع، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، (جدة: دار القبله للثقافة

الإسلامية، ط ١، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٨ م)، ص ٧٠.

^{٨٨} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤٠، بيت رقم [٤٩٩].

^{٨٩} ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٤، بيت رقم [٧٤].

^{٩٠} ينظر: مكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٢٨٢.

والخلاصة أنَّ القراءتين لغتان بمعنى واحدٍ، غير أنَّ قراءة ﴿مُوصٍ﴾ بالتشديد تفيد المبالغة وتكرار معنى الفعل.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى فعل الوصية، والتأكد منها لأهميتها مرّة بعد مرّة.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿مُوصٍ﴾ بالتشديد، إفادتها المبالغة والتكرار لوقوع الوصية، مرّة بعد أخرى، ففوة اللفظ لقوة المعنى، ودلالة زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، والعلم عند الله تبارك وتعالى.

الموضع الخامس عشر: قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿لِتُكْمِلُوا﴾، فقرأها شعبة ويعقوب ﴿لِتُكْمِلُوا﴾ بتشديد الميم، وقرأها الباقون ﴿لِتُكْمِلُوا﴾ بالتخفيف في الميم^{٩١}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَنَقُلُ الْقُرْآنَ وَالْقُرْآنَ دَوَاؤُنَا *** وَفِي تَكْمِيلُوا قُلْ شُعْبَةُ الْمِيمِ ثَقَلًا^{٩٢}.

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

وَلَكِنْ وَبَعْدُ أَنْصَبُ إِلَّا أَشَدُّ لِتُكْمِلُوا *** كَمُوصٍ حِمًّا وَالْعُسْرَ وَالْيُسْرَ أَثْقَلًا^{٩٣}.

توجيه القراءة:

^{٩١} ينظر: ابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٢٢٦. وسراج الدين عمر بن قاسم الأنصاري النشار أبو حفص، المكرّر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرّر، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الحفيان، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢ هـ/٢٠٠١ م)، ص ٥٤.

^{٩٢} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤٠، بيت رقم [٥٠٢].

^{٩٣} ابن الجزري، الدرّة المضيئة، ص ٢٤، بيت رقم [٧٤].

أنَّ قراءة ﴿لِتُكْمِلُوا﴾ بالتشديد من كَمَل يكمل على وزن "فَعَلَ"، ولمناسبته بما بعده، وهو قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُكُمْ﴾.

وقراءة ﴿لِتُكْمِلُوا﴾ بالتخفيف من أكمل يكمل على وزن "أفعل"؛ ولمناسبته بقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وهما لغتان مثل كَرَّمْتُ وأَكْرَمْتُ، ورد كلاهما في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٧٠]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأَمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ [يوسف: ٢١].

والحجة لقراءة ﴿لِتُكْمِلُوا﴾ بالتشديد تكرير فعل الصوم في شهر رمضان إلى إتمام عدته. وقراءة ﴿لِتُكْمِلُوا﴾ بالتخفيف على جعل عقد صوم شهر رمضان واحداً. ودليله: قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^{٩٤}.

والمعنى: يريد الله منكم أن تكملوا العدة وتكبروا الله تعالى، وإكمال العدة يحصل بقضاء صوم الأيام التي أفطرها من يجب عليه الصوم؛ ليأتي بعدد أيام صوم رمضان كاملةً، ففي تلك العدد حكمة تجب المحافظة عليها، فبالقضاء تحصل حكمة التشريع، وبرخصة الإفطار للمعذور تحصل رحمة التخفيف^{٩٥}.

والخلاصة كما ذكر المكي - رحمه الله تعالى - أنَّ القراءتين لغتان بمعنى واحدٍ، يقال: أكملت وكملت، ويقوي التخفيف إجماع الكل على قراءة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، ويقوي التشديد أن فيه معنى التأكيد والتكرير^{٩٦}، والمراد بذلك أن يتم الحرص على إكمال الصيام، سواءً لمن يصومه في وقته، أو من يقضي أياماً بعده.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في ضرورة إكمال الصيام دون أي نقص ليوم من أيام الصيام، سواءً لمن يصومه في وقته، أو من يقضيه في أيام أخر، فيصومه على هيئة عالية من الإقبال والأجواء الروحانية الإيمانية.

^{٩٤} ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ٩٣. وابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١٢٦.

^{٩٥} ينظر: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير

العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (تونس: الدار التونسية للنشر، د. ط، ١٩٨٤م)، ج ٢، ص ١٧٦.

^{٩٦} ينظر: مكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٣٤٦.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿لِتَكْمَلُوا﴾ بالتشديد المبالغة للإشارة إلى أن يتم الصيام في وقته أو القضاء بكل معاني رمضان الروحية، واجتناب قول الزور والمخاصمة؛ لأن يكون الإكمال على الدرجة الأفضل^{٩٧}، فقوة اللفظ لقوة المعنى، وزيادة المبني تدل على زيادة في المعنى. والله أعلم.

الموضع السادس عشر: قوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرِجُوهُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكُفْرِينَ﴾ [البقرة: ١٩١].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة هذه الكلمات ﴿وَلَا تُقْتُلُوهُمْ﴾ و﴿حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ﴾ و﴿فَإِنْ قَتَلْتُمْ﴾، فقرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿وَلَا تُقْتُلُوهُمْ﴾ وقوله: ﴿حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ﴾ و﴿فَإِنْ قَتَلْتُمْ﴾ بحذف الألف في جميعها، وقرأ الباقون ﴿وَلَا تُقْتُلُوهُمْ﴾ وقوله: ﴿حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ﴾ و﴿فَإِنْ قَتَلْتُمْ﴾ بإثبات الألف في الجميع^{٩٨}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَلَا تُقْتُلُوهُمْ بَعْدَهُ يُقْتَلُونَ *** فَإِنْ قَتَلْتُمْ قَصَرُهَا شَاعَ وَانْجَلَا^{٩٩}.

توجيه القراءة:

^{٩٧} ينظر: مهنا محمود عبد الكريم وعيسى إبراهيم وادي، اتساع الدلالات في تعدد القراءات القرآنية، (لبنان: مؤسسة

الرسالة ناشرون، ط ١، ١٤٣٨ هـ/ ٢٠١٧ م) ج ١، ص ١٠٧.

^{٩٨} ينظر: أحمد بن علي بن عمر ابن سوار، أبو طاهر البغدادي الحنفي، المستنير في القراءات العشر، تحقيق: أحمد

طاهر أويس، (رسالة دكتوراه من كلية القرآن، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤١٣ هـ)، ص ٤٧٤. وابن الجزري،

النشر، ج ٢، ص ٢٢٧.

^{٩٩} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤١، بيت رقم [٥٠٤].

أَنَّ وَجْهَ قِرَاءَةِ ﴿وَلَا تُقْتُلُوهُمْ﴾ وقوله: ﴿حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ﴾ وقوله: ﴿فَإِنْ قُتِلُوا﴾ بإثبات الألف فيها من القتال؛ لاتفاق القراء في قول الله تعالى: ﴿وَقُتِلُوا حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ [البقرة: ١٩٣] بالألف، والفتنة مراد بها الكفر، أي: قاتلوهم حتى لا يكون كفر لمكان قتالكم إياهم.

ووجه قراءة ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ﴾ وقوله: ﴿حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ﴾ وقوله: ﴿فَإِنْ قُتِلُوا﴾ بحذف الألف فيهنّ من القتل؛ ولاتفاق الكل في قوله تعالى: ﴿فَأَقْتُلُوهُمْ﴾ على الحذف، وقوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾، والقتل: مصدر قتلته، دون قاتلته أي: الكفر أشدّ من القتل فاقتلوهم، فأمر بالقتل ليزيل به الكفر. ففي توجيه القراءتين الاستدلال بالمتفق عليه على المختلف فيه.

ومعنى قراءة ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ﴾ وما بعدها بالقصر، أي لا تبدؤوهم بقتل حتى يبدؤكم به، وجاز ولا تقتلوهم وإن وقع القتل ببعض دون بعض؛ لأنّ العرب تقول: قتلنا القوم، وإنما قتلوا بعضهم.

ومعنى قراءة ﴿وَلَا تُقْتِلُوهُمْ﴾ وما بعدها بالمد على نهي المؤمنين عن البدء بالقتال حتى يكون الابتداء من الكفار، والقتال يكون من اثنين، والقتل يكون من الواحد. وأجازت العرب قاتله الله بمعنى: لعنه. وقيل في قوله تعالى: ﴿قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤]، أي: قتلهم الله.

فأما قراءة ﴿وَلَا تُقْتُلُوهُمْ﴾ فهي واضحة؛ لأنها نهي عن مقدمات القتل، فدلالته على النهي عن القتل بطريق الأولى.

وأما قراءة ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ﴾ ففيها تأويلان، أحدهما: أن يكون المجاز في الفعل، أي: ولا تأخذوا في قتلهم حتى يأخذوا في قتلكم. ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رَيْثُونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٤٦] ثم قال: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي ما وهن من بقي منهم، وقال الشاعر:

فَإِنْ تَقْتُلُونَا نَقْتُلْكُمْ ***** وَإِنْ تَقْصِدُوا الدَّمَ نَقْصِدِ.

أي: فإن تقتلوا بعضنا. وأجمعوا على ﴿فَأَقْتُلُوهُمْ﴾ أنه من القتل، وفيه بشارة بأنهم إذا فعلوا ما أمرهم الله به، فإنه يمكنهم على قتلهم لا بقتالهم لنصرتكم عليهم وخذلانهم، وهذا

يؤيد قراءة ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ﴾، كما يؤيده أيضاً ما اتفق عليه وهو قوله تعالى: ﴿وَقَتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠] ١٠٠.

والذي يظهر خلال ما سبق، أنّ في توجيه القراءتين استدلال بالمتفق عليه على المختلف فيه، فقراءة ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ﴾ بالألف من القتال، وقراءة ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ﴾ بغير الألف من القتل، والقتل سبب لوقوع القتال.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى نهي المؤمنين عن بدء مقاتلة الكفار وقتلهم حتى يكون ابتداء ذلك منهم، فحينئذ يجوز لكم قتالهم وقتلهم؛ لأنهم بدؤوكم بذلك وسينصركم الله تعالى عليهم.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ﴾ بالألف واضحة في النهي عن مقدمات القتل، فدلالته على النهي عن القتل بطريق الأولى، فقوة اللفظ لقوة المعنى، وزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، والعلم عند الله تبارك وتعالى.

الموضع السابع عشر: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوْبِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿يَطْهَرْنَ﴾، فقرأها شعبة وحمزة والكسائي وخلف ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بتشديد في الطاء والهاء، وقرأها الباقر ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بالتخفيف ١٠١.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

١٠٠ ينظر: الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ١٩٥. أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٢، ص ٢٨٥.

السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٢، ص ٣٠٧.

١٠١ ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص ١٤٦. وعلي بن محمد بن سالم أبو الحسن النوري المالكي

الصفافسي، غيث النفع في القراءات السبع، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الحفيان، (بيروت: دار الكتب

العلمية، ط ١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص ١١١.

وَيَطْهَرْنَ فِي الطَّاءِ السُّكُونُ وَهَآؤُهُ *** يُضَمُّ وَحَقًّا إِذْ سَمَّا كَيْفَ عُولًا ١٠٢.

توجيه القراءة:

أَنَّ قِرَاءَةَ ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بالتشديد من التطهير، والمعنى: أي حتى يغتسلن بالماء بعد انقطاع الدم؛ لأنَّ الله أمر عباده باعتزال زوجاتهم في حال الحيض إلى أن يتطهرن بالماء لقوله بعده: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ وهو على وزن "تَفَعَّلْنَ"، فيدل على أنَّ لها فعل، وفعلها الاغتسال؛ لأنَّ انقطاع دم الحيض ليس من فعلها، ويشهد لهذا المعنى قراءة شاذة لأبي بن كعب وابن مسعود ١٠٣ رضي الله عنهما "حتى يتطهرن" بياء وتاء ١٠٤.

وقراءة ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بالتخفيف من الطهر، ومعنى ذلك حتى ينقطع الدم عنهن ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي بالماء، لأنَّ الله أمر عباده باعتزال النساء في الحيض إلى حين انقطاع الدم. ويرى المكي رحمه الله تعالى أنَّ قراءة ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بالتخفيف على معنى ارتفاع الدم وانقطاعه، لكن لم تتم الفائدة إلا بقوله: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي بالماء ﴿فَأَتَوْهُنَّ﴾، فهذا تتم الفائدة والحكم؛ لأنَّ الكلام متّصل بعبءه ببعض، فلا يحسن أن يكون ﴿يَطْهَرْنَ﴾ محققاً تتم به الفائدة والحكم؛ لأنَّه يوجب إتيان المرأة إذا انقطع عنها الدم وإن لم تتطهر بالماء، ويكون قوله: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ لا فائدة له، إذ الوطء قد يتم بزوال الدم، فلا بدّ من اتصال ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ بما قبله، وبه يتم الحكم والفائدة في أن لا توطأ الحائض إلا بانقطاع الدم والتطهير بالماء، وعلى هذا تكون القراءة بالتخفيف فيها بيان الحكم وفائدته؛ لأنَّ فيها بيان إباحة الوطء بعد انقطاع الدم والتطهير بالماء.

١٠٢ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤١، بيت رقم [٥١٠].

١٠٣ هو صحابي جليل، عبد الله بن مسعود بن غافل بن هذيل، أبو عبد الرحمن، من قراء الصحابة، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان ابن مسعود يشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم في هديه ودله وسمته، المتوفى سنة (٣٢هـ). ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ١١١.

١٠٤ ينظر: ابن خالويه. مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع. (القاهرة: مكتبة المتنبّي، د.ط، د.ت)، ص ٢١. ورضي الدين الكرماني، شمس القراء، أبو عبدالله محمد بن أبي النصر، شواذ القراءات، تحقيق: الدكتور: شمران العجلي، (بيروت: مؤسسة البلاغ، د.ط، د.ت)، ص ٩١.

وقراءة ﴿يَطْهَرْنَ﴾ على معنى التطهير بالماء، دليلها إجماعهم على التشديد في قوله: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ فحمل الأول على الثاني، وأيضا فإنَّ قراءة ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بالتخفيف تُوهم جواز إتيان الحائض إذا ارتفع عنها الدم، وإن لم تطهر بالماء، فكأنَّ التشديد فيه رفع التوهم، أو هي في حكم الحائض ما لم تطهر، وهي ممنوعة من الصلاة ما لم تتطهر، ولزوجها مراجعتها ما لم تطهر بالماء، وإن كان الدم قد انقطع، وهذا قول الجمهور من الصحابة والفقهاء إلا الحنفية^{١٠٥} رحمة الله عليهم أجمعين.

فإذا كان حكم انقطاع الدم من غير غُسل حكم ثبوته، وجب أن يؤثر التشديد؛ ليفيد الخروج عن حكم الحائض في جواز الوطء، وإباحة الصلاة ومنع الرجعة، ويدل على قوة التشديد كما سبق قراءة أبي وابن مسعود رضي الله عنهما "حتى يتطهرن" بياء وتاء، وهي أيضا تدل على أنَّ التطهر يكون بالماء.

وهذه القراءة ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بالتخفيف كيف ما عول في توجيهها فهي سامية رفيعة تحتمل الأمرين، وهما: انقطاع دم الحيض والغسل منه، وقراءة ﴿يَطْهَرْنَ﴾ ظاهرة في إشارة الاغتسال.

وأصل الكلمة "يتطهرن" فأدغمت التاء في الطاء؛ أي: حتى يغتسلن، فتعين حمل قراءة التخفيف على هذا المعنى أيضا لإمكانية ذلك.

كما جاء في الحديث عن أم سلمة رضي الله عنها^{١٠٦} أنَّ النبي ﷺ قال لها: "إِنَّمَا يَكْفِيكَ أَنْ تَحْثِي عَلَى رَأْسِكَ ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ ثُمَّ تُفِيضِينَ عَلَيْكَ الْمَاءَ فَتَطْهَرِينَ"^{١٠٧}، فيكون قوله: ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بهذا المعنى.

^{١٠٥} ينظر: ابن رشد الحفيد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج ١، ص ٦٤. وقد سبق الإشارة إليه في مبحث الأول من الفصل الأول.

^{١٠٦} هي أم المؤمنين أم سلمة، واسمها هند بنت أبي أمية بن مخزوم، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليال بقين من شوال سنة أربع من الهجرة، وتوفيت سنة (٥٩هـ). ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ٦٩.

^{١٠٧} مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج ١، ص ٢٥٩. كتاب الحيض، باب حكم ضفائر المغتسلة، حديث رقم [٣٣٠].

أو يجمع بين القراءتين، فيكون حتى يطهرن ويتطهرن؛ أي: حتى يجتمع الأمران، وهما انقطاع دم الحيض والاعتسال، فأحدهما لا ينوب عن الآخر، فلو اغتسلت المرأة قبل انقطاع الدم، فإنه لا يبيح الوطء، فكذا إذا انقطع الدم ولم تغتسل لا يبيح الوطء أيضاً حتى يجتمع انقطاع الدم والغسل^{١٠٨}.

والظاهر مما سبق، أنّ قراءة ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بالتخفيف تدل بمجرّد انقطاع دم الحيض تطهر المرأة، يحل وطأها لزوجها، وعلى قراءة ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بالتشديد تدل على أنّ المرأة لا يجوز وطأها لزوجها حتى تغتسل بالماء بعد انقطاع الدم.

فقراءة التشديد تتضمن الاعتسال؛ لأنّ الحائض لا يجوز وطؤها عند جمهور الفقهاء إذا انقطع الدم عنها حتى تغتسل بالماء. وقراءة التخفيف تتضمن انقطاع الدم، وحكمها كقراءة التشديد؛ لأنّ بعده ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ يعني بالماء.

أو تنزل القراءتان منزلة الجمع، أي حتى يطهرن ويتطهرن؛ أي: حتى يجتمع الأمران، وهما انقطاع دم الحيض والاعتسال، فأحدهما لا يجزئ بدليل ما لو اغتسلت قبل انقطاع الدم، فإنّ ذلك لا يبيح وطؤها، فكذا إذا انقطع عنها الدم ولم تغتسل.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين أنّه لا يجوز وطء الحائض حتى يجتمع الأمران فيها، وهما انقطاع دم الحيض والاعتسال، فأحدهما لا ينوب عن الآخر، فلو اغتسلت المرأة قبل انقطاع دم حيضها، فإنّ ذلك لا يبيح وطؤها، فكذا إذا انقطع الدم عنها ولم تغتسل.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بالتشديد إفادة رفع توهم جواز وطء الحائض إذا انقطع عنها الدم إن لم تغتسل بالماء، فتكون في حكم الحائض؛ لأنّ قراءة ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بالتخفيف بدون اتصالها بـ ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ تُوهم جواز إتيان الحائض إذا ارتفع عنها الدم وإن لم تطهر بالماء.

^{١٠٨} ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١٣٥. مكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٢٩٣. أبو شامة، إبراز المعاني من حرز الأمان، ص ٣٦٠.

وقراءة ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بالتشديد على وزن "تَفَعَّلْنَ" فيجب أن يكون لها فعل، وفعلها إنما هو الاغتسال؛ لأنَّ انقطاع الدم ليس من فعلها، وعلى هذا ففيها المبالغة على قراءة ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بالتخفيف.

وأفادت أيضاً قراءة ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بالتشديد زيادة المعنى على قراءة ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بالتخفيف تأكيد الغسل قبل وطء المرأة بعد انقطاع الدم، والذي دلَّ على ذلك وأثر، الزيادة على وزن الكلمة، فقوة اللفظ لقوة المعنى، وزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، والعلم عند الله تبارك وتعالى.

الموضع الثامن عشر: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسَرَّضِعُوا أَوْلَدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

ونظيره قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ لَّيْرَبُوءٍ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِبُوءُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الرؤم: ٣٩].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿آتَيْتُمْ﴾ هنا في سورة البقرة والرؤم ﴿آتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ﴾ أول موضع فيها، فقرأها ابن كثير ﴿آتَيْتُمْ﴾ بقصر الهمزة في الموضعين، وقرأها الباقون ﴿آتَيْتُمْ﴾ بالمد^{١٠٩}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَقَصْرُ آتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ وَأَتَيْتُمْو *** هُنَا دَارَ وَجْهًا لَيْسَ إِلَّا مُبَجَّلًا ١١٠.

توجيه القراءة:

^{١٠٩} ينظر: أبو عمرو الداني، جامع البيان في القراءات السبع، تحقيق: عدد من الباحثين، (الإمارات: جامعة الشارقة،

ط ١، ٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ج ٢، ص ٩١٤. وابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٢٢٨.

^{١١٠} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤١، بيت رقم [٥١٢].

أنَّ قراءة ﴿أَتَيْتُمْ﴾ بالقصر على وزن "فَعَلْتُمْ"، ومعنى أتيْتُ فعلْتُ، تقول: أتيْتُ جميلاً وأتيْتُ خيراً فعلْتُهُ، تقديره: ما أتيتم نقده أو أتيتم إعطاءه، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، والهاء في القراءتين محذوفة من الصلة، والتقدير: أتيتموه^{١١١}.

وقد تقع "أَتَيْتَ" موضع "أَتَيْتَ". ويجوز أن يكون ما في الآية مصدرًا، فيكون التقدير: إذا سلّمتم الإتيان، والإتيان: المأتي، مما يبدل بسوق أو نقد، كقولك: ضرب الأمير، تريد: مضروبه.

وقراءة ﴿ءَاتَيْتُمْ﴾ بالمد على وزن "أَفْعَلْتُمْ"، وأتيْتُ بمعنى أعطيت، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٢٥]، وقوله تعالى ﴿وَأَتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ [النساء: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠]، فـ"أتى" بمعنى الإعطاء^{١١٢}. يؤيده قوله تعالى قبله: ﴿سَلَّمْتُمْ﴾، والتسليم لا يكون إلا بالإعطاء^{١١٣}.

والذي يظهر في توجيه القراءتين، أنَّ قراءة ﴿أَتَيْتُمْ﴾ بالقصر بمعنى جئتموه وفعلتموه، كما يقال: أتى جميلاً أي: فعله، وأتى إليه إحساناً فعله. وقراءة ﴿ءَاتَيْتُمْ﴾ بالمد بمعنى: ما أعطيتم.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى جواز استرضاع الولد إلى غير أمه إذا أراد الزوجان ذلك واتفقا عليه، ويسلّم للمرضعة أجرها للرضاعة، وكل ذلك يكون بالمعروف. وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿ءَاتَيْتُمْ﴾ بالمد هنا لم تفد معنى زائدًا على قراءة ﴿أَتَيْتُمْ﴾ بالقصر، بل العكس هو الذي أفاد زيادة المعنى، فقراءة القصر هي التي تتضمن قراءة ﴿ءَاتَيْتُمْ﴾ بالمد وتزيد على معناها؛ لأنَّ معنى قراءة ﴿ءَاتَيْتُمْ﴾ بالمد أعطيتم، وأعطيتم فعل، والفعل هو معنى قراءة ﴿أَتَيْتُمْ﴾ بالقصر، ويتضمن الفعل الإعطاء وغيره، فقوة اللفظ لقوة المعنى، والله أعلم.

^{١١١} ينظر: ابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٣٢٩.

^{١١٢} ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٢، ص ٣٣٥.

^{١١٣} ينظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ٩٧.

الموضع التاسع عشر: قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الزَّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧]. ونظيره قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمِنْ تَعْفُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿تَمْسُوهُنَّ﴾ هنا في سورة البقرة والأحزاب، فقرأها حمزة والكسائي وخلف ﴿تَمَّاسُوهُنَّ﴾ بضم في التاء وألف بعد الميم، وقرأها الباقون ﴿تَمْسُوهُنَّ﴾ بفتح التاء وبغير الألف ١١٤.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

مَعًا قَدْرُ حَرَكٍ مِنْ صَحَابٍ وَحَيْثُ جَا *** يُضَمُّ تَمْسُوهُنَّ وَامْدُدَّهُ شُلْشَلًا ١١٥.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿تَمَّاسُوهُنَّ﴾ بالألف على المفاعلة، أنه جعل الفعل لاثنين؛ فالمسيس وإن كان من الرجل فالمرأة مشاركة فيه؛ لأنَّ كل واحد من الزوجين يمس صاحبه بالوطء أو بالمباشرة فبابه المفاعلة، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا﴾ [المجادلة: ٣]، فوقع الفعل لهما كذلك، وهذا لما كان من كل واحد من الزوجين مماسة للآخر عند الوطء، مُحل على باب المفاعلة.

وقراءة ﴿تَمْسُوهُنَّ﴾ بغير الألف، أنَّ المسَّ هنا يراد به الوطء أو المباشرة، والواطيء الرجل دون المرأة، فهو فعل واحد، فبابه "فعل" لا "فاعل". فقد أجمعوا على ترك الألف في قوله تعالى مخبراً عن قول مريم عليها السلام: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي

١١٤ ينظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص ١٨٣. وأبو العز القلانسي، الكفاية الكبرى، ص ٢٠٢.

١١٥ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤١، بيت رقم [٥١٣].

بَشَرٌ» [آلِ عِمْرَانَ: ٤٧]، ولم تقل: يماسسني، فدل ذلك على أنَّ الفعل للزوج وحده الواطي^{١١٦}.

وذهب أبو علي الفارسي - رحمه الله تعالى - بأنَّ القراءتين بمعنى واحدٍ، ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾ و﴿تَمَّاسُّوهُنَّ﴾ المسَّ من الرجل دون المرأة، وأنَّ "فاعل" و"فعل" قد يراد بكلِّ واحد منهما ما يراد بالآخر، وذلك نحو: طارقت النعل، وعاقبت اللصَّ، كما أنَّ "فعل واستفعل"، يراد بكل واحد منهما ما يراد بالآخر، نحو: قرَّ واستقرَّ، وعلا قرنه واستعلاه، وفي التنزيل: ﴿وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ [الصَّافَّات: ١٤] وكذلك عجب واستعجب.

وأفعال هذا الباب تأتي على "فعل" كقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٤٧]، وقوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرَّحْمَن: ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿فَأَنكِحُوهُنَّ بِأَذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ [النِّسَاء: ٢٥].

فهذا كلُّه على "فعل" دون "فاعل"، أي أفعال هذا الباب تأتي ثلاثية، نحو: نكح، وذهب، وفزع، وضرب الفعل^{١١٧}.

والذي يتبيّن خلال ما سبق أنَّ قراءة ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾ مضارع مسست، أي أنَّ الرجل هو المنفرد بالمسيس دون المرأة، وقراءة ﴿تَمَّاسُّوهُنَّ﴾ من المفاعلة، يحتمل أن تكون على بابها من المشاركة، فإنَّ الفعل من الرجل والتمكين من المرأة.

ويحتمل أن يكون "فاعل" بمعنى "فعل" كسافر، فتوافق قراءة ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾، وعليه فالقراءتان بمعنى واحدٍ كما ذهب إليه أبو علي الفارسي رحمة الله عليه، وأنَّ أفعال هذا الباب كلها ثلاثية نحو: نكح وفزع وضرب الفعل.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى أنَّه بالمسَّ يبدأ الرجل، فتشاركه المرأة في المماسّة، فتكون المفاعلة حينئذ من الطرفين الرجل والمرأة.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿تَمَّاسُّوهُنَّ﴾ بالألف على قراءة ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾ بغير الألف زيادة المعنى، فأفادت قراءة ﴿تَمَّاسُّوهُنَّ﴾ المفاعلة بين الطرفين،

^{١١٦} ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١٣٨. ومكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٢٩٨. ومحمد سالم

محيسن، القراءات وأثرها في علوم العربية، ج ١، ص ٥٣٠.

^{١١٧} ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٢، ص ٣٣٦.

فالمسيس وإن كان من الرجل فالمرأة مشاركة فيه؛ لأن كل واحد من الزوجين يمس الآخر بالوطء أو بالمباشرة فبابه المفاعلة، وهذه دلالة الزيادة في مبنى الكلمة أفادت المفاعلة، فقوة اللفظ لقوة المعنى، والله تعالى أعلى وأعلم.

الموضع العشرون: قول الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].
وونظيره قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿فَيُضْعِفُهُ﴾ هنا في سورة البقرة والحديد، فقرأها ابن كثير وأبو جعفر ﴿فَيُضْعِفُهُ﴾ بالرفع والتشديد وحذف الألف.
وقرأها ابن عامر ويعقوب ﴿فَيُضْعِفُهُ﴾ بالنصب والتشديد وحذف الألف، وقرأها عاصم ﴿فَيُضْعِفُهُ﴾ بالنصب والألف مع التخفيف، وقرأها الباقون ﴿فَيُضْعِفُهُ﴾ بالرفع والألف مع التخفيف^{١١٨}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

يُضَاعِفُهُ اَرْقَعَ فِي الْحَدِيدِ وَهَهُنَا *** سَمَا شُكْرُهُ وَالْعَيْنُ فِي الْكُلِّ ثُقُلًا.
كَمَا دَارَ وَأَقْصُرَ مَعَ مُضْعَفَةٍ وَقُلْ *** عَسَيْتُمْ بِكَسْرِ السِّينِ حَيْثُ أَتَى انْجَلَا^{١١٩}.

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

يُضَاعِفُهُ انْصَبَ حُزْ وَشَدَّدَهُ كَيْفَ جَا *** إِذَا حُمَ وَيَبْصُطُ بَصْطَةَ الْخَلْقِ يُعْتَلَا^{١٢٠}.

^{١١٨} ينظر: أبو علي المالكي، الروضة في القراءات، ج ٢، ص ٥٦٧. وأبو عمرو الداني، التيسير، ص ٨١.

^{١١٩} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤١، بيت رقم [٥١٦ - ٥١٧].

^{١٢٠} ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٤، بيت رقم [٨١].

وكلمة "يضاعف ومضاعفة" جميع ما ورد في القرآن قرأها ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بتشديد في العين وبحذف الألف بعد الضاد، ووافقهم أبو عمرو في سورة الأحزاب ١٢١، والقدر الموجود في هذه الرسالة أربعة مواضع وهي:

قوله تعالى: ﴿فِيضْعُفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿فِيضْعُفُهُ﴾ و﴿فِيضْعَفُهُ﴾ بالرفع على وجهين، أحدهما: أنَّه عطف على ﴿يُقْرِضُ﴾ أي الصلة، والثاني: أنَّه رفع على الاستئناف أي: فهو يضاعفه، والأول أحسن لعدم الإضمار والتقدير.

وقراءة ﴿فِيضْعَفُهُ﴾ و﴿فِيضْعَفُهُ﴾ بالنصب على وجهين أيضًا، أحدهما: أنَّه منصوب بإضمار "أنَّ" معطوف على المصدر المفهوم من قوله: ﴿يُقْرِضُ﴾ في المعنى، فيكون المصدر المعطوف على مصدر تقديره: من ذا الذي يكون منه إقراضٌ فمضاعفةٌ من الله تبارك وتعالى.

والثاني: أنَّه منصوب على جواب الاستفهام في المعنى، والاستفهام وإن كان واقعًا عن المقرض لفظًا فهو عن الإقراض معنًا، فكأنَّه قال: أيقرض الله أحد فيضاعفه ١٢٢.

ووجه التشديد في قراءة ﴿فِيضْعَفُهُ﴾ و﴿فِيضْعَفُهُ﴾ أنَّ فيه تكرير معنى الفعل وزيادة الضَّعْف على الواحد إلى ما شاء الله تعالى.

فالله عز وجل يضاعف للمنفق أضْعَافًا كثيرةً بالواحد إلى سبعمائة وأكثر من ذلك كما ورد في الآيات والأحاديث الكثيرة.

١٢١ ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص ١٤٨.

١٢٢ ينظر: السمين الحلبي، الدر المنصون، ج ٢، ص ٥٠٩.

ووجه التخفيف في قراءة ﴿فَيُضَعِّفُهُ﴾ و﴿فَيُضَعِّفُهُ﴾؛ لأنَّ أمر الله أسرع من تكرير الفعل إنما هو كن فيكون.

ويرى الكسائي - رحمه الله تعالى - أنَّ معناهما واحد، ضَعَّف وضاعف ١٢٣.

وذكر المكي - رحمه الله تعالى - أنَّ قراءة التشديد ﴿فَيُضَعِّفُهُ﴾ بالرفع و﴿فَيُضَعِّفُهُ﴾ بالنصب حملاً على التكرير؛ لأنَّ "فَعَّلْتُ" مشدّد العين بابه تكثير الفعل، يقال: "غَلَقْتُ الأبواب" إذا فعلت ذلك شيئاً بعد شيء، و"أَغْلَقْتُ الأبواب"، إذا فعلت ذلك مرّة واحدة.

والتخفيف في قراءة ﴿فَيُضَعِّفُهُ﴾ بالرفع و﴿فَيُضَعِّفُهُ﴾ بالنصب أنَّ أبا عمرو - رحمه الله تعالى - حكى أنَّ "ضاعفت" أكثر من "ضعفت"؛ لأنَّ "ضعفت" معناه مرتان. ويحكي أنَّ العرب تقول: ضَعَفْتُ درهمك، أي جعلته درهمن، وتقول: ضاعفته أي جعلته أكثر من درهمن، والله يعطي بالحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، فـ"ضاعفت" أولى به لكثرة المضاعفة ١٢٤.

والذي يظهر خلال ما سبق، أنَّ وجه الرفع على الاستئناف، أي: فهو يضاعفه، أو يكون معطوفاً على ﴿يُقَرِّضُ﴾. ووجه النصب أنه جواب الاستفهام، فنصب بأن مضمره بعد الفاء. ووجه التشديد في "ضعف" أنه يفيد التكرار، ووجه التخفيف أنه أيضاً يفيد التكرير، وقيل بالعكس، وقيل: ضاعف وضعف بمعنى واحد.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى أنَّ الله تبارك وتعالى يضاعف أجر مَنْ أقرض له ضعفين وأكثر من ذلك إلى أضعاف كثيرة، حيث شاء الله تبارك وتعالى.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة هنا كانت بتحويل وزن الفعل إلى أقوى منه، فقراءة التشديد أفادت المبالغة والتكرار في الفعل، وقراءة التخفيف دلّت على المفاعلة والمبالغة أكثر من قراءة التشديد، وعليه فإنَّ قراءة التخفيف تفيد المبالغة في زيادة الضعف إلى ما لا نهاية له، فالله سبحانه يضاعف للمنفق أضعافاً كثيرةً بالواحد سبعمائة إلى حيث شاء الله تبارك

١٢٣ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١٣٨.

١٢٤ ينظر: مكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٣٠٠.

وتعالى، وقراءة التشديد تفيد المبالغة في الضعف مرتين كما أشار إلى ذلك قول أبي عمرو رحمه الله تعالى. فقوة اللفظ لقوة المعنى، والله أعلم.

وكذلك ينبطق من الكلام على كلمة "يُضَاعَفُ ومضاعفة" بالتشديد والتخفيف في جميع ما ورد في القرآن الكريم. فقراءة التشديد تفيد المبالغة وتكثير المعنى مرتين، وقراءة التخفيف تدلّ على المبالغة والتكثير أكثر من مرتين.

الموضع الواحد والعشرون: قول الله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

ونظيره قوله تعالى في سورة الحج: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهَادِمَتِ صُومُعٌ وَبَيْعٌ وَصَلَوْتُ وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿دَفْعُ﴾ في سورة البقرة والحج، فقرأها نافع وأبو جعفر ويعقوب ﴿دَفْعُ﴾ بدال مكسورة وألف بعد الفاء، وقرأها الباقر ﴿دَفْعُ﴾ بدال مفتوحة وسكون في الفاء من غير ألف ١٢٥.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

دِفَاعٌ بِهَا وَالْحَجَّ فَتَحَ وَسَاكِنٌ *** وَقَصَرَ خُصُوصًا غُرْفَةً ضَمَّ ذُو وَلَا ١٢٦.

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

عَسِيْتُ أَفْتَحَ اذْ غُرْفَةً يُضَمُّ دِفَاعٌ حَزْ *** وَأَعْلَمُ فُزْ وَاكْسِرَ فَصُرْهُنَّ طَبَّ أَلَا ١٢٧.

١٢٥ ينظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص ١٨٧. وابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص ١٤٩..

١٢٦ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤٦، بيت رقم [٥٦٨].

١٢٧ ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٩، بيت رقم [١١٨].

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿دَفَعَ﴾ بالفتح والسكون من غير ألف، مصدر دَفَعَ يَدْفَعُ دَفْعًا، كضَرَبَ يَضْرِبُ ضَرْبًا. فالمعنى أنَّ الله تعالى هو المتفرد بالدفع عن خلقه، ولا أحد يدافعه فيغالبه.

وقراءة ﴿دَفَعُ﴾ بدال مكسورة وألف بعد الفاء تكون على أربعة أوجه وهي:

أولاً: إما أن تكون مصدر "فَاعَلَ"، كقَاتَلَ يُقَاتِلُ قِتَالًا، يدل عليه قراءة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج: ٣٨] ١٢٨، يقال: دَافَعَ الله عنك الشيء يدافع مدافعةً ودِفَاعًا، كما تقول العرب: أحسن الله عنك الدفاع، وليست المفاعلة هنا على بابها، إنما هي مثل عفاك الله وعاقبت اللصّ. و"فاعلت" قد تكون للواحد كما في قوله تعالى: ﴿قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠]. وعلى هذا فلا معنى للمفاعلة هنا، فدَفَعَ ودَفَعَ بمعنى واحد.

ثانيًا: إما أن تكون مصدر "فَعَلَ" كقولهم: كتب كتابًا، آب إيابًا، ولقيته لقاءً. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كُتِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]، فالكتاب مصدر "كُتِبَ"، الذي دلّ عليه ما قبله وهو قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]؛ لأنّ المعنى: كتب هذا التحريم عليكم كتابًا، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كُتِبَ مُؤَاجَلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وعلى هذا يكون "دِفَاعٌ ودَفْعٌ" مصدران لدَفَعَ يأتيان لمعنى واحد كما قال أبو ذؤيب ١٢٩:

وَلَقَدْ حَرَصْتُ بَأَنْ أُدْفِعَ عَنْهُمْ ***** فَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفِعُ

فجاءت هنا أدفع في موضع أدفع، والمعنى: حرصت بأن أدفع عنهم المنية، فإذا المنية

لا تدفع ١٣٠. وعلى ما سبق، فالقراءتان مصدران بمعنى واحد.

١٢٨ وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو يعقوب ﴿يَدْفَعُ﴾ بياء مفتوحة وسكون في الدال وفتح في الفاء من غير ألف، وقرأ الباقون ﴿يُدْفَعُ﴾ بياء مضمومة وفتح الدال وألف بعدها وكسر في الفاء. ينظر: الواسطي، الكنز في القراءات العشر، ج ٢، ص ٥٦٩.

١٢٩ هو خويلد بن خالد بن محرث، الهذلي، أبو ذؤيب الهذلي، الشاعر المشهور، دخل المدينة فوجد النبي صلى الله عليه وسلم توفي ولم يغسل بعد، وقد شهد سقيفة بني ساعدة، المتوفى في خلافة عثمان رضي الله عنهما. ينظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٧، ص ٢٤٠.

١٣٠ ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٢، ص ٣٥٢. ومكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٣٠٤؛ وابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٣٣٦.

ثالثاً: أنّ قراءة ﴿دَفْعُ﴾ بالألف مصدر "دَفَعَ" الذي هو مبالغة في الدفع لا للمفاعلة كقول الشاعر:

لَا أَشْتَهِي يَا قَوْمُ إِلَّا كَارِهًا ***** بَابُ الْأَمِيرِ وَلَا دِفَاعَ الْحَاجِبِ

فصيغة المبالغة للمفاعلة في الدفع لا للمفاعلة، وهذا قول بعض المفسرين^{١٣١}.

رابعاً: أنّ المفاعلة تصحّ أن تكون على بابها من طرفين، فالله سبحانه وتعالى يكفّ الظلمة والعصاة عن ظلم عباده المؤمنين على أيدي أنبيائه ورسله وأئمة دينه، وكان يقع بين عباده المؤمنين وغيرهم مدافعات ومكافحات، فيدفع الله عن عباده المؤمنين شرّ أعدائهم، وعلى هذا يحسن الإخبار عنه بلفظ المدافعة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٣].

فكثيراً من الخلق يعادون أهل دين الله وولايته والمؤمنين بالله ورسوله، فهو بمحاربتهم إياهم ومعادتهم لهم لله تعالى مدافعون بباطلهم، ومغالبون بجهلهم، والله مدافعهم عن أوليائه المؤمنين به.

وعلى هذا فلا اعتبار في استشكال مَنْ توهم أن تكون قراءة ﴿دَفْعُ﴾ بالألف من المدافعة، أي على المفاعلة بين اثنين؛ لأنّ المدافعة عبارة عن كون كل واحد من المدافعين دافعاً لصاحبه ومانعاً له من فعله، وذلك محال من العبد في حق الله تعالى^{١٣٢}، وكما سبق بيان وجه المفاعلة فلا وجه لهذا الإشكال.

والذي يظهر في القراءتين، أنّهما مصدران بمعنى واحدٍ، فقراءة ﴿دَفْعُ﴾ مصدر "دَفَعَ"، وقراءة ﴿دَفْعُ﴾ تحتل أربعة أوجه وهي: أن تكون مصدر "دَفَعَ" كقاتل قتالاً في معنى دفع، كعاقبت اللص، أو تكون مصدر "دَفَعَ"، ككتب كتاباً. أو تكون مصدر "دَفَعَ" الذي هو مبالغة في الدفع لا للمفاعلة. أو تكون المفاعلة على بابها من طرفين. والقول الأخير أقوى؛ لشموليته بقية الأقوال فيما يظهر.

^{١٣١} وهو قول أبي السعود والألوسي وابن عاشور رحمة الله عليهم. ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ١،

ص ٢٤٥. الألوسي، روح المعاني، ج ١، ص ٥٦٤. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢، ص ٥٠٠.

^{١٣٢} ينظر: ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، ج ٤، ص ٥١٦. وفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٦، ص ٥١٨.

وتتکامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى أنّ الله تبارک وتعالى يدفع عن عباده الشرّ مما يقع بين عباده المؤمنين وغيرهم من المدافعات والمكافحات، فيدافع الله عن عباده المؤمنين شرّ أعدائهم، فهو بمحاربتهم إياهم ومعادتهم لهم لله تعالى مدافعون بباطلهم، ومغالبون بجهلهم، والله مدافعهم عن أوليائه المؤمنين.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿دَفْعُ﴾ بدال مكسورة وألف بعد الفاء، إفادتها المفاعلة من طرفين، فالله تعالى يدفع عن عباده المؤمنين محاولة أعدائهم من الكفار وغيرهم الأذى.

وقد تفيد المبالغة في الدفع لا للمفاعلة على القول بأنّ المفاعلة ليست على بابها، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوّة المعنى، والعلم عند الله وتعالى.

الموضع الثاني والعشرون: قوله تبارک وتعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿فَأْذَنُوا﴾، فقرأها شعبة وحمزة ﴿فَأَذِنُوا﴾ بفتح الهمزة ممدودة وكسر الذال، وقرأها الباقون ﴿فَأْذَنُوا﴾ بسكون في الهمزة وفتح الذال ١٣٣. والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَقُلْ فَأَذِنُوا بِالْمَدِّ وَاكْسِرْ فَقِي صَفَا *** وَمَيْسِرَةَ بِالضَّمِّ فِي السِّينِ أَصْلًا ١٣٤.

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

نَعِمًا حَزَّ اسْكِنْ أَدْ وَمَيْسِرَةَ افْتَحَا *** كَيْحَسْبُ أَدْ وَاكْسِرُهُ فُقْ فَأَذِنُوا وَلَا ١٣٥.

توجيه القراءة:

١٣٣ ينظر: السرقسطي، العنوان في القراءات السبع، ص ٧٦. وأبو الغز القلانسي، إرشاد المبتدي، ص ١٦٩.

١٣٤ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤٢، بيت رقم [٥٣٩].

١٣٥ ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٤، بيت رقم [٨٣].

أَنَّ قِرَاءَةَ ﴿فَإِذْنُوا﴾ أَمْرٌ مِنْ "أَذِنَ" الثَّلَاثِي، يُقَالُ: أَذِنَ بِالشَّيْءِ - إِذَا عَلِمَ بِهِ - يَأْذِنُ إِذْنًا وَأَذَانَةً. وَأَذِنْتُهُ بِالشَّيْءِ فَأَذِنَ بِهِ، أَي: عَلِمَهُ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ [النَّبَأ: ٣٨].

والمعنى: فَإِنْ لَمْ تَتْرَكُوا الرَّبَّ الَّذِي قَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِوَضْعِهِ عَنْ عِبَادِهِ فَكُونُوا عَلَى عِلْمٍ بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، كَالْقَتْلِ فِي الدُّنْيَا وَدُخُولِ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ^{١٣٦}.

وقراءة ﴿فَإِذْنُوا﴾ بفتح الهمزة مع المد، أَمْرٌ مِنْ "أَذِنَ" الرَّبَاعِي بِمَعْنَى: أَعْلِمَ، مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ [الأنبياء: ١٠٩]. فتقديرها: فأخبروا مَنْ لَمْ يَنْتَهَ عَنْ ذَلِكَ بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِذَا أُمِرُوا بِإِخْبَارِ غَيْرِهِمْ، فَقَدْ عَلِمُوا هُمْ أَيْضًا بِلَا شَكٍّ، فَفِي أَمْرِهِمْ بِالْإِخْبَارِ مَا يَعْلَمُونَ هُمْ أَيْضًا أَنَّهُمْ يَكُونُونَ عَلَى حَرْبٍ إِنْ لَمْ يَتْرَكُوا عَمَّا نَهَوْا عَنْهُ مِنَ الرَّبِّ، وَلَيْسَ فِي عِلْمِهِمْ مَا يَدُلُّ عَلَى إِعْلَامِهِمْ غَيْرِهِمْ، فَهَذَا أَكَّدَ فِي الْإِبْلَاحِ.

فقراءة ﴿فَإِذْنُوا﴾ بِالْمَدِّ تَتَضَمَّنُ مَعْنَى قِرَاءَةِ ﴿فَإِذْنُوا﴾ بِالْقَصْرِ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا أَعْلَمُوا غَيْرَهُمْ بِالْحَرْبِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَقَدْ عَلِمُوا هُمْ ذَلِكَ أَيْضًا بِلَا مُحَالَةٍ، وَلَيْسَ فِي عِلْمِهِمْ ذَلِكَ لِأَنْفُسِهِمْ مَا يَدُلُّ عَلَى إِعْلَامِهِمْ غَيْرِهِمْ.

فَالْمَدُّ أَعْمُ وَآكَدُ فِي أَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَتْرَكُوا الرَّبَّ فِي أَنْفُسِهِمْ وَيَتْرَكُوهُ غَيْرَهُمْ مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ حَالِهِمْ، فَالْحَرْبُ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ نَازِلٌ عَلَيْهِمْ وَعَلَى مَنْ هُوَ مِثْلُهُمْ^{١٣٧}.

وَالْخُطَابُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ لَمَنْ صَدَرَتِ الْآيَةُ بِذِكْرِهِ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ، وَقِيلَ: الْخُطَابُ لِلْكَفَّارِ الَّذِينَ يَسْتَحِلُّونَ الرَّبَّ، فَعَلَى هَذَا الْمَحَارَبَةِ ظَاهِرَةٌ، وَعَلَى الْأَوَّلِ فَالْإِعْلَامُ أَوْ الْعِلْمُ بِالْحَرْبِ جَاءَ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ فِي التَّهْدِيدِ دُونَ حَقِيقَةِ الْحَرْبِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ نَفْسُ الْحَرْبِ^{١٣٨}.

^{١٣٦} ينظر: محمد بن أبي المحاسن الحنفي، أبو العلاء الكرمانى، مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني، تحقيق: عبد الكريم مصطفى مدلج، (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص١٢٣.

^{١٣٧} ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج٢، ص٤١٣. مكى بن أبى طالب، الكشف، ج١، ص٣١٨.

^{١٣٨} ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج٢، ص٧١٤.

والذي يظهر خلال ما سبق أنّ قراءة ﴿فَإِذْنُوا﴾ بالقصر أمر للمخاطبين بترك الربا، أمروا أن يعلموا ذلك هم أنفسهم، فالمعنى: فإن لم تتركوا الربا فأيقنوا بحرب من الله ورسوله، فهم المقصودون بأن يعلموا ذلك في أنفسهم إن لم يتركوا الربا.

وأما قراءة ﴿فَإِذْنُوا﴾ بالمد أمر للمخاطبين بترك الربا أن يُعلموا بذلك غيرهم ممن هو على مثل حالهم في المقام على الربا.

فقراءة ﴿فَإِذْنُوا﴾ بالمد تتضمن معنى قراءة ﴿فَإِذْنُوا﴾ بالقصر؛ لأنهم إذا أعلموا غيرهم بالحرب من الله ورسوله فقد علموا هم ذلك بلا ريب.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في كون قراءة ﴿فَإِذْنُوا﴾ بالمد تتضمن معنى قراءة ﴿فَإِذْنُوا﴾ بالقصر وزيادة؛ لأنّ كل إيدان إذن وزيادة، وليس العكس. وإذا أمروا بإعلام غيرهم علموا هم لا محالة، ففي إعلامهم علمهم، وليس في علمهم ما يدل على إعلامهم لغيرهم، فهذا في الإبلاغ أكد، وعلى هذا فقراءة ﴿فَإِذْنُوا﴾ بالمد تشمل معنى قراءة ﴿فَإِذْنُوا﴾ بالقصر، أكّدت معناها وزادت عليها.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿فَإِذْنُوا﴾ بالمد إشارتها إلى إعلام المخاطبين غيرهم بحرب من الله ورسوله إن لم يمتنعوا عن الربا، فهي تتضمن معنى قراءة ﴿فَإِذْنُوا﴾ بالقصر؛ لأنّه يلزم من إعلام غيرهم بما سيقع علمهم بذلك، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوّة اللفظ لقوّة المعنى، والله تعالى أعلم.

الموضع الثالث والعشرون: قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿تَصَدَّقُوا﴾، فقرأها عاصم ﴿تَصَدَّقُوا﴾ بتخفيف في الصاد، وقرأها الباقون ﴿تَصَدَّقُوا﴾ بالتشديد^{١٣٩}.

^{١٣٩} ينظر: ابن شريح، الكافي في القراءات السبع، ص ٨٩. وسبط الخياط، المبهج، ج ٢، ص ١٣٢.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَتَصَدَّقُوا خِفْ نَحْنَا تَرْجِعُونَ قُلْ *** بِضَمٍّ وَفَتْحٍ عَنْ سِوَى وَلَدِ الْعَلَا ١٤٠.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿تَصَدَّقُوا﴾ بتخفيف الصاد، أصلها: تتصدقوا فحذفت إحدى التاءين، وصارت الكلمة "تصدقوا"، ومعناه: الحث لهم بالصدقة على المعسر من الغرماء.

وقراءة ﴿تَصَدَّقُوا﴾ بالتشديد، فالأصل فيها أيضاً "تتصدقوا"، فأدغمت التاء الثانية في الصاد وشددت على التكثير، ومعناها: الحث على الصدقة والمبالغة في الصدقة على المعسرين بترك رأس المال لهم وغيره.

والقراءتان بمعنى واحدٍ، غير أنَّ قراءة ﴿تَصَدَّقُوا﴾ بالتشديد تفيد المبالغة وتكثير المعنى أكثر من قراءة ﴿تَصَدَّقُوا﴾ بالتخفيف.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى أنَّ الخيرية تكون في الصدقة، مهما كانت، قليلة أو كثيرة، والذي أكثر من الصدقة وبالع فيهما، فإنَّ ذلك خير له وأحسن عند الله تبارك وتعالى.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿تَصَدَّقُوا﴾ بالتشديد إشارتها إلى المبالغة والتكثير في الصدقة أكثر من قراءة ﴿تَصَدَّقُوا﴾ بالتخفيف؛ لأنَّ وزنها أقوى من وزن قراءة التخفيف، فقوة اللفظ لقوة المعنى، وزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، والله أعلم.

الموضع الرابع والعشرون: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٍ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢].

القراءة:

١٤٠ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤٣، بيت رقم [٥٤٠].

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿فَتُذَكِّرُ﴾، فقرأها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب ﴿فَتُذَكِّرُ﴾ بتخفيف الكاف ونصب الراء. وقرأها الباقون ﴿فَتُذَكِّرُ﴾ بالتشديد ونصب الراء غير أن حمزة يقرأ ﴿فَتُذَكِّرُ﴾ برفع الراء ١٤١.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:
وَفِي أَنْ تَضِلَّ الْكَسْرُ فَازَ وَحَقُّوا *** فَتُذَكِّرُ حَقًّا وَارْفَعَ الرَّاءَ فَتَعْدِلَا ١٤٢.
ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:
وَبِالْفَتْحِ أَنْ تُذَكِّرَ بِنَصْبٍ فَصَاحَةٌ *** رِهَانٌ حِمَى يَغْفِرُ يُعَذِّبُ حِمَى الْعُلَا ١٤٣.

توجيه القراءة:

أنّ قراءة ﴿فَتُذَكِّرُ﴾ بالتشديد على أنّ الفعل يتعدّى إلى المفعولين بالتشديد، فالأول "الأخرى"، والثاني محذوف تقديره: فتذكر إحداها الأخرى الشهادة، والتذكير يحتاج إلى مذكر ومذكر به، وقد أجمعوا على التشديد في قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذّاريات: ٥٥].

وقراءة ﴿فَتُذَكِّرُ﴾ بالتخفيف على أنّ الفعل يتعدّى بالهمزة، وهي كالتشديد في التعدي، تقول: ذكرته كذا، وأذكرته كذا، فالمفعول الثاني أيضاً محذوف كالأول.
فالقراءتان بمعنى واحدٍ إلا أنّ التشديد يفيد التكرير على معنى تذكير بعد تذكير، ويحتمل أن يكون في المعنى كأذكرته، فالقراءتان متعادلتان.
ومن نصب ﴿فَتُذَكِّرُ﴾ فعلى العطف على ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾، ومن رفع ﴿فَتُذَكِّرُ﴾ فعلى القطع بعد الفاء ١٤٤.

١٤١ ينظر: أبو الطيّب ابن غلبون، الإرشاد في القراءات، ص ٥٦٥. وأبو العلاء الهمداني، غاية الاختصار، ص ٤٤٢.

١٤٢ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤٢، بيت رقم [٥٣٩].

١٤٣ ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٥، بيت رقم [٨٤].

١٤٤ ينظر: مكّي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٣٢١.

يقال ذَكَرَ الشيءَ، فأذْكُرْتُهُ أنا وذَكَرْتُهُ بمعنى واحدٍ كما تقول: أفرحْتُه وفرحْتُه، أغرمتَه وغرَمْتَه، وذهب بعض المفسرين أنَّ معنى ﴿فَتَذَكَّرْ﴾ بالتشديد يجعل إحداها الأخرى مذكراً، أي تلحقها بالرجال في الشهادة^{١٤٥}.

والقراءتان بمعنى واحدٍ غير أنَّ قراءة التشديد تفيد معنى التكرير على قراءة التخفيف، والمعنى أي تذكير بعد تذكير، ويحتمل أن يكون في المعنى كأذكرته، فالقراءتان بمعنى واحدٍ. وتتكامل دلالة معنى القراءتين في بيان أهمية الشهادة، وأنَّ الأصل فيها الرجلان، فإنَّ لم يكون الشاهدان رجلاً، فإنَّها تجوز بالرجل وامرأتين، بشرط أن تذكر إحداها الأخرى، تذكير بعد تذكير إذا نسيت شيئاً من الشهادة، وذلك لضعف المرأة.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿فَتَذَكَّرْ﴾ بالتشديد، أفادت تكرير معنى الفعل على قراءة التخفيف، أي تذكير بعد تذكير، وقوة اللفظ لقوة المعنى، وزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، والعلم عند الله تبارك وتعالى.

الموضع الخامس والعشرون: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنِ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَمِنْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ عِاثٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿فَرِهْنِ﴾، فقرأها ابن كثير وأبو عمرو ﴿فَرِهْنِ﴾ بضم في الراء والهاء بغير الألف. وقرأها الباقون ﴿فَرِهْنِ﴾ بكسر في الراء وفتح الاء وألف بعد الاء^{١٤٦}. والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَحَقُّ رِهَانٍ ضَمُّ كَسْرِ وَفَتْحَةٍ *** وَقَصْرٌ وَيَعْفَرُ مَعَ يُعَذِّبُ سَمَّا الْعَلَا^{١٤٧}.

^{١٤٥} ينظر: ابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٣٥٣. وهذا قول يروى عن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى. ينظر: ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، ج ٥، ص ٨٩.

^{١٤٦} ينظر: ابن خالويه، البديع، ص ٧٢. وابن مهران، الغاية في القراءات العشر، ص ١٢٢.

^{١٤٧} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤٣، بيت رقم [٥٤٣].

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:
وَبِالْفَتْحِ أَنْ تُذَكِّرَ بِنَصْبٍ فَصَاحَةً *** رِهَانٌ حِمَى يَغْفِرُ يُعَذِّبُ حِمَى الْعَلَا ١٤٨.

توجيه القراءة:

أنّ قراءة ﴿فَرُهْنٌ﴾ بالضم، جمع رَهْن على وزن "فَعْل"، ويُجمع على "فُعْل" نحو: سَقْف وسُقُف.

وقيل لأبي عمرو البصري رحمه الله تعالى: لم اخترت قراءة الضم؟ فقال: للتفريق بين الرَّهْن في الدّين والرّهان في سباق الخيل.

وقال يونس رحمه الله ١٤٩: "الرّهْن والرّهان عربيان، والرّهْن في الرّهْن أكثر، والرّهان في الخيل أكثر، وجمع فُعْل على فُعْلٍ قَلِيلٌ".

وقيل: إنّ رُهْنًا جمع رِهَان، ورِهَان جمع رَهْن، فهو جَمْعُ الجمع، كما قالوا في ثمار جمع ثَمَر، وثَمَر جمع ثَمَار، وإليه ذهب الفراء ١٥٠ والكسائي، ولكنّ جَمْع الجمع غير مطرّد عند سيبويه وغيره.

وأما قراءة ﴿فَرُهْنٌ﴾ جمع رَهْن على وزن "فَعْل" وجمعه "فِعَال" مطرّد كثير، وهو أقيس في العربية، نحو: كَعَب وكِعَاب، بحر وبحار، عبد وعباد، نعل ونِعال، كَلَب وكِلَاب. والرّهْن في الأصل مصدر رَهْنْتُ، يقال: رَهْنْتُ زيدًا ثوبًا أرهّنه رَهْنًا أي: دفعته إليه رَهْنًا عنده.

ورَهْن مّا استُعني فيه بجمع كثرته عن جمع قلّته، وذلك أنّ قياسه في القلة "أَفْعَل" كفَلَس وأفْلَس، فاستُعني برَهْن ورِهَان عن أرهْن.

١٤٨ ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٥، بيت رقم [٨٤].

١٤٩ هو يونس بن حبيب، أبو عبد الرحمن الضبي مولاها البصري، إمام النحو، وله حلقة يحضرها الطلبة والأدباء والفصحاء، وله مؤلفات في القرآن واللغة، المتوفى سنة (١٨٣هـ). ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ج ٨، ص ١٩١.

١٥٠ هو يحيى بن زياد بن عبد الله أبو زكرياء الديلمي الفراء، إمام في اللغة، ومن أبرز الكوفيين في اللغة، صاحب معاني القرآن، المتوفى سنة (٢٠٧هـ). ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ١٣١.

وأصلُ الرِّهْنِ: الثبوتُ والاستقرارُ، يقال: رَهَنَ الشيءُ، فهو رَاهِنٌ إذا دام واستقر، ونعمة راهنة أي دائمة ثابتة ١٥١.

والظاهر أنَّ القراءتين على وزنين "فُعْلُ وفِعَالُ" وهما من أبنية الكثرة. فقراءة ﴿فَرِهْنٌ﴾ جمع "رَهْن" على وزن "فُعْلُ" وقد يجمع على "فُعْلُ" جمع الكثرة نحو: سقف وسُفُف. وقراءة ﴿فَرِهْنٌ﴾ جمع "رَهْن" على وزن "فُعْلُ وفِعَالُ" نحو: كَغَب وكِعَاب، عبد وعباد، نعل ونعال. وهذا مطردٌ كثير، وهو أقيس في اللغة.

فقراءة ﴿فَرِهْنٌ﴾ على وزن "فُعْلُ"، وقراءة ﴿فَرِهْنٌ﴾ على وزن "فِعَالُ"، و"فُعْلُ وفِعَالُ" من أبنية الكثرة. إلا أنَّ وزن "فُعْلُ" جمع الجمع، فَرِهْنُ جمع رِهَان، ورِهَان جمع رَهْن، كنحو ثَمَار جمع ثَمَر، وَثْمَرُ جمعِ ثَمَار، كما ذهب إليه الفراء والكسائي رحمه الله تعالى. وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الدلالة على جواز الرهن في السفر عند عدم وجود الكاتب، فيجوز الرهن عن الشيء القليل أو الكثير، أو عدة أشياء على حسب طبيعة المعاملة والاتفاق بين الطرفين.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في القراءتين هنا بتحويل وزن القراءة إلى أقوى منه، فقراءة ﴿فَرِهْنٌ﴾ على وزن "فُعْلُ" جمع الجمع لقراءة ﴿فَرِهْنٌ﴾ على وزن "فِعَالُ". وعلى هذا تفيد قراءة ﴿فَرِهْنٌ﴾ على وزن "فُعْلُ" الكثرة أكثر من قراءة ﴿فَرِهْنٌ﴾ على وزن "فِعَالُ"، جاء على عكس القاعدة، فقوة اللفظ لقوة المعنى، والنقص في وزن الكلمة هو الذي أفاد زيادة المعنى هنا، والله أعلم.

الموضع السادس والعشرون: قوله تبارك وتعالى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

١٥١ ينظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ١٠٤. ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١٥٢. السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٢، ص ٦٧٨.

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿وَكُتِبَ﴾، فقرأها حمزة والكسائي وخلف ﴿وَكُتِبَ﴾ بالألف على الأفراد، وقرأها الباقون ﴿وَكُتِبَ﴾ بحذف الألف على الجمع^{١٥٢}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

شَذَا الْجَزْمُ وَالتَّوْحِيدُ فِي وَكِتَابِهِ *** شَرِيفٌ وَفِي التَّحْرِيمِ جَمْعٌ حَمِيٌّ عَلَا^{١٥٣}.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿وَكُتِبَ﴾ بالألف على الأفراد، المراد به الجنس كما يقال: كثر الدينار والدرهم، وأهلك فلان درهمه، تريد الجنس كله، وذكر أبو عبيدة رحمه الله تعالى^{١٥٤} أنَّ المراد به كل كتاب الله سبحانه بدلالة قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، فوحد الكتاب إرادةً للجنس، أو ليكون المراد به القرآن الكريم.

ويجوز أن يكون الكتاب مصدرًا لمسمًى له بمعنى المكتوب، كما يقال: نسج اليمن أي منسوجة، فيكون المعنى أيضًا على الكثرة.

وقراءة ﴿وَكُتِبَ﴾ على الجمع؛ لأنَّ الله عز وجل أنزل كتبًا، كما أرسل رسلاً، وأنَّ ما قبله وما بعده جمع، وهو قوله تعالى: ﴿كُلُّ عَامِنٍ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وما بعده جمع ﴿وَرُسُلِهِ﴾، فكذلك ﴿وَكُتِبَ﴾ على الجمع؛ ليكون الكلام على نظام واحد ويشاكل ما قبله وما بعده على نسق واحد^{١٥٥}.

^{١٥٢} ينظر: ابن سوار، المستنير، ص ٤٩١. وابن بليمة، تلخيص العبارات، ص ٧٤.

^{١٥٣} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤٤، بيت رقم [٥٤٤].

^{١٥٤} هو معمر بن المثنى التيمي، تيم قريش مولى لهم، المشهور بأبي عبيدة، وكان من أجمع الناس للعلم، وأعلمهم بأيام العرب وأخبارها. وأكثر الناس رواية، كثير التصنيف، المتوفى سنة (٢٠٩هـ). ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ١٧٥.

^{١٥٥} ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١٥٢. وابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٣٥٦. والمنتجب الهمداني، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، ج ١، ص ٦١٢.

والخلاصة أنّ قراءة ﴿وَكُتَابِهِ﴾ بالألف على الإفراد، يُراد به الجنس لا كتاب واحد بعينه، أو يكون المراد به القرآن الكريم، وقراءة ﴿وَكُتُبِهِ﴾ على الجمع؛ للمشاكلة بين اللفظين ما بعده وما قبله لتحقيق المعنى.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في البيان على أنّ الإيمان بالقرآن الكريم به يتحقق الإيمان، ولا يكتمل الإيمان إلا بتصديق القرآن؛ لأنّه يتضمّن الإيمان به تصديق جميع الكتب المنزلة من عند الله تبارك وتعالى، فكلها حقّ من عند الله تعالى.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿وَكُتَابِهِ﴾ بالألف على الإفراد هنا بتحويل وزن القراءة إلى أقوى منه، فقراءة ﴿وَكُتُبِهِ﴾ على الجمع بالنقص في وزن الكلمة، هي التي صرّحت بزيادة المعنى لإفادتها الكثرة مطلقاً بدون احتمال القلّة، وهي جاءت على جمع التكسير، وجمع التكسير من جموع الكثرة. وقراءة ﴿وَكُتَابِهِ﴾ بالزيادة في مبنى الكلمة على الإفراد فهي للقلّة، وإن كانت قد تُحمّل على الجنس فتفيد الكثرة كقراءة الجمع، فهنا جاءت زيادة المعنى على خلاف الغالب، فكانت بتحويل وزن الكلمة إلى أقوى منه، ففوة اللفظ لقوة المعنى، والله أعلم.

وبهذا ينتهي هذا المبحث، وقد تضمّن ستّاً وعشرين قراءةً فرشيّةً من القراءات العشر المتواترة في سورة البقرة، التي زاد مبنى الكلمة بالألف أو بالثقل والتخفيف أو بتحويل وزن الكلمة إلى أقوى منه على القراءة الأخرى، المتعلّق بالمعنى في كلمة واحدة في حدود البحث. وقد سعى الباحث - قدر المستطاع - في هذا المبحث بيان وجه التكامل بين القراءات وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في هذا المبحث.

المبحث الثالث: سورة آل عمران

يهدف هذا المبحث إلى بيان أثر دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى في القراءات القرآنية الفرشية في سورة آل عمران، التي زاد مبنى الكلمة على القراءة الأخرى، أو ما تحوّل بناء الكلمة ووزنها إلى أقوى منه المتعلّق بالمعنى، حيث قام الباحث بدراسة عدد من المواضع في هذه السورة، الواحد تلو الآخر، خلال كتب القراءات والتوجيه وكتب التفسير واللغة، على نحو ترتيب القراءات في القرآن الكريم.

الموضع الأول: قول الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ﴾ الموضع الثاني من الآية، فقرأها حمزة ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾ بياء مضمومة وفتح في القاف وألف بعدها وكسر التاء. وقرأها الباقون ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾ بياء مفتوحة وسكون القاف وحذف الألف وضم التاء^{١٥٦}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَيَقْتُلُونَ الثَّانِ قَالَ يُقَاتِلُو *** نَ حَمَزَةٌ وَهُوَ الْحَبْرُ سَادَ مُقَاتَلًا^{١٥٧}.

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

يَرُونَ خَطَابًا حَزْ وَفَزْ يَقْتُلُوا تَقِيدُ *** يَةً مَعَ وَضَعْتُ حُمَ وَإِنَّ افْتَحَا فَلَا^{١٥٨}.

^{١٥٦} ينظر: ابن فارس، التبصرة في القراءات الأئمة العشرة، ص ٢٠٠. وأحمد بن علي بن أحمد ابن الباذش الغرناطي أبو جعفر، الإقناع في القراءات السبع، (القاهرة: دار الصحابة للتراث، د.ط، د.ت)، ص ٣٠٩. ابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٢٣٨.

^{١٥٧} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤٣، بيت رقم [٥٤٩]

^{١٥٨} ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٥، بيت رقم [٨٦].

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿وَيُقْتَلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ بحذف الألف من القتل عطفاً على قوله: ﴿وَيُقْتَلُونَ النَّبِيِّينَ﴾، وقد جاء في آية أخرى ﴿فَلَمْ تَقْتُلُونِ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة: ٩١]، فجاء الفعل على "يفعل" دون "يفاعل"، فكذلك: ﴿وَيُقْتَلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ يُحمل آخر الكلام على أوله في الإخبار عنهم بالقتل^{١٥٩}؛ لأنَّ الأمر بالقسط من الأمة موافق للأنبياء في الأمر بالقسط، فإذا قتلوا الأنبياء لم يمنعهم حرجٌ من قتل الذين يأمرون بالقسط من الناس.

ويؤيد هذا ما جاء في قصّتهم أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مئة واثنان عشر رجلاً من عبّادهم، فأمرهم بالمعروف ونهّوهم عن المنكر فقتلوه جميعاً في آخر النهار^{١٦٠}.

وقراءة ﴿وَيُقْتَلُونَ﴾ بالألف من القتال، أخبر عنهم بالمقاتلة لا بالقتل على أنَّ القتل أكثر ما يكون بالمقاتلة فأخبر عنهم بالسبب الذي يكون منه القتل. وفي هذه القراءة مغايرة بين الفعلين، وموافقة لقراءة شاذة لابن مسعود رضي الله عنه (وقاتلوا الذين يأمرون بالقسط)^{١٦١} من المقاتلة، إلا أنه أتى بصيغة الماضي، ويجوز أن يكون المضارع في قراءة ﴿وَيُقْتَلُونَ﴾ لحكاية الحال ومعناه المضي. والمعنى أنهم يُشاقون من أمرهم بالقسط ونهّاهم عن العدوان، ويُخالفونهم مخالفة المشاقّ المباين لهم، فكل من لم يوافقهم على غيرهم كانوا حرباً له^{١٦٢}.

^{١٥٩} قال السمين الحلبي: "إنما كرّر الفعل لاختلاف متعلّقه، أو كرر تأكيداً، وقيل: المراد بأحد القتلين تفويت الروح وبالأخر الإهانة، فلذلك ذكر كل واحد على حدته، ولولا ذلك لكان التركيب (ويقتلون النبيين والذين يأمرون).

السمين الحلبي، الدر المنصون، ج ٣، ص ٩٤.

^{١٦٠} ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٣، ص ٢٣. وابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٣٦٤.

^{١٦١} ينظر: عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن أبي داود أبو بكر الأزدي السجستاني، كتاب المصاحف، تحقيق: محمد

بن عبده، (القاهرة: الفاروق الحديثة، ط ١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص ١٧٥.

^{١٦٢} ينظر: مكّي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٣٣٨. وابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٣٦٤.

والخلاصة أنّ قراءة ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ بحذف الألف من القتل عطفاً على قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾. وقراءة ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾ بالألف من القتال على المفاعلة، وهي موافقة لقراءة شاذة "وقاتلوا" من المقاتلة، بصيغة الماضي، ويجوز أن يكون المضارع في قراءة ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾ بالألف لحكاية الحال ومعناه المضي.

وتتكمال دلالة معنى القراءتين في بيان أنّهم قد يقاتلون فيقتلون بالقتال، وقد يقتلون ابتداءً من غير قتال، وكله حاصل قد وقع للأنبياء من قبل، وكذلك وقع للنبي صلى الله عليه وسلم فقد قاتلوه وهموا بقتله كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠] وكذلك محاولة اليهود لقتله صلى الله عليه وسلم عدّة مرات، بأبي هو وأمي صلوات ربي وسلامه عليه.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾ بالألف من القتال بصيغة المفاعلة، وهي مبالغة في القتل، وفيها إشارة على أنّ القتل وقع بعد المقاتلة، فقوّة اللفظ لقوّة المعنى، ودلالة زيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، والله تعالى أعلم.

الموضع الثاني: قوله تبارك وتعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِّنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

ونظيره قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿الطَّيْرُ﴾ معرّفة و﴿طَيْرًا﴾ منكرة في موضعين، سورة آل عمران والمائدة. فقرأ أبو جعفر ﴿الطَّيْرُ﴾ و﴿طَيْرًا﴾ في الموضعين بالالف بعد الطاء وهمزة مكسورة على الأفراد، ووافقه نافع ويعقوب في ﴿طَيْرًا﴾ منكرة في الموضعين ١٦٣. وقرأ الباقون ﴿الطَّيْرُ﴾ و﴿طَيْرًا﴾ بسكون الياء من غير الألف والهمزة على الجمع في كليهما ١٦٤.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَفِي طَائِرًا طَيْرًا بِهَا وَعُقُودَهَا *** خُصُوصًا وَيَاءٌ فِي نُوفِيهِمْ عَالًا ١٦٥.
ومن الدرة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:
يُبَشِّرُ كَلًّا فِدْقُلِ الطَّائِرِ أَتْلُ طَا *** ئِرًا حَزْ نُوفِيَّ الْيَا طَوَى افْتَحَ لِمَا فُلَا ١٦٦.

توجيه القراءة:

أنّ قراءة ﴿الطَّيْرُ﴾ و﴿طَيْرًا﴾ بالالف على الأفراد، كما يقال ركب وراكب، رجل وراجل، وقال الكسائي: "الطائر واحد على كل حال، والطير يكون جمعًا وواحدًا"، ودليله أنّ الله أخبر عنه أنه كان يخلق واحدًا ثمّ واحدًا. وقراءة ﴿الطَّيْرُ﴾ و﴿طَيْرًا﴾ بإسكان الياء، حجتها أنّ الله تعالى إنّما أذن له أن يخلق من الطين طيرًا كثيرًا، ولم يكن يخلق واحدًا فقط ١٦٧.

١٦٣ وذكر السمين الحلبي رحمه الله تعالى أنّه لا يعترض على قراءة ﴿الطَّيْرُ﴾ و﴿طَيْرًا﴾ بالالف بأنّ الرسم الكريم إنّما هو ﴿طَيْرًا﴾ بدون ألف؛ لأنّ الرسم يجوز حذف مثل هذه الألف تخفيفًا، ويدل على ذلك أنّه رسم ﴿وَلَا طَيْرٌ﴾ دون ألف في قوله: ﴿وَلَا طَيْرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأَنْعَام: ٣٨] ولم يقرأه أحد إلا "طائر" بالالف، فالرسم محتمل لا مناف. وقراءة ﴿الطَّيْرُ﴾ و﴿طَيْرًا﴾ بإسكان الياء توافق الرسم لفظًا ومعنى. ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٣، ص ١٩٦.

١٦٤ ينظر: ابن مهران، الميسوط في القراءات العشر، ص ١٦٤. وأبو عمرو الداني، جامع البيان في القراءات السبع، ج ٢، ص ٩٥٩.

١٦٥ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤٥، بيت رقم [٥٥٨].

١٦٦ ابن الجزري، الدرة المضيّة، ص ٢٥، بيت رقم [٨٧].

١٦٧ ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١٦٤.

ومعنى قراءة ﴿الطَّيْرُ﴾ و﴿طَيْرًا﴾ بالألف على التوحيد، معناها: أي فكيون ما أنفخ فيه من الطين طائرًا، وهو نوع واحد من الطير؛ لأنّه لم يخلق غير الخفاش. وقيل معنى هذه القراءة بأن يكون كل واحد مما أنفخ فيه طائرًا، كقوله تعالى: ﴿فَأَجْلِدُوهُمْ ثَمْنِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤] أي: اجلدوا كل واحد منهم.

ومعنى قراءة ﴿الطَّيْرُ﴾ و﴿طَيْرًا﴾ بإسكان الياء، أنّه يحتمل أن يكون المراد به اسم الجنس، أي: جنس الطير.

ويحتمل أن يكون المراد به الواحد فما فوق، ويحتمل المراد به الجمع، ولا سيما عند من يرى أنّ "طيرًا" صيغته جمع، نحو: تجرّ وصحب وركب، جمع تاجر وصاحب وراكب وهو الأخفش^{١٦٨}. وأما سيبويه فهي عنده أسماء جموع لا جموع صريحة^{١٦٩}.

والذي يظهر خلال ما سبق أنّ ﴿طَيْرًا﴾ بالألف مفرد يراد به الجنس، و﴿طَيْرًا﴾ بغير الألف المراد به الجمع. وقيل "طيرًا" اسم للجمع بمنزلة الجامل والباقر، وقد يكون الطائر جمعًا مثل الجامل والباقر، فيكون على هذا معنى القراءتين واحدًا. وتتكامل دلالة معنى القراءتين أنّ أول ما يخلق عيسى عليه السلام من الطين يكون كل واحد مما أنفخ فيه طائرًا، ثم تجتمع فتكون جمعًا من الطير؛ لأنّ الله أذن له أن يخلق طيرًا كثيرةً، والطير يكون جمعًا وواحدًا.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿الطَّيْرُ﴾ و﴿طَيْرًا﴾ بالألف على الأفراد، لم تؤثر في المعنى، فقراءة ﴿الطَّيْرُ﴾ و﴿طَيْرًا﴾ بإسكان الياء على الجمع بالنقص في وزن الكلمة هي التي دلّت على زيادة المعنى لإفادتها الجمع مطلقًا. وقراءة ﴿الطَّيْرُ﴾ و﴿طَيْرًا﴾ بالزيادة في مبنى الكلمة على الأفراد، وقد تُحمل على الجنس، فتكون مثل قراءة ﴿طَيْرًا﴾ على معنى الجمع، فهنا جاءت الزيادة على خلاف الغالب، فكانت بتحويل وزن الكلمة إلى الأقوى، وهو جمع التكسير، فقوة اللفظ لقوة المعنى، والله تعالى أعلم.

^{١٦٨} هو سعيد بن مسعدة الجاشعي، مولى بني مجاشع، يكنى أبو الحسن، ويعرف بالأخفش الصغير، المتوفى سنة

(٢١٥هـ). ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ٧٢.

^{١٦٩} ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٣، ص ١٩٦.

الموضع الثالث: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿تُعَلِّمُونَ﴾، فقرأها ابن عامر وعاصم وحمة والكسائي وخلف ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ بناء مضمومة وفتح في العين وكسر في اللام مشددة. وقرأها الباقون ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ بناء مفتوحة وسكون العين ولام مخففة ١٧٠.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

نُعَلِّمُهُ بِالْيَاءِ نَصُّ أَيْمَةٍ *** وَبِالْكَسْرِ أَيْ أَحْلَقُ اعْتَادَ أَفْصَلًا ١٧١.

توجيه القراءة:

أَنَّ قراءة ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ بفتح التاء والتخفيف من العلم، المراد به المعرفة، فيتعدى الفعل إلى مفعول واحد، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]. ويقوي هذه القراءة قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ ولم يقل "تُدْرِسُونَ"؛ لأنَّ العالم الدارس قد يحصل له بعلمه ودرسه مما يكون داعيًا إلى التمسك بعلمه، والعمل به ما يجعله العالم المعلم في تعليمه وتدرسه؛ لأنَّه يتكرَّر عليه في درسه ما يتكرَّر في تعليمه مما ينبَّه ويبصر من اللطائف العلمية التي يثيرها النظر في حال الدرس والتعليم، والدرس لا يكون درسًا حتى تقرأه على غيرك، وعلى هذا تكون هذه القراءة قريبة في المعنى من قراءة ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ بالتشديد.

١٧٠ ينظر: أبو علي المالكي، الروضة في القراءات، ج ٢، ص ٥٩٠. وإسماعيل بن خلف أبو الطاهر، الإكتفاء في

القراءات السبع المشهور، تحقيق: الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن، (دمشق: دار نينوى للدراسات والنشر

والتوزيع، ط ١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ص ١٠١.

١٧١ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤٥، بيت رقم [٥٥٧].

وقراءة ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بضم التاء والتشديد من التعليم، يتعدى إلى مفعولين، فالمفعول الثاني محذوف، والتقدير: بما كنتم تعلمون غيركم الكتاب، أو الناس الكتاب، وحذف هنا في الكلام؛ لأنّ المفعول به قد يحذف من الكلام كثيراً كنحو قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] فهذا منقول من: عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ، وَعَلَّمَهُ اللَّهُ الْأَسْمَاءَ. والتعليم أبلغ في المعنى هنا؛ لأنّ المعلم لا يعلم غيره إلا وهو عالم بما يعلم، فمعنى قراءة ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بالتخفيف حاصل ههنا مع زيادة، ثم إنّ ما قبله يدل عليه، وهو قوله تعالى: ﴿كُونُوا رَئِيسَ﴾ والرباني في قول علي^{١٧٢} وابن عباس رضي الله عنهما: "العالم الذي يؤخذ عنه العلم"^{١٧٣}.

والذي يتبيّن خلال ما سبق أنّ قراءة ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بضم التاء والتشديد من التعليم. وقراءة ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بفتح التاء والتخفيف من العلم، والمفعول الأول على قراءة التشديد محذوف أي: تعلمون الناس الكتاب، ويستلزم التعليم علم المعلم، فكان فيه دلالة على قراءة ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بالتخفيف من العلم.

وتكامل دلالة معنى القراءتين إلى أنّ قراءة ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بالتشديد تتضمن قراءة ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بالتخفيف، إذ يلزم المعلم أن يكون عالمًا بما يعلم، فكل معلم عالم، وليس كل عالم معلّمًا، فالوصف بالتعليم يشمل العلم.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بالتشديد الإشارة إلى تعليم الغير، فقراءة ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بالتشديد تتضمن معنى قراءة ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بالتخفيف مع زيادة المعنى، وهي تعليم الغير، ويستلزم التعليم علم المعلم، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى، والله تعالى أعلم.

^{١٧٢} هو صحابي جليل، علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب الهاشمي، أمير المؤمنين، ومناقبة كثيرة حتى قال الإمام أحمد: لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلي رضي الله عنه من المناقب، المتوفى سنة (٤٠هـ). ينظر: ابن حجر: أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ)، ج ٤، ٤٦٤.

^{١٧٣} ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٣، ص ٦٠. ابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٣٧٦.

الموضع الرابع: قول الله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ فُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ٩٣].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿تُنَزَّلَ﴾، وقد سبق الكلام عليها في موضع التاسع من سورة البقرة.

الموضع الخامس: قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُدَنَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٢٤]. ونظيره قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٤].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿مُنَزَّلِينَ﴾ و﴿مُنْزِلُونَ﴾، فقرأها ابن عامر ﴿مُنَزَّلِينَ﴾ و﴿مُنْزِلُونَ﴾ بتشديد في الزاي. وقرأها الباقر ﴿مُنَزَّلِينَ﴾ و﴿مُنْزِلُونَ﴾ بتخفيف في الزاي^{١٧٤}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَفِيمَا هُنَا قُلْ مُنْزِلِينَ وَمُنْزِلُونَ *** نَ لِيَخْصِي فِي الْعَنْكَبُوتِ مُثَقَّلًا^{١٧٥}.

توجيه القراءة:

^{١٧٤} ينظر: يوسف بن علي بن جبارة، أبو القاسم الهذلي، الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي، (الكويت: مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ط ١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ص ٤٨٩. والنشر، المكرر في ما تواتر من القراءات، ص ٧٧.

^{١٧٥} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤٦، بيت رقم [٥٦٨].

أَنَّ قِرَاءَةَ ﴿مُنْزِلِينَ﴾ و﴿مُنْزِلُونَ﴾ بالتشديد، أنها من نَزَلَ فهو مَنْزِلٌ، والملائكة مَنْزِلُونَ، فهو مطاوع نَزَلَ يَنْزِلُ نَزْلَتَهُ فَيَنْزِلُ، ومثله قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَكَةِ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ [الْقَدَر: ٤]، وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ﴾ [الْأَنْعَام: ١١١]، إِلَّا أَنَّ التَّشْدِيدَ يَفِيدُ تَكْرِيرَ الْفِعْلِ وَمَدَاوِمَتَهُ.

وقراءة ﴿مُنْزِلِينَ﴾ و﴿مُنْزِلُونَ﴾ بالتخفيف، أنها من أَنْزَلَ فهو مَنْزِلٌ، والملائكة مَنْزِلُونَ، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ [الْأَنْعَام: ٨].

ومن حجة قراءة ﴿مُنْزِلِينَ﴾ بالتخفيف، أَنَّ الْإِنْزَالَ يَشْمَلُ التَّنْزِيلَ وَغَيْرَهُ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ [النَّحْل: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الرُّم: ٦] وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الْحَدِيد: ٢٥] وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [الْقَدَر: ١] ١٧٦.

وذكر ابن أبي مريم رحمه الله تعالى ١٧٧ أَنَّ قِرَاءَةَ ﴿مُنْزِلِينَ﴾ بالتشديد، أَنَّ نَزَلَ مُتَعَدِّي نَزَلَ كَأَنْزَلَ إِلَّا أَنَّهُ يَتَضَمَّنُ التَّكْرِيرَ فِي الْغَالِبِ، وَالكَثْرَةُ هَهُنَا مَوْجُودَةٌ، وَنَظِيرُهُ ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ﴾.

وقراءة ﴿مُنْزِلِينَ﴾ بالتخفيف؛ لأنهم جعلوه من "أَنْزَلَ"، وَالْإِنْزَالَ قَدْ يَكُونُ الْقَلِيلَ وَالكَثِيرَ، إِلَّا أَنَّ الْكَثْرَةَ بِالتَّنْزِيلِ أَخْصَ، وَالْإِنْزَالَ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ ١٧٨، وَقَدْ سَبَقَ الْمِثَالُ عَلَيْهِ قَبْلَ هَذِهِ الْفَقْرَةِ.

ويظهر خلال ما سبق أَنَّ الْقِرَاءَتَيْنِ لَغَتَانِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، نَزَّلْتَ الْقَوْمَ مَنَازِلَهُمْ، وَأَنْزَلْتَهُمْ مَنَازِلَهُمْ بِمَعْنَى وَاحِدٍ غَيْرَ أَنَّ التَّشْدِيدَ يَفِيدُ التَّكْثِيرَ وَتَكْرِيرَ مَعْنَى الْفِعْلِ وَمَدَاوِمَتَهُ.

^{١٧٦} ينظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ١١٣. أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٣، ص ٧٥.

^{١٧٧} هو نصر بن علي بن محمد، فخر الدين أبو عبد الله الفارسي، المعروف بابن أبي مريم، أستاذ عارف، له مؤلف في القراءات يدل على تمكنه في الفن، كان حياً سنة (٥٦٥هـ). ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢٧، ص ٤٨.

وابن الجزري، غاية النهاية، ج ٢، ص ٣٣٧.

^{١٧٨} ينظر: ابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٣٨٢.

وتتکامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى أنّ الملائكة تنتزل على المؤمنين في الغزوة على مراحل لمساعدتهم، دفعة ودفعات مستمرة، وذلك تنبيهاً لقلوب المؤمنين.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿مُنَزَّلِينَ﴾ بالتشديد إفادتها المبالغة في المعنى والتكرير، فدلّت على أنّ نزول الملائكة في الغزوة دفعة ودفعات مستمرة، فقوة اللفظ لقوة المعنى، وزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، والعلم عند الله وتعالى.

الموضع السادس: قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

القراءة:

اختلف القرّاء في قراءة كلمة ﴿مُضَاعَفَةً﴾، وقد سبق الكلام عليها في موضع العشرين من سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضِعُّهُ لَهُ، أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

الموضع السابع: قوله تبارك وتعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ، رِيبُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الضَّالِّينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

القراءة:

اختلف القرّاء في قراءة كلمة ﴿قُتِلَ﴾، فقرأها نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب ﴿قُتِلَ﴾ بضم في القاف وكسر في التاء من غير الألف، وقرأها الباقون ﴿قُتِلَ﴾ بفتح في القاف والتاء وألف بينهما^{١٧٩}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

^{١٧٩} ينظر: ابن مهران، الغاية في القراءات العشر، ص ١٢٩. وأبو معشر الطبري، التلخيص في القراءات الثمان، ص ٢٣٦.

وَلَا يَاءَ مَكْسُورًا وَقَاتَلَ بَعْدَهُ *** يُمْدُ وَفَتَحَ الضَّمَّ وَالْكَسْرَ ذُو وَلَا ١٨٠.

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

وَقَاتَلَ مِثُّ اضْمُمْ جَمِيعًا إِلَّا يَغُلُّ *** لَ جَهْلٍ حِمَى وَالْعَيْبُ تَحْسِبُ فُضِّلًا ١٨١.

توجيه القراءة:

أَنَّ قِرَاءَةَ ﴿قُتِلَ﴾ بالضم، معناها: وكم من نبي قُتِلَ قبل محمد ﷺ ومعه ربيون كثير. وهذه الآية أنزلت معاتبة لمن أدبر يوم أحد عن القتال، إذ صاح الصائح قُتِلَ رسول الله ﷺ، فاضطربوا في المعركة، فلما راجعوا إلى هيئتهم، أنزل الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، إلى قوله: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ أي جمع كثير فما تضعضعوا وما وهنوا في القتال، لكن قاتلوا وصبروا، فاقتدوا بهم أنتم كذلك، فلا تهنوا حتى ولو قتل نبيكم فكيف ولم يقتل.

وقراءة ﴿قُتِلَ﴾ بالفتح والألف من القتال، وحجتها قوله: ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾؛ لأنهم لو قُتِلوا لم يكن لقوله: ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ فائدة؛ لأنه يستحيل أن يوصفوا بأنهم لم يهنوا بعد قتلهم. فقراءة ﴿قُتِلَ﴾ في مدح الجميع أبلغ من قراءة ﴿قُتِلَ﴾؛ لأنه إذا مدح من قُتِلَ خاصة دون من قاتل، لم يدخل في المدح من قاتل ولم يُقْتَل، فمدح من قاتل يشمل الجميع، من قُتِلَ ومن قاتل ولم يُقْتَل، فيدخل الجميع في الفضل وإن كانوا متفاضلين فيه ١٨٢.

وذكر الزجاج رحمه الله تعالى أَنَّ قِرَاءَةَ ﴿قُتِلَ﴾ بمعنى أتهم قاتلوا وما وهنوا في قتالهم، وقراءة ﴿قُتِلَ﴾ فالأجود فيها أن يكون ﴿قُتِلَ﴾ للنبي صلى الله عليه وسلم، والمعنى: وكم من نبي قُتِلَ ومعه ربيون فما وهنوا بعد قتل النبي؛ لأن هؤلاء الذين وهنوا يوم أحد، توهموا أَنَّ رسول الله ﷺ قد قُتِلَ، فأعلم الله تبارك وتعالى الربانيين بعد قتل نبيهم فما وهنوا في القتال. ويجوز أن يكون ﴿قُتِلَ﴾ أي الربانيون، ويكون ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ أي فما وهن من بقي منهم ١٨٣.

١٨٠ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤٦، بيت رقم [٥٧١].

١٨١ ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٥، بيت رقم [٨٩].

١٨٢ ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١٧٥.

١٨٣ ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ١، ص ٤٧٦.

والذي يظهر أنّ قراءة ﴿قُتِلَ﴾ بالضم، تحتل وجهين:

الأول: أن يكون إسناد القتل إلى ضمير النبي، والتقدير: وكأين من نبي قُتِل هو ومعه ربيون فما وهنوا بعد قتل النبي، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَايُنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْفَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَبِكُمْ﴾.

والثاني: يجوز أن يسند ﴿قُتِلَ﴾ إلى ﴿رَبِّيُونَ﴾ ويكون التقدير: وكأين من نبي قُتِل ممن كان معه ربيون، فما وهن بقية من كان معه من الربيّين بعد قُتِل إخوانهم بل استمروا في القتال.

وأما قراءة ﴿قُتِلَ﴾ بالفتح والألف، فالمعنى واضحة، أي إنهم قاتلوا وما وهنوا في قتالهم.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في بيان أنّ الربيّين مهما كان الحال والموقف من المشقة والحرّج في القتال أو القتل، فهم ثابتون في موقفهم لنصرة دينهم مع نبيهم في القتال، سواء قتل النبي أو قتل بعضهم فلا يضعف من بقي في المعركة.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿قُتِلَ﴾ بالفتح، إفادتها مدح الجميع، القتال ومن قُتِل، إذ لم يخصّ المدح في من قُتِل فقط دون من قاتل، فدخل الجميع في الفضل وإن كانوا متفاضلين فيه كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَاتِلُوا وَقُتِلُوا لَا تُكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [آل عِمْرَان: ١٩٥]، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى والله أعلم. وقيل إنّ قراءة ﴿قُتِلَ﴾ بالفتح، أفادت مجرد وقوع المقاتلة من النبي ومن كان معه من الربيّين، فهو امتداح لهم للمقاتلة وإن لم يقع فيهم قتل، وأفادت قراءة ﴿قُتِلَ﴾ امتداحهم على المقاتلة والقتل^{١٨٤}.

الموضع الثامن: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٥١].

^{١٨٤} ينظر بزمول، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، ج ٢، ص ٩٠١.

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿يُنَزِّلُ﴾، وقد سبق الكلام عليها في موضع التاسع من البقرة.

الموضع التاسع: قوله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨].
ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩].
ونظيره قوله في آخر آل عمران: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا وَلَئِنْ كَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَآتِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٥].
ونظيره قوله في الأنعام: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٤٠].
وكذلك قوله في الحج: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [الحج: ٥٨].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿قُتِلُوا﴾ في هذه المواضع، فقرأها هشام ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ بتشديد التاء، وقرأها الباقون ﴿قُتِلُوا﴾ بالتخفيف.
وقرأ ابن عامر ﴿الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وآخر آل عمران ﴿وَقُتِلُوا وَقُتِلُوا﴾ وفي الأنعام ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾ وفي الحج ﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾ بالتشديد، ووافقه ابن كثير في الموضعين آخر آل عمران وفي الأنعام بالتشديد والباقي بالتخفيف، وقرأها الباقون ﴿قُتِلُوا﴾ بالتخفيف في كل ما سبق^{١٨٥}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

بِمَا قُتِلُوا التَّشْدِيدُ لَبَّى وَبَعْدَهُ *** وَفِي الْحَجِّ لِلشَّامِيِّ وَالْآخِرُ كَمَلًا.
دَرَاكِ وَقَدْ قَالَ فِي الْأَنْعَامِ قَتَّلُوا *** وَبِالْخُلْفِ غَيْبًا تَحْسَبَنَّ لَهُ وَلَا ١٨٦.

^{١٨٥} ينظر: مكي بن طالب، التبصرة في القراءات السبع، ص ٤٦٧. وابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٢٤٣.

^{١٨٦} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤٦، بيت رقم [٥٧٦].

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿قُتِلُوا﴾ بالتشديد؛ لأنَّ المقتولين كثر فحسن التشديد لإفادة ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ مُّفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠]، و"فَعَلَ" يخص الكثير دون القليل. وقراءة ﴿قُتِلُوا﴾ بالتخفيف؛ لأنَّ التخفيف يصلح للكثير والقليل، تقول: قتلت القوم، فيصلح هذا للكثرة والقلة^{١٨٧}.

وتوجيه القراءتين واضح، التشديد للتكثير، والتخفيف يصلح للقليل والكثير. وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى ما وقع بالمسلمين يوم أُحد؛ فبعضهم قد قُتل، وبعضهم بعد القتل مُثِّل به كحمزة رضي الله عنه. وأما بقية المواضع، فقراءة ﴿قُتِلُوا﴾ بالتخفيف أفادت وقوع القتل، لكن لم تصف كيفيته، فقراءة ﴿قُتِلُوا﴾ بالتشديد وصفته بالكثرة والمبالغة، وإن كانت قراءة التخفيف تحتمل التقليل والتكثير إلا أنَّ دلالة الكثرة في قراءة التشديد أوضح، بدون تقدير واحتمال القلة.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿قُتِلُوا﴾ بالتشديد، إشارتها إلى المبالغة في القتل، فقوة اللفظ لقوة المعنى. فقراءة ﴿قُتِلُوا﴾ بالتشديد في المواضع الأربعة غير الأنعام، كلها في شهداء الحرب، فتدل على وقوع كثرة القتل أو التمثيل بعد القتل، والتمثيل زائد على القتل، فوصف مَنْ قُتل ومُثِّل به بقراءة ﴿قُتِلُوا﴾ بالتشديد، وَمَنْ قُتل فقط بدون التمثيل بقراءة ﴿قُتِلُوا﴾ بالتخفيف.

وأما موضع الأنعام فهو في قتل الأولاد خاصة، وفيه معنى زائد على قتل غير الولد، إذ هو مذموم عقلاً أن يقتل أبٌ ولده، فالتشديد زيادة في تبكيتهم^{١٨٨}، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، والله أعلى وأعلم.

الموضع العاشر: قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عِمْرَان: ١٧٩].

^{١٨٧} ينظر: أبو علي الفارس، الحجة للقراء السبعة، ج ٣، ص ٩٨.

^{١٨٨} ينظر: دحان، الرياض الناضرة، ص ١٨٢.

ونظيره قوله تعالى في الأنفال: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٧].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿يَمِيزَ﴾ في الموضعين سورة آل عمران والأنفال، فقرأها حمزة والكسائي ويعقوب وخلف ﴿حَتَّى يَمِيزَ﴾ و﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ﴾ بضم في الياء وفتح في الميم وكسر في الياء مع تشديدها، وقرأها الباقون ﴿حَتَّى يَمِيزَ﴾ و﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ﴾ بفتح في الياء وكسر الميم مع التخفيف^{١٨٩}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

يَمِيزَ مَعَ الْأَنْفَالِ فَاكْسِرْ سُكُونُهُ *** وَشَدِّدْهُ بَعْدَ الْفَتْحِ وَالضَّمِّ شُلْشَلًا ١٩٠.
ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:
بِكُفْرٍ وَتُحْلِلِ الْآخِرَ اعْكِسْ بِفَتْحِ بَا *** كَذِي فَرْحٍ وَاشْدُدْ يَمِيزَ مَعًا حَلًا ١٩١.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿يَمِيزَ﴾ بالتشديد من ميّزت بين الشيئين، يميّز تمييزًا إذا خلّصته، كما يقال فرّقت بينهما أفرق تفريقًا. والتشديد أكثر استعمالًا عند العرب؛ لأنهم وضعوا مصدر هذا الفعل على معنى التشديد، فقالوا فيه التمييز ولم يقولوا الميز، فسار استعمالهم للمصدر على بنية التشديد، فمعنى الكلام حتى يميّز جنس الخبيث من جنس الطيب.

وقراءة ﴿يَمِيزَ﴾ بالتخفيف من مرّت الشيء أَمِيزُ مِيزًا، حجته قوله تعالى: ﴿الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾، والتشديد يدخل في الكلام للكثرة، كما ذكر أبو عمرو رحمه الله تعالى أنّه لا يكون "يَمِيزَ" بالتشديد إلا كثيرًا من كثير، فأما واحد من واحد ف"يَمِيزَ" على معنى يعزل^{١٩٢}.

^{١٨٩} ينظر: أبو الحسن ابن غلبون، التذكرة في القراءات الثمان، ص ٢٩٨. وأبو العز القلانسي، إرشاد المبتدي، ص ١٨٧.

^{١٩٠} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤٦، بيت رقم [٥٨٠].

^{١٩١} ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٥، بيت رقم [٩٠].

^{١٩٢} ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١٨٢.

وذكر مكي بن أبي طالب أنّ القراءتين لغتان بمعنى واحد، يقال: مازَ يَمِيزُ مثل كالَ يَكِيلُ، ومِيزَ يَمِيزُ مثل: قَتَلَ يَقْتُلُ، وفي التشديد معنى التكرير، يقال: مِيزَتِ الطعامَ فتمِيزَ، وليس التشديد في هذا لتعدي الفعل؛ لأنه لم يتعدّ بالتشديد؛ لأنك تقول: مِيزَتِ المتاعَ، ومِيزَتِ المتاعَ، فلا يحدث التشديد تعدياً لم يكن في التخفيف، فالقراءتان بمعنى واحد^{١٩٣}.

وقال السمين الحلبي رحمه الله تعالى: "يقال مازه ومِيزه وأمازه. والتشديد والهمزة ليسا للنقل؛ لأن الفعل قبلهما متعدّ، وإنما فعل بالتشديد وأفعَلَ بمعنى المجرد.

وهل ماز ومِيز بمعنى واحد أو بمعنيين مختلفين؟ قولان. ثم القائلون بالفرق اختلفوا، فقال بعضهم: لا يقال ماز إلا في كثير من كثير، فأما واحد من واحد فمِيزت؛ ولذلك يقال: مِيزت بين الشيئين ومزت بين الأشياء.

وقال بعضهم عكس هذا: مزت بين الشيئين ومِيزت بين الأشياء، وهذا هو القياس، فإنّ التضعيف يؤذن بالتكرير وهو لائق بالمتعددات.

ورجح بعضهم "مِيز" بالتشديد بأنه أكثر استعمالاً؛ ولذلك لم يستعمل المصدر إلا منه فقالوا: التمييز، ولم يقولوا: المِيز يعني لم يقولوه سماعاً وإلا فهو جائز قياساً^{١٩٤}.

والقراءتان بمعنى واحد، مِيزَتِ الشيء من الشيء فتمِيزَ، إذا خلّصته منه، والمعنى: أن المؤمنين هم الطيّب، مِيزَهم الله من الخبيث وهم المشركون، أي: خلّصهم.

وقراءة ﴿يَمِيزُ﴾ بالتخفيف من مِيزُهُ أَمِيزُهُ مِيزًا، فهو مِيز، بمعنى مِيزَت. ويقال: مِيزُهُ فامتارَ وأمازَ، ومِيزَتُهُ فتمِيزَ، كما قال تعالى: ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩]، أي: تميزوا من المؤمنين فإنكم وقود النار، والمؤمنون للجنة^{١٩٥}.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى أنّ الله تعالى يميز بين المؤمن الطيب والكافر الخبيث، كثر عددهم أو قلّ، فإنّ الله تبارك وتعالى يفرّق بينهم الطيب من الخبيث.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿يُمِيزُ﴾ بالتشديد إفادة معنى التكرير، بمعنى يميز الشيء الكثير من الكثير بخلاف قراءة التخفيف، فهي بمعنى أنه يميز الشيئين القليل

^{١٩٣} ينظر: مكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٣٦٩.

^{١٩٤} السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٣، ص ٥٠٩.

^{١٩٥} ينظر: الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ٢٨٤.

من القليل، فقوة اللفظ لقوة المعنى، ودلالة زيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، والعلم عند الله تبارك وتعالى.

الموضع الحادي عشر: قول الله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَدِ﴾ [آل عمران: ١٩٦].

ونظيره قوله تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادٍ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمٌ وَجُنُودُهُ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨].
ونظيره قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الرؤم: ٦٠].

ونظيره قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ* أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾ [الزحرف: ٤١ - ٤٢].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة هذه الكلمات ﴿لَا يَغُرَّتْكَ﴾ و﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ و﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ﴾ و﴿نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ و﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾، فقرأ رويس ﴿لَا يَغُرَّتْكَ﴾ و﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ و﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ﴾ و﴿نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ و﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾ بتخفيف النون فيها. وقرأها الباقون ﴿لَا يَغُرَّتْكَ﴾ و﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ و﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ﴾ و﴿نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ و﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾ بتشديد النون فيها^{١٩٦}.

والشاهد من الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

سَنَكْتُبُ مَعَ مَا بَعْدُ كَالْبَصْرِ فُزُّ يِي *** يَنْنُ يَكْتُمُوا خَاطِبُ حَنَا حَقُّوَا طَلَا.
يَغُرَّتْكَ يَحْطِمُ نَذْهَبَ أَوْ نُرِيَنَّكَ يَسْ *** تَخَفْنُ وَشَدِّدَ لَكِنَّ اللَّذَّ مَعَا لَا ١٩٧.
وهذه القراءة مما زادت به الدرّة على الشاطبية.

^{١٩٦} ينظر: الهذلي، الكامل، ص ٥٢٣. ابن الفحّام الصّقلي، مفردة يعقوب، تحقيق: إيهاب أحمد فكري وخالد حسن

أبو الجود (الرياض: دار أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٨ هـ/٢٠٠٧ م)، ص ١٥٧.

^{١٩٧} ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٦، بيت رقم [٩٢-٩٣].

توجيه القراءة:

أنّ قراءة ﴿لَا يَغُرَّنْكَ﴾ وأخواتها بتخفيف النون، أنّها نون التوكيد الخفيفة، تأكّد معنى الفعل، وإنّ كان التأكيد بها ليس كنون التوكيد الثقيلة.

وقراءة ﴿لَا يَغُرَّنْكَ﴾ وأخواتها بتشديد النون، أنّها نون التوكيد الثقيلة، وتأكيد المعنى بها أكد وأبلغ من نون التوكيد الخفيفة^{١٩٨}.

والقراءتان بمعنى واحدٍ غير أنّ قراءة التشديد تفيد التأكيد أكثر من قراءة التخفيف، لما في قراءة التشديد زيادة النون على قراءة التخفيف.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى النهي عن الاغترار بما عند الكفار من متاع الدنيا، والمبالغة في الابتعاد عن ما عندهم من تصرفاتهم وضربهم في الأرض، وسعة الرزق وإصابة حظوظ الدنيا؛ لأنّ كل ما عندهم متاع قليل في الدنيا، يزول ولا يبقى منه شيء، ومصيرهم إلى النار، أجازني الله وإياك من النار برحمتك يا أرحم الراحمين.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿لَا يَغُرَّنْكَ﴾ وأخواتها بالتشديد، دلالتها للتأكيد أكد وأبلغ من قراءة التخفيف، لما في قراءة التشديد زيادة النون على قراءة التخفيف. فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوّة اللفظ لقوّة المعنى، والعلم عند الله وتعالى. وبهذا ينتهي هذا المبحث، وقد تضمّن أحد عشر موضعاً من القراءات العشر المتواترة في سورة آل عمران، التي زاد مبنى الكلمة بالألف أو بالتثقيب والتخفيف على القراءة الأخرى المتعلّق بالمعنى في كلمة واحدة كما تمّ ذكره في حدود البحث.

وقد سعى الباحث - قدر المستطاع - في هذا المبحث بيان وجه التكامل بين القراءات وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة، وهذه نهاية هذا الفصل، والله الحمد والمنّة.

^{١٩٨} ينظر: ابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٤٧٥. والسبب أنّ في الثقيلة نونان، والخفيفة نون واحدة. ينظر: المصدر نفسه، ج ٢، ص ١١٥٢.

خلاصة الفصل

وخلاصة هذا الفصل تتمثل في الآتي:

أنّه تضمّن أثر دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى في القراءات القرآنية، التي اختلفت بنية كلمتها مع القراءة الأخرى في نفس الكلمة، أو التي تحوّل وزنها وأبنيتها إلى أقوى منه المتعلّق بالمعنى، من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة آل عمران.

وقد بلغ عدد الكلمات الفرشيّة في هذا الفصل، ثمانية وثلاثين موضعًا من القراءات، موضع واحد في سورة الفاتحة، وست وعشرون موضعًا في سورة البقرة، وأحد عشر موضعًا في سورة آل عمران.

وتبرز نتيجة هذا الفصل في نحو قراءة ﴿وَعَدْنَا﴾ بالالف وقراءة ﴿وَعَدْنَا﴾ بغير الألف، حيث أثّرت زيادة المبنى على المعنى، فقراءة ﴿وَعَدْنَا﴾ بزيادة الألف على مبنى الكلمة، أفادت المفاعلة والمشاركة من الطرفين. وفي قراءة ﴿وَعَدْنَا﴾ بالالف تأكيد لمعنى قراءة ﴿وَعَدْنَا﴾ بغير الألف، حيث أكّدت وعد الله لموسى كما في قراءة ﴿وَعَدْنَا﴾، ثم أضافت معنىً جديدًا، وهو وعد موسى ربّه للقيام بما أمره، فهذا الذي أضافته زيادة المبنى في المعنى في هذه القراءة.

وكذلك في قراءة ﴿فَآذِنُوا﴾ بالمد وقراءة ﴿فَآذِنُوا﴾ بالقصر، فقراءة ﴿فَآذِنُوا﴾ بالمد فيه زيادة في مبنى الكلمة على القراءة الأخرى. فأفادت قراءة ﴿فَآذِنُوا﴾ بالمد زيادة المعنى، وهي الإشارة إلى إعلام المخاطبين غيرهم بحرب من الله ورسوله إن لم يمتنعوا عن الربا، فهي تتضمّن معنى قراءة ﴿فَآذِنُوا﴾ بالقصر؛ لأنّه يلزم من إعلام غيرهم بما سيقع علمهم بذلك، فهذا الذي أفادته الزيادة وأثرها في المعنى، وغير ذلك مما توصّل إليه الباحث من النتائج في هذا الفصل، ولله الحمد والمنة.

الفصل الرابع

أثر دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى في القراءات القرآنية في سورة النساء والمائدة والأنعام

التمهيد

يقدم هذا الفصل القراءات الفرشية، التي اختلفت بنية كلمتها بالزيادة على القراءة الأخرى في نفس الكلمة، أو بالثقل والتخفيف، أو تحوّل وزن الكلمة إلى الأقوى منه، المتعلّق بالمعنى من القراءات العشر المتواترة، من بداية سورة النساء إلى نهاية سورة الأنعام. حيث بلغ عدد الكلمات الفرشية في هذا الفصل، واحدًا وأربعين قراءةً، إحدى عشرة قراءةً في سورة النساء، وعشر قراءات في سورة المائدة، وعشرين قراءةً في سورة الأنعام، فمجموع ما في هذا الفصل واحد وأربعون قراءةً.

واعتمد البحث في هذا الفصل - بعون الله تعالى وتوفيقه - على كتب القراءات وتوجيهها، وكتب معاني القرآن وإعرابه وكتب التفاسير واللغة وغيرها.

ويورد الباحث الدليل على القراءات من منظومة الشاطبية للإمام الشاطبي رحمه الله تعالى، والدرّة المضيّة للإمام ابن الجزري رحمه الله تعالى، مع تعميق محل الشاهد من البيت، الكلمة القرآنية والرمز أو اسم القارئ أو لقبه، وإذا كان القراء الثلاثة التي في الدرّة على أصولهم لم يختلفوا، أكتفي بذكر الشاهد من الشاطبية كما عليه ابن الجزري في الدرّة، أنّه ذكر فيها ما اختلف القراء الثلاثة أصولهم وشيوخهم في الشاطبية فقط.

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: سورة النساء.

المبحث الثاني: سورة المائدة.

المبحث الثالث: سورة الأنعام.

المبحث الأول: سورة النساء

يتناول هذا المبحث أثر دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى في القراءات القرآنية الفرشية في سورة النساء، التي زاد مبنى الكلمة على القراءة الأخرى المتعلق بالمعنى، أو تحوّل وزن الكلمة إلى أقوى منه في المعنى، بحيث يقوم الباحث بدراسة المواضع في هذه السورة، واحداً بعد واحد، خلال كتب القراءات والتوجيه ومعاني القرآن وإعرابه وكتب التفسير واللغة، حسب ترتيب القراءات وإيرادها في هذه السورة.

الموضع الأول: قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿تَسَاءَلُونَ﴾، فقرأها عاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿تَسَاءَلُونَ﴾ بتخفيف في السين، وقرأها الباقون ﴿تَسَاءَلُونَ﴾ بتشديد ١٩٩.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَكُوفِيهِمْ تَسَاءَلُونَ مُحَقَّقًا *** وَمَمَرَّةً وَالْأَرْحَامَ بِالْخَفْضِ جَمًّا ٢٠٠.

توجيه القراءة:

أنّ قراءة ﴿تَسَاءَلُونَ﴾ بالتشديد، أصلها "تتساءلون"، فأدغم التاء في السين لقرب مكائهما ولا اجتماعهما في أهما من حروف طرف اللسان وأصول الثنايا، واجتماعهما في الهمس ٢٠١.

١٩٩ ينظر: أبو عمرو الداني، التيسير، ص ٩٣. وابن سوار، المستنير، ص ٥١٣.

٢٠٠ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤٧، بيت رقم [٥٨٧].

٢٠١ لغة: الخفاء، وفي اصطلاح: هو جريان النفس عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على المخرج. وحروفه عشرة

يجمعها قولك: "فحثه شخص سكت". محمد سالم محيسن، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر،

(بيروت: دار الجيل، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ج ١، ص ٩٢.

وقراءة ﴿تَسَاءَلُونَ﴾ بالتخفيف، أصلها "تَسَاءَلُونَ" أيضاً، إلا أنه حذفت التاء الثانية لاجتماع التائين؛ لاستثقال اللفظ فوق الحذف للتخفيف. ومعنى ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ تطلبون حقوقكم به ٢٠٢.

وقيل معنى ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾: أي يتعاطون به السؤال، فيسأل بعضهم بعضاً. أو يقول: أسألك بالله أن تفعل، وظاهر "تفاعل" الاشتراك أي: تسأله بالله، ويسألك بالله. وقالت طائفة: معناه تسألون به حقوقكم وتجعلونه معظماً لها. قال ابن عباس رضي الله عنه: معنى ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ أي تتعاطفون. وقيل: تتعاقدون وتتعاهدون ٢٠٣. وذكر السمين الحلبي - رحمه الله تعالى - أن ﴿تَسَاءَلُونَ﴾ على التفاعل، وفيه وجهان، أحدهما: المشاركة في السؤال.

والثاني: أنه بمعنى "فعل"، ويدل عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه "تَسَالُونَ" ٢٠٤ من سأل الثلاثي، ودخل عليه حرف الجر في المفعول، ومعناه: تتحالفون، يعني: أن أصله كان تعديته "تَسَالُونَ" إلى الضمير بنفسه، فلما ضمّن معنى "تتحالفون" عُدي تعديته ٢٠٥. والقراءتان بمعنى واحد غير أن في قراءة ﴿تَسَاءَلُونَ﴾ بالتشديد مبالغة في المعنى أكثر من قراءة ﴿تَسَاءَلُونَ﴾ بالتخفيف.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى درجات متنوعة لسؤال الناس بعضهم بعضاً بالله أو بالرحم، فأحياناً يكون السؤال بدرجة مشددة، وأحياناً بدرجة أقل، ويعود اختلاف الدرجات إلى اختلاف الحالات التي يسأل الناس بعضهم بعضاً بالله وبالرحم، أو إلى درجة تعظيم الله تعالى ٢٠٦.

٢٠٢ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٢، ص ٦.

٢٠٣ ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٣، ص ٤٩٧.

٢٠٤ ينظر: أبو البقاء العكبري، إعراب القراءات الشواذ، تحقيق: محمد السيد أحمد عزّوز، (بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ج ١، ص ٣٦٢.

٢٠٥ ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٣، ص ٤٩٧. والسمين الحلبي، الدر المصون، ج ٣، ص ٥٥٣.

٢٠٦ مهنا محمود عبد الكريم وعيسى إبراهيم وادي، اتساع الدلالات، ج ١، ص ٢٩١.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿تَسَاءَلُونَ﴾ بالتشديد إفادتها المبالغة في المعنى، أي تكثر التساؤل به والمناشدة، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى، والله تعالى أعلم.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿قِيَمًا﴾، فقرأها نافع وابن عامر ﴿قِيَمًا﴾ بغير ألف، وقرأها الباقون ﴿قِيَمًا﴾ بالألف ٢٠٧.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَقَصُرُ قِيَمًا عَمَّ يَصْلُونَ ضُمَّ كَمْ *** صَفَا نَافِعٌ بِالرَّفْعِ وَاحِدَةً جَلَا ٢٠٨.

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

وَالْأَرْحَامُ فَاَنْصِبْ أُمَّ كُلاًّ كَحَفْصِ فُكْ *** فَوَاحِدَةً مَعَهُ قِيَمًا وَجْهًا لَا
أَحَلَّ وَنَضَبَ اللَّهُ وَاللَّاتِ أَدْ يَكُنْ *** فَأَنْتَ وَأَنْتُمْ بَابُ أَصْدَقِ طِبِّ وَلَا ٢٠٩.

توجيه القراءة:

أنّ قراءة ﴿قِيَمًا﴾ بالألف على الوجهين، أحدهما: أن تكون مصدرًا من قام أصلها "قواما"، فلما أعلّ في الفعل "قام"، أعلّ أيضًا في المصدر؛ لاجيء الواو في المصدر بعدها ألف، وهو مثل عاد عيادًا. ويجوز أن تكون اسمًا من أقام ٢١٠.

والمعنى: التي جعلها الله سبب قيام أبدانكم وبقائها. وقيل: تقومون بها وتنتعشون.

٢٠٧ ينظر: سبط الخياط، المبهج، ج ٢، ص ١٧٧. وابن الباذش، الإقناع، ص ٣١٣.

٢٠٨ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤٧، بيت رقم [٥٨٨].

٢٠٩ ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٦، بيت رقم [٩٤].

٢١٠ ينظر: أبو العباس المهدوي، شرح الهداية، ج ٢، ص ٢٤٥.

فأما قراءة ﴿قِيَمًا﴾ بغير ألف، ففيها ثلاثة أوجه وهي:

أحدهما: أنَّ "قِيَمًا" مصدر كالقيام وليس مقصوراً منه، قاله الكسائي والأخفش والقرّاء رحمة الله عليهم، فهو مصدر بمعنى القيام والمراد به الثبات والدوام. وقد استُدرِكَ على هذا القول بأنّه ينبغي أن تصحّ الواو لتحصّنها بتوسّطها، كما صحّت واو "عَوَظٍ وَحَوْلٍ". وأُجيب بأنّه تبع فعله في الإعلال. كما أُعِلَّ فعله أُعِلَّ هو كذلك؛ لأنّه بمعنى القيام فحُمِل عليه في الإعلال.

وعند الأخفش - رحمه الله تعالى - أنَّ "قِيَمًا وَقَوْمًا" القياس فيه تصحيح الواو، وإِنَّمَا اعتلّت شذوذاً كنحو "ثِيَرَةٍ"، وقول بني ضَبَّة: طِيَالٌ في جمع طويل، وقول الجميع جِيَاد جمع جواد، وإذا أعلّوا ديمًا لاعتلال ديمة، فاعتلال المصدر لاعتلال فعله أولى، ألا ترى إلى صحة الجمع مع اعتلال مفرد في مقامة ومقاوم، ومعيشة ومعايش، ولم يصحّحوا مصدرًا أعلّوا فعله. الثاني: أنّه مقصور من "قيام"، فحُذِف الألف للتخفيف كنحو خِيَم في خِيَام، ومَقُول في مَقُول، ومُحِيط في مُحِيط.

والثالث: أنّه جمع "قيمة" كديم في جمع ديمة. والمعنى: أنَّ الأموال كالقيم لنفوسكم؛ لأنّ بقاءكم بها.

وقد ردّ هذا الوجه أبو علي الفارسي - رحمه الله تعالى - بأنّه قد قرئ قوله تعالى: ﴿دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام: ١٦١] على التخفيف، وقوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْكُبَىٰ أَلْبَيْتًا الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧]، ولا يصحّ معنى القيمة فيهما. وقد استُدرِكَ عليه بأنّه لا يلزم من عدم صحّة معناه في هاتين الآيتين المذكورتين ألا يصحّ هنا، إذ معناه هنا لائق، وهناك له معنى آخر يليق بهما^{٢١١}.

وذهب أبو شامة رحمه الله تعالى^{٢١٢} إلى أنَّ القِيَم والقيام بمعنى واحدٍ، يوصف به الذي يقوم بالمصالح، بمعنى الثبات والدوام، وهما مصدران وُصِفَ بهما الأموال هنا، وفي المائدة

^{٢١١} ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٣، ص ٥٨١.

^{٢١٢} هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، أبو شامة، العلامة ذو الفنون، شهاب الدين، الدمشقي الشافعي المقرئ، النحوي، صاحب التصانيف في القراءات وغيرها، المتوفى سنة (٦٦٥هـ). الذهبي، معرفة القراء الكبار، ص ٣٦١.

بمعنى الكعبة، ووصف بهما في الأنعام بمعنى الدين بالقِيم والقِيم؛ أي: هو مستقيم كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه ٢١٣:

فنشهد أنَّك عبدُ المليكِ ***** أُرسلتَ نورًا بدينٍ قِيمٍ ٢١٤.

والظاهر أنَّ القراءتين لغتان بمعنى واحدٍ، وأصل الياء فيهما واو، قلبت ياء لكسرة ما قبلها كنحو ميعاد وميزان.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى أنَّ الأموال مِلَاك أمور معاش الناس، وسبب استقامة مصالحهم ودوامها، فقد جعل الله لها قيمة، فبها تقوم أمور شؤون العباد؛ لأنهم يقومون وينتعشون بها، لو ضيعوها لضاعوا، فكأنَّها في نفسها قيامهم وانتعاشهم.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿قِيمًا﴾ بالألف إطلاقها للمال اسم المُسَبَّبِ على السَّبَبِ على سبيل المبالغة، يعني كأنَّ هذا المال نفس قيامكم وابتغاء معاشكم ٢١٥، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، والعلم عند الله تبارك وتعالى.

الموضع الثالث: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلِيًا مِمَّا تَرَكَ الْوَلَدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيْبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [النِّسَاء: ٣٣].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿عَقَدَتْ﴾، فقرأها عاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿عَقَدَتْ﴾ بغير ألف، وقرأها الباقون ﴿عَقَدَتْ﴾ بالألف ٢١٦.

٢١٣ هو صحابي جليل، حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن النجار الأنصاري الخزرجي النجاري، ومن مناقبه أنَّه شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، المتوفى سنة (٥٠هـ). ينظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٢، ص ٥٥.

٢١٤ ينظر: أبو شامة، إبراز المعاني، ٤١٢.

٢١٥ كما ذكره الرازي بقوله: "أنه لا يحصل قيامكم ولا معاشكم إلا بهذا المال، فلما كان المال سببًا للقيام والاستقلال سماه بالقيام إطلاقًا لاسم المُسَبَّبِ على السَّبَبِ على سبيل المبالغة، يعني كان هذا المال نفس قيامكم وابتغاء معاشكم". ينظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٩، ص ٤٩٦.

٢١٦ ينظر: أبو عمرو الداني، جامع البيان في القراءات السبع، ج ٣، ص ١٠٠٣. والهدلي، الكامل، ص ٥٢٧.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَفِي عَاقَدَتٍ قَصْرٌ ثَوَى وَمَعَ الْحَدِيدِ *** لِـ فَتُحْ سُكُونِ الْبُحْلِ وَالضَّمِّ شَمْلًا ٢١٧.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿عَقَدَتْ﴾ بالألف على إجراء ظاهر اللفظ على المفاعلة؛ لأنَّ كل واحد من المتحالفين كَقَرَّ يمينًا عند المخالفة، فهو من باب المفاعلة. والتقدير: والذين عاقدت أيمانكم أيمانهم، وحذف المفعول لدلالة المعنى عليه، وهذا مما جرى الكلام فيه على غير مَنْ هو له، فجعل الأيمان هي العاقدة.

والمعنى: أنَّ العاقد هو الحالف، وإذا كان العاقد هو الحالف وجب أن يجيء على المفاعلة؛ لأنَّ كل واحد من الفريقين عَقَدَ حلفًا للآخر.

وقراءة ﴿عَقَدَتْ﴾ بغير الألف، على إضافة الفعل إلى الأيمان، والمراد إضافة الفعل إلى المخاطبين في المعنى دون مَنْ حالفهم، وفيه حذف المفعول.

والتقدير: والذين عقدت أيمانكم حلفهم ثم حذف، فهو محمول على لفظ الأيمان، فأسند الفعل إليها دون أصحاب الأيمان، فلما أسند الفعل إلى الأيمان في ظاهر اللفظ، لم يحتج إلى المفاعلة؛ لأنَّ يمين القوم الآخرين لا فعل لها، فهذا في هذه القراءة محمول على اللفظ لفظ الأيمان، دون أصحاب الأيمان، وهو في القراءة الأولى محمول على أصحاب الأيمان، وهم فريقان كل واحد حالفٌ محلوفاً له، فحمل على المفاعلة، وهو باب المعاقدة بالأيمان ٢١٨.

وعند ابن خالويه رحمه الله ٢١٩ أنَّ قراءة ﴿عَقَدَتْ﴾ من المعاقدة، بمعنى المخالفة في الجاهلية أنَّه يواليه ويرثه ويقوم بئاره، فأمرُوا بالوفاء لهم، ثم نُسخ بآية المواريث، فحسن الألف هاهنا؛ لأنَّه جاء لبناء فعل بين الاثنين.

٢١٧ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤٨، بيت رقم [٥٩٩].

٢١٨ مكِّي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٣٨٨.

٢١٩ هو الحسين بن محمد بن خالويه النحوي أبو عبد الله، له مؤلفات في اللغة والقراءات وتوجيهها وغير ذلك، المتوفى سنة (٣٧٠هـ). ينظر: القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج ١، ص ٣٥٩.

وقراءة ﴿عَقَدْتُ﴾ بغير الألف صفة محذوفة، بمعنى: والذين عقدت أيمانكم لهم الحلف ٢٢٠.

وذهب أبو منصور الأزهري رحمه الله تعالى ٢٢١ بأنّ القراءتين لغتان بمعنى واحد: عقد يعقد، وعاقد يُعاقد، قد قرأ بهما القراء، وفيها لغة ثالثة "عَقَدْتُ" بتشديد القاف، والمعنى في جميعها التوكيد لليمين ٢٢٢.

والذي يتبين خلال ما سبق أنّ القراءتين ليسا بمعنى واحد، خلافاً لما ذهب إليه أبو منصور الأزهري رحمه الله تعالى، فقراءة ﴿عَقَدْتُ﴾ بالألف تفيد المفاعلة على ظاهرها، المعاقدة والمخالفة وقعت من اثنين، وقراءة ﴿عَقَدْتُ﴾ بغير ألف تفيد أنّ العقد والحلف وقع من طرف واحد.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى أنّ الواحد إذا عقد على غيره يلزمه الوفاء بما عقد، وكذلك موافقة المولى على العقد يُعَدّ ضرب من المشاركة والمفاعلة على العقد. وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿عَقَدْتُ﴾ بالألف دلالتها على المفاعلة والمعاقدة بين اثنين، فدلّت هذه القراءة على أنّ المطلوب لجريان أحكام التّعاقد أن يشترك في إقراره المتعاقدان، بقرينة ألف المفاعلة التي هي نتيجة اشتراك إرادتين فيما دلّت عليه قراءة ﴿عَقَدْتُ﴾ بغير ألف أنّ المطلوب هو يمين الغارم دون إقرار الغريم، بقرينة أنّ الفاعل هنا هو أيمان المؤمنين وحدها ٢٢٣، فقوة اللفظ لقوة المعنى، وزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، والله تعالى أعلم.

٢٢٠ ينظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ١٢٣.

٢٢١ هو محمد بن أحمد، أبو منصور الأزهري الهروي اللّغوي الشافعي، كنيته أشهر من اسمه، إمام عالم باللّغة والعربية، قيّم بالفقه والتّرواية، صاحب كتاب معاني القراءات وتهديب اللغة وغيره، المتوفّى سنة (٣٧١هـ). ينظر: القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج ٤، ص ١٧٧.

٢٢٢ ينظر: الأزهري، معاني القراءات، ج ١، ص ٣٠٦.

٢٢٣ ينظر: محمد حبش، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، (دمشق: دار الفكر، ط ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ص ٢٧٩.

الموضع الرابع: قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿يُضْعِفْهَا﴾، وقد سبق الكلام عليها في موضع العشرين من سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

الموضع الخامس: قول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿تُسَوَّىٰ﴾، فقرأها نافع وأبو جعفر وابن عامر ﴿تُسَوَّىٰ﴾ بتاء مفتوحة وسين مشددة، وقرأها حمزة والكسائي وخلف ﴿تَسَوَّىٰ﴾ بتاء مفتوحة وتخفيف في السين، وقرأها ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب ﴿تُسَوَّىٰ﴾ بتاء مضمومة وتخفيف في السين ٢٢٤.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَفِي حَسَنَةِ حَرَمِي رَفَعٍ وَضَمُّهُمْ *** تَسَوَّىٰ نَمًا حَقًّا وَعَمَّ مُثَقَّلًا ٢٢٥.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿تُسَوَّىٰ﴾ بتاء مضمومة وتخفيف السين على ما لم يسم فاعله، ومعناها: يودّ الذين كفروا لو أنَّ الله يُسَوِّيَ بهم الأرض.

٢٢٤ ينظر: ابن شَرِيح، الكافي في القراءات السبع، ص ١٠٠. وأبو العلاء الهمداني، غاية الاختصار، ص ٤٦٣.

٢٢٥ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤٨، بيت رقم [٦٠٠].

إِذَا أَنْ تَنْشَقُّ بِهِمُ الْأَرْضُ وَتَبْتَلُعُهُمْ، وَتَكُونُ الْبَاءُ بِمَعْنَى "عَلَى". وَإِذَا عَلَى أَنَّهُمْ يَوْدُونَ
أَنْ لَوْ يَصِيرُوا تَرَابًا كَالْبَهَائِمِ، وَالْأَصْلُ: يَوْدُونَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَوِّبُهُم بِالْأَرْضِ، فَقُلِبَ إِلَى
هَذَا كَقَوْلِهِمْ: أَدْخَلْتَ الْقَلَنْسُوءَ فِي رَأْسِي.

وَإِذَا عَلَى أَنَّهُمْ يَوْدُونَ لَوْ يُدْفَنُونَ فِيهَا، وَهُوَ كَمَعْنَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ، وَقِيلَ: لَوْ تُعْدَلُ بِهِمُ
الْأَرْضُ أَي: يُؤْخَذُ مَا عَلَيْهَا مِنْهُمْ فَدِيَةٌ^{٢٢٦}.

وَقِرَاءَةُ ﴿تَسَوَّى﴾ بِنَاءٍ مَفْتُوحَةٍ وَتَشْدِيدٍ فِي السَّيْنِ، أَصْلُ الْكَلِمَةِ "تَسَوَّى" فَأُدْغِمَتْ
التَّاءُ فِي السَّيْنِ، أَيِ يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ صَارُوا تَرَابًا فَيَكُونُوا هُمْ وَالْأَرْضُ سَوَاءً.

وَقِرَاءَةُ ﴿تَسَوَّى﴾ بِنَاءٍ مَفْتُوحَةٍ وَتَخْفِيفٍ فِي السَّيْنِ، أَصْلُ الْكَلِمَةِ "تَسَوَّى"، فَحُذِفَتْ
إِحْدَى التَّائِينَ لِلتَّخْفِيفِ مِثْلَ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٥٢]، وَأَسْنَدَ الْفِعْلَ إِلَى الْأَرْضِ بِمَعْنَى
قِرَاءَةِ ﴿تَسَوَّى﴾ بِضَمِّ التَّاءِ.

وَوَجْهَ إِسْنَادِ الْفِعْلِ لِلْأَرْضِ؛ لِأَنَّ الْكَفَّارَ يَتَمَنَّى أَنْ تَسْتَوِيَ الْأَرْضُ بِهِمْ فَيَكُونُوا تَرَابًا
عِنْدَمَا تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَعْضَاؤُهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنِ الْكَفَّارِ: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يُلَيِّتَنِي
كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النَّبَأُ: ٤٠].

وَيُجَوِّزُ أَنْ تَكُونَ الْمَعْنَى يَوْدُ الْكَفَّارِ لَوْ يَسْتَوُونَ هُمْ بِالْأَرْضِ فَيَكُونُوا تَرَابًا مِنْ تَرَابِهَا، ثُمَّ
تَحَوَّلَ الْفِعْلُ إِلَى الْأَرْضِ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا تَسَوَّوْا بِالْأَرْضِ فَقَدْ تَسَوَّتْ بِهِمْ، فَيَكُونُ كُلُّ مِنْهُمَا قَدْ
اسْتَوَى بِصَاحِبِهِ^{٢٢٧}.

وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذِهِ الْقِرَاءَاتِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَالْمَعْنَى فِيهَا أَنَّ أَهْلَ النَّارِ يَتَمَنَّى أَنْ لَوْ يَكُونُوا
تَرَابًا وَلَمْ يَبْعَثُوا مِنَ الْقُبُورِ أَحْيَاءً، أَوْ لَوْ يَكُونُوا تَرَابًا كَالْبَهَائِمِ خَوْفًا لِمَا رَأَوْا مِنْ شِدَّةِ الْمَوْقِعِ
وَالْمَالِ، أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ.

وَتَتَكَامَلُ دَلَالَةُ مَعْنَى الْقِرَاءَاتِ فِي بَيَانِ الْحَالَةِ النَّفْسِيَّةِ السَّيِّئَةِ، الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْكَفَّارُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ شَهَادَةِ الرِّسْلِ عَلَيْهِمْ، فَيَتَمَنَّى لَوْ سَوَّيْتُ بِهِمْ أَرْضَ الْمَحْشَرِ مَعَ التَّرَابِ عِنْدَمَا
سَوَّيْتُ بِالْبَهَائِمِ، أَوْ أَنَّ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ لَتَبْتَلُعَهُمْ وَتَسَوَّى بِهِمْ أَرْضَ الْمَحْشَرِ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ،

^{٢٢٦} ينظر: السمين الحلي، الدر المصون، ج ٣، ص ٦٨٦.

^{٢٢٧} ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٠٣.

فيحاسب الناس وهم غير منتمين إليهم، فكانت هذه الآية بوجوهها المتعددة مصورة كل هذه الأمنيات^{٢٢٨}.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿تَسْوَى﴾ بناء مفتوحة وتشديد السين، إفادتها المبالغة في المعنى، فأهل النار يتمنون أشد التمني لو يكونوا ترابًا مثل البهائم، ففوة اللفظ لقوة المعنى، وزيادة المبني زيادة على المعنى، والعلم عند الله تبارك وتعالى.

الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣].

ونظيره قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٦].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿لَمَسْتُمُ﴾ في الموضعين سورة النساء والمائدة، فقرأها حمزة والكسائي وخلف ﴿لَمَسْتُمُ﴾ بغير الألف، وقرأها الباقون ﴿لَمَسْتُمُ﴾ بالألف^{٢٢٩}.
والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:
وَلَا مَسْتُمُ أَقْصَرُ تَحْتَهَا وَبِهَا شَفَا *** وَرَفَعُ قَلِيلٌ مِنْهُمْ النَّصَبُ كُلًّا^{٢٣٠}.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿لَمَسْتُمُ﴾ بالألف على وزن "فاعلتهم"، على المفاعلة لاشتراك الطرفين في الفعل.

^{٢٢٨} ينظر: مهنا محمود عبد الكريم وعيسى إبراهيم وادي، اتساع الدلالات، ج ١، ص ٣٢٤.

^{٢٢٩} ينظر: ابن فارس، التبصرة في القراءات الأئمة العشرة، ص ٢٢٢. وابن الفحاح، كتاب التجريد لبغية المرید في

القراءات السبع، ص ١١.

^{٢٣٠} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤٨، بيت رقم [٦٠١].

وقراءة ﴿لَمَسْتُمْ﴾ بغير الألف على وزن "فعلتم"، على أنَّ الفعل من الرجل؛ لأنَّ الفعل في هذا الباب يضاف إلى الرجل، وقد يكتفى عنه باللمس واللماس، كما تقول العرب: فلانة لا تَرُدُّ يد لامس، أي: لا تَرُدُّ نفسها لمن أراد غَشِيَّانَهَا^{٢٣١}. وعلى هذا القراءة تان بمعنى الوطء.

وذهب مكِّي بن أبي طالب - رحمه الله تعالى - أنَّ قراءة ﴿لَمَسْتُمْ﴾ بغير الألف على إضافة الفعل، والخطاب للرجال دون النساء على معنى: مسَّ بعض الجسد بعض الجسد، ومسَّ اليد الجسد، فجرى الفعل من واحد، ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ [آل عِمْرَان: ٤٧] ولم يقل يماسني، وقوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرَّحْمَن: ٧٤] ولم يقل: يطامثن.

وأيضاً فإنَّ اللمس يكون بغير الجماع، الغمز والإفضاء باليد إلى الجسد، وهو قول ابن مسعود وابن عمر^{٢٣٢} - رضي الله عنهما - وبعض التابعين رحمهم الله تعالى.

وعند غيرهم أنَّ اللَّمس في هذا الإفضاء باليد إلى الجسد، وبيعض جسده إلى بعض جسدها، فحُمِلَ على غير الجماع، فهو واحد كما قال: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: ٨]، فهو لمس بغير اليد، واللمس على وجهين: لمس باليد ولمس بغير اليد كما هو في لمسنا السماء. وعلى هذا القول المراد باللمس دون الجماع.

وقراءة ﴿لَمَسْتُمْ﴾ بالألف، جعلوا الفعل من اثنين، وجعلوه من الجماع، فجرى على المفاعلة؛ لأنَّ الجماع لا يكون إلا من اثنين. ويجوز أن يكون لامس من واحد كعاقبت اللص، فتتفق معنى القراءتين^{٢٣٣}.

والذي يظهر أنَّ المراد بـ﴿لَمَسْتُمْ﴾ الجماع، جرى على المفاعلة؛ لأنَّه لا يكون إلا من اثنين، ويجوز أن يكون لامس بمعنى لمس، واختلف عن المراد بـ﴿لَمَسْتُمْ﴾ بغير الألف، فذهب

^{٢٣١} ينظر: الأزهري، معاني القراءات، ج ١، ص ٣١٠.

^{٢٣٢} هو صحابي جليل، عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو عبد الرحمن، من المكثرين للرواية، ومناقبه كثيرة رضي الله عنه. المتوفى سنة (٨٤هـ). ينظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ١٥٥.

^{٢٣٣} ينظر: مكِّي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٣٩١.

البعض أنّ المراد به الجماع، وإن كان الفعل من طرف واحد، وبعض الآخر يرى أنّ المراد به ما دون الجماع، وهو الذي تميل إليه النفس كما سبق في توجيه القراءتين.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين على أنّ اللمس الذي ينقض الوضوء هو اللمس بشهوة، فمن أخذ بظاهر قراءة ﴿لَمَسْتُمْ﴾ يكون بمجرد اللمس ينقض الوضوء، وتكون قراءة ﴿لَمَسْتُمْ﴾ بالألف حجة عليه، إضافة إلى بعض الأحاديث الدالة على عدم نقض الوضوء بمجرد اللمس^{٢٣٤}.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿لَمَسْتُمْ﴾ بالألف إشارتها إلى المفاعلة والمشاركة في الملامسة بين الطرفين الرجل والمرأة، بخلاف قراءة ﴿لَمَسْتُمْ﴾ بغير الألف، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى، والعلم عند الله تبارك وتعالى.

الموضع السابع: قوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَعَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ [النساء: ٩٤].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿السَّلَامُ﴾، فقرأها ابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب ﴿السَّلَامُ﴾ بالألف، وقرأها الباقون ﴿السَّلَامُ﴾ بحذف الألف^{٢٣٥}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَعَمَّ فَتَى قَصْرُ السَّلَامِ مُؤَخَّرًا *** وَغَيْرُ أُولَى بِالرَّفْعِ فِي حَقِّ هَشَلَا^{٢٣٦}.

توجيه القراءة:

أنّ قراءة ﴿السَّلَامُ﴾ بالألف تحتل الوجهين:

^{٢٣٤} ينظر: مهتّا محمود عبد الكريم وعيسى إبراهيم وادي، اتساع الدلالات، ج ١، ص ٣٢٥.

^{٢٣٥} ينظر: ابن خالويه، البديع، ص ٩٢. وأبو العز القلانسي، إرشاد المبتدي، ص ٢٠٠.

^{٢٣٦} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤٨، بيت رقم [٦٠٥].

الأول: أن تكون السلام بمعنى تحية المسلمين، أي: فلا تقولوا لمن حيّاكم بهذه التحية: إنّما قالها تعوداً فتقتلوه، ولكن كفّوا عنه، واقبلوا منه قوله على ظاهره، وارفعوا عنه السيف. والثاني: أن تكون بمعنى: لا تقولوا لمن فارقكم واعتزلكم، وكفّ يده عنكم فلم يقاتلكم: لست مؤمناً. تقول العرب: إنّما فلان سلام إذا كان لا يخالط أحداً، فالمعنى: لا تقولوا لمن اعتزلكم، ولم يخالطكم في القتال: ليس بمؤمن.

وقراءة ﴿السَّلَامُ﴾ بحذف الألف، بمعنى أراد الاستسلام والانقياد إلى المسلمين، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ﴾ [التَّحُل: ٨٧]، أي: استسلموا لأمر الله ولما يراد منهم، ولم يكن لهم محيص من ذلك، وقوله تعالى: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الرُّمَر: ٢٩]، أي: منقاد ومطيع له غير مخالف عليه ولا متشاكس^{٢٣٧}.

وذكر الزجاج - رحمه الله تعالى - أنّ السلام قد يكون من التسليم، أو يكون بمعنى السِّلَم، وهو الاستسلام، وإلقاء المقادة إلى إرادة المسلمين. ويروى أنّ سبب نزول هذه الآية أنّ رجلاً من الكفار انحاز وأظهر الإسلام فقتله أحد من المسلمين وأخذ سلبه. فأعلم الله تعالى أنّ حقّ من ألقى السلام لا يقتل حتى يُتَبَيَّن من أمره^{٢٣٨}.

والذي يظهر أنّ قراءة ﴿السَّلَامُ﴾ بالألف، بمعنى: لا تقولوا لمن حيّاكم بهذه التحية لست مسلماً، فقتلوه وتأخذوا ماله، وكذلك الذي اعتزلكم وكفّ يده عنكم ولم يقاتلكم. وقراءة ﴿السَّلَامُ﴾ بحذف الألف، بمعنى: لا تقولوا لمن أراد الانقياد والاستسلام للمسلمين ليست بمسلم.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى الانقياد والمسألة لمن استسلم وطلبه في القتال وكفّ يده، أو ألقى إلى المسلمين السلام، وهي تحية المسلمين، فذلك دليل على إسلامه ودخوله في الإسلام في الظاهر فلا يقتل.

^{٢٣٧} ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٣، ص ١٧٦.

^{٢٣٨} ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٢، ص ٩٢.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿السَّلْمُ﴾ بالألف دلالتها إلى التحية، وتتضمن ذلك الانقياد والاستسلام الذي هو معنى قراءة ﴿السَّلْمُ﴾ بحذف الألف، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، والله تعالى أعلم.

الموضع الثامن: قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ [النساء: ١٢٨].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿يُصْلِحَا﴾، فقرأها عاصم وحمة والكسائي وخلف ﴿يُصْلِحَا﴾ بياء مضمومة وسكون الصاد وكسر في اللام من غير ألف مع التخفيف، وقرأها الباقون ﴿يُصْلِحَا﴾ بفتح في الياء والصاد واللام وتشديد في الصاد وألف بعدها^{٢٣٩}. والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَيَصْلِحَا فَاضْمُ وَسَكْنٌ مُحَقَّقًا *** مَعَ الْقَصْرِ وَاكْسَرُ لَامُهُ ثَابِتًا تَلَا^{٢٤٠}.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿يُصْلِحَا﴾ بضم الياء والتخفيف من "أصلح"، والإصلاح يكون بين المتنازعين عند التشاجر، كما قال الله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقوله: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]، وقوله: ﴿أَوْ إِصْلَحْ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، وقوله: ﴿فَأَصْلَحْ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٨٢].

وإتيان ﴿صُلْحًا﴾ بعده ليس على المصدر، إنما هو اسم كالعطاء، فهو منصوب بـ ﴿يُصْلِحَا﴾ مفعول به كما تقول: أصلحت ثوبًا.

ويجوز أن يكون منصوبًا على مصدر فعل ثلاثي مضمَر تقديره: أن يصلحاً فيصلح ما بينهما صلحًا.

^{٢٣٩} ينظر: أبو الطيّب ابن غلبون، الإرشاد في القراءات، ص ٦٠٢. والهندي، الكامل، ص ٥٣٠.

^{٢٤٠} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤٨، بيت رقم [٦٠٨].

وقراءة ﴿يَصْلَحًا﴾ بفتح الياء والصاد مع التشديد والألف؛ لأنّ الفعل من اثنين الزوج والزوجة، وهما المذكوران في أول الكلام، فجاء الفعل من باب المفاعلة، التي تثبت للاثنتين، تصالح الرجلان يتصالحان، ثم أدغمت الياء في الصاد، ونصب ﴿صُلْحًا﴾ كنصبه في قراءة ﴿يُصْلِحًا﴾ على الوجهين، والمعروف في كلام العرب التصالح عند التنازع^{٢٤١}.

وذكر الرازي - رحمه الله تعالى - أنّ قراءة ﴿يَصْلَحًا﴾ من التصالح، و"يَصْلَحًا" في الأصل يتصالحا بمعنى يتوافقا، وهو أليق بهذا الموضع.

وانتصب ﴿صُلْحًا﴾ في هذه القراءة على المصدر وكان الأصل أن يقال: تصالحا، ولكنه ورد كما في قوله ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨]^{٢٤٢}.

والذي يظهر خلال ما سبق، أنّ القراءتين بمعنى واحدٍ، يستعمل الإصلاح والتصالح للصلح بين المتنازعين والمتشاجرين غير أنّ استعمال التصالح عند التنازع هو الأكثر في الاستعمال.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين أنهما يشيران إلى أهمية الصلح بين الزوجين وضرورة ذلك، فعلى كلا الطرفين الزوج والزوجة أن يسعى كل منهما إلى الصلح والتصالح، أو تتبادر الزوجة إلى الصلح لما في ذلك من مصلحتها.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿يَصْلَحًا﴾ بفتح الياء والتشديد، إشارتها إلى المفاعلة بين الطرفين الزوج والزوجة، كل منهما يتفاعل للصلح، فزيادة المبنى دلالة على المعنى، والعلم عند الله تبارك وتعالى.

الموضع التاسع: قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوِّمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوُلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

^{٢٤١} ينظر: مكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٣٩٨.

^{٢٤٢} ينظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١١، ص ٢٣٥.

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿تَلَوُوا﴾، فقرأها ابن عامر وحمزة ﴿تَلَوْا﴾ بلام مضمومة وواو ساكنة بعد اللام، وقرأها الباقون ﴿تَلَوُوا﴾ بسكون اللام وواوين بعد اللام، أولاهما بالضم والأخرى بالسكون^{٢٤٣}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَتَلَوُوا بِحَذْفِ الْوَاوِ الْأَوَّلَى وَلَا مَهْ *** فَضُمَّ سُكُونًا لَسْتَ فِيهِ مُجْهَلًا^{٢٤٤}.

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

وَفَاطِرٌ مَعَ نَزْلٍ وَتَلَوِيهِ سَمِّ حُم *** وَتَلَوُوا فِدًا تَعْدُوا أَتْلُ سَكِنٌ مُثَقَّلًا^{٢٤٥}.

توجيه القراءة:

أنّ قراءة ﴿تَلَوُوا﴾ بإسكان اللام وضم الواو أنّها من "لَوَى يَلْوِي" إذا أعرض، وأصل الكلمة "تَلَوِيُونَ" كَتَضَرِبُونَ، فَاسْتُثْقِلَتِ الضَّمَّةُ عَلَى الْيَاءِ فَحُذِفَتْ وَالتَّقَى سَاكِنَانِ: الْيَاءُ وَوَاوُ الضَّمِيرِ، فَحُذِفَ أَوَّلُهُمَا - وَهِيَ الْيَاءُ - وَضُمَّتِ الْوَاوُ الْمَكْسُورَةُ الَّتِي هِيَ الْعَيْنُ؛ لِأَجْلِ وَاوِ الضَّمِيرِ فَصَارَ "تَلَوُونَ"، وَتَصْرِيفُهُ كَتَصْرِيفِ "تَرْمُونَ". وَالْمَعْنَى: وَإِنْ تَلَوُوا أَلَسْتُمْ عَنْ شَهَادَةِ الْحَقِّ أَوْ حُكْمِ الْعَدْلِ.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: "هُوَ أَيُّ الْقَاضِي وَإِعْرَاضِهِ". وَأَيْضًا فَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَىَٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾، وَالْعَدْلُ هُوَ أَنْ تَتَّبِعَ الشَّيْءَ بِالْحَقِّ، وَضَدَهُ الْإِعْرَاضُ عَنْ الْحَقِّ^{٢٤٦}. وَلَوْ لَيْتَ فَلَانًا حَقَّهُ لَيَّا، إِذَا دَافَعْتَهُ وَمَطْلَتَهُ، وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ أَشْبَهَ بِمَا جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ؛ لِأَنَّهُ جَاءَ فِيهِ: إِنْ لَوَى الْحَاكِمُ فِي قَضِيَّتِهِ أَوْ أَعْرَضَ فَإِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِذَلِكَ^{٢٤٧}.

وقراءة ﴿تَلَوُوا﴾ بضم اللام وسكون الواو، ففيها ثلاثة أقوال:

^{٢٤٣} ينظر: ابن سوار، المستنير، ص ٥٢٢. وابن الباذش، الإقناع، ص ٣١٥.

^{٢٤٤} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤٩، بيت رقم [٦٠٩].

^{٢٤٥} ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٦، بيت رقم [٩٩].

^{٢٤٦} ينظر: مكّي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٣٩٩. السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٤، ص ١١٨.

^{٢٤٧} ينظر: الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ٣١٩.

الأول: أنَّ الكلمة من "لَوَى يَلْوِي" كقراءة ﴿تَلَوُوا﴾ بإسكان اللام، إلا أنَّ الواو المضمومة قُبِيتْ همزةً كُنحو: "أَجَوْه وَأُقِيتْ" ثم نُقِلَتْ حركةُ هذه الهمزة إلى الساكن قبلها وحذفت فصار "تَلُون". وهذا قول الفَرَّاء والزجاج وأحد قولَيْ أَبِي علي الفارسي رحمه الله تعالى.

الثاني: أنَّها من "لَوَى يَلْوِي" أيضًا، غير أنَّ الضمة اسْتُثْقِلَتْ على واو الأولى فنُقِلَتْ إلى اللام تخفيفًا، فالتقى ساكنان وهما الواوان، فحُذِفَت الأولى منهما، ويُنسب هذا القول إلى النحاس^{٢٤٨}، وفي هذين التخريجين نظرٌ؛ لأنَّ لام الكلمة قد حذفت أولًا فصار وَزْنُهُ: "تَفْعُوا" بحذف اللام، ثم حذفت العين ثانيًا فصار وَزْنُهُ "تَفُوا"، وذلك إجحاف بالكلمة.

الثالث: أنَّ هذه القراءة مأخوذة من "ولي يلي الولاية" بمعنى: وإنَّ وُلِّيْتُمْ إقامة الشهادة أو وُلِّيْتُمْ الأمر فتعدلوا عنه، وأصل الكلمة "تَوَلَّيُوا"، حذف الواو الأولى لوقوعها بين حرف المضارعة وكسرة، فصار "تَلَّيُوا" كَتَعَدُّوا وبابه، فاستثقلت الضمة على الياء ففُعِلَ بها ما تقدَّم في "تَلَّوُوا". وهذا القول أقوى وعليه الأكثر وأحد قولَيْ أَبِي علي الفارسي رحمه الله تعالى.

فدليل حمل هذه القراءة على "وَلَّيَ"، أنَّ بعده "أو تعرضوا"، فهو نقيض "تَلَّوُوا"؛ لأنَّ ولاية الشيء الإقبال عليه، ونقيضه الإعراض عنه، فإنما قيل لهم: "وإنَّ تَلَّوُوا الأمر فتعدلوا فيه أو تعرضوا عنه فلا تَلَّوْهُ ولا تعدلوا فيه إن وليتموه" فإنَّ الله كان بما تعملون خبيرًا، ولما كان مَنْ قرأ ﴿تَلَّوُوا﴾ بضم اللام معناه الإعراض؛ لأنَّ اللَّيَّ في الشيء العوج فيه، والعوج في الحق الإعراض عن إقامته، ف"تَلَّوُوا" بواوين في المعنى هو الإعراض.

فالقراءة بضم اللام تفيد معنيين الولاية ونقيضها الإعراض، والقراءة بواوين تفيد معنى واحد؛ لأنَّ اللَّيَّ هو الإعراض^{٢٤٩}.

والذي يتبيَّن خلال ما سبق من الكلام أنَّ قراءة ﴿تَلَّوُوا﴾ بضم اللام وسكون الواو، تفيد معنيين الولاية ونقيضها الإعراض. وقراءة ﴿تَلَّوُوا﴾ بإسكان اللام وضم الواو تفيد معنىً واحدًا وهو الإعراض.

^{٢٤٨} هو أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي، أبو جعفر النحاس المصري النحوي، صاحب المؤلفات في اللغة والقرآن وعلومه، المتوفى سنة (٣٣٧هـ). ينظر: القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج ١، ص ١٣٦.

^{٢٤٩} ينظر: مكِّي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٣٩٩.

وتتکامل دلالة معنى القراءتين في التحذير والتهديد عن العدول عن الحق في الحكم، والعدول عن الصدق في الشهادة، أو التثاقل في تمكين المحقّ من حقه وأداء الشهادة لطالبها، أو الميل إلى أحد الخصمين في القضاء والشهادة. أو الإعراض والامتناع من القضاء ومن أداء الشهادة والمماطلة في الحكم مع ظهور الحق، فإنّ الله خبير بأعمالكم يجازي كل واحد بما عمل ٢٥٠.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿تَلَوْرَ﴾ بإسكان اللام وضم الواو إفادتها التأكيد لمعنى الإعراض؛ لأنّ اللّی والإعراض بمعنى واحد، فهما لفظان لمعنى واحد ﴿وَإِنْ تَلَوْرَ﴾ أو تُعْرَضُوا﴾ كنحو قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠].

وقراءة ﴿تَلَوْرَ﴾ بضم اللام وسكون الواو على القول بأنّها من الولاية تفيد معنى جديداً، أي: وإنّ وُلِّيتُمْ إقامة الشهادة أو وُلِّيتُمْ القضاء فتعدّلوا عنه فإنّ الله خبير بأعمالكم. وعلى القول بأنّها من "اللّی" بمعنى الإعراض، تفيد التأكيد أيضاً لمعنى الإعراض، وعلى هذا تتفق القراءتان في معنى واحد وهو الإعراض، وعند إذن فلا أثر لزيادة المبنى على المعنى على القراءة الأخرى فيما يظهر للباحث، والله تعالى أعلم.

الموضع العاشر: قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا مُوسَىٰ سُلْطٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٥٣].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿أَنْ تُنَزِّلَ﴾، وقد سبق الكلام عليها في موضع التاسع من سورة البقرة.

٢٥٠ ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٥، ص ٢٢٨.

الموضع الحادي عشر: قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ١٥٤].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿تَعْدُوا﴾، فقرأها قالون ﴿تَعْدُوا﴾ بوجهين باختلاس حركة العين وتشديد الدال، وقرأها أبو جعفر ﴿تَعْدُوا﴾ بسكون العين وتشديد في الدال وهو الوجه الثاني لقالون، وقرأ ورش ﴿تَعْدُوا﴾ بفتح في العين وتشديد في الدال، وقرأها الباقون ﴿تَعْدُوا﴾ بسكون في العين وتخفيف الدال ٢٥١.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

بِالِإِسْكَانِ تَعْدُوا سَكَّنُوهُ وَحَقَّقُوا *** خُصُوصًا وَأَخْفَى الْعَيْنَ قَالُونَ مُسْهَلًا ٢٥٢.

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

وَفَاطِرٍ مَعَ نَزْلٍ وَتِلْوِيهِ سَمِّ حُمٍ *** وَتَلَوُوا فِدَا تَعْدُوا اتْلُ سَكَّنْ مُثَقَّلًا ٢٥٣.

توجيه القراءة:

أنّ قراءة ﴿تَعْدُوا﴾ بسكون العين وتخفيف في الدال من عدا يعدو، كنحو غزا يغزو، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ [الأعراف: ١٦٣] في هذه القصة.

وأصله: "تَعْدُوا" بواوين، الأولى لام الكلمة والثانية ضمير الفاعلين، فاستثقلت الضمة على لام الكلمة فحذفت فالتقى الساكنان، فحذف الأول وهي الواو الأولى، وبقيت واو الفاعلين، فوزنه: "تَفْعُوا"، وحجته قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَبْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٧]، فهو من العدوان أي تجاوز الحد.

٢٥١ ينظر: أبو علي المالكي، الروضة في القراءات، ج ٢، ص ٦٢٠. والصفافسي، غيث النفع، ص ١٨٢.

٢٥٢ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤٩، بيت رقم [٦١٢].

٢٥٣ ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٦، بيت رقم [٩٩].

وقراءة ﴿تَعْدُوا﴾ بفتح في العين وتشديد في الدال، أصلها: "تعدوا" فأدغم التاء في الدال لتقاربهما، ونقل حركتها إلى العين، ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ [البقرة: ٦٥]، والاعتداء افتعال من العدو، وهي هذه القصة بعينها، يقال: اعتدى على فلان، أي تجاوز حد الحق معه^{٢٥٤}.

وقراءة ﴿تَعْدُوا﴾ باختلاس حركة العين وتشديد في الدال؛ لأنها حركة عارضة أصلها "تعدوا"، فأدغم التاء في الدال بعد أن أُلقيت حركتها على العين، فاختلس حركة العين؛ ليخبر أنها حركة غير لازمة، ولم يُمكنه أن يسكن العين؛ لئلا يلتقي ساكنان: العين وأول المدغم، وكُره تمكين الحركة إذ ليست بأصل فيها، وحسن ذلك التشديد الذي في الكلمة لطولها. وقد قيل: إنما أخفيت الحركة إذ هي غير أصلية، وأتى هذا في هذه الكلمة سماعاً، وليس بأصل يقاس عليه في كل ما كان قد أُلقي عليه حركة ما بعده.

وقراءة ﴿تَعْدُوا﴾ بسكون العين وتشديد في الدال، فإنَّ المراد بها أيضاً لا تعدوا، فأدغم التاء في الدال لتقاربهما، ولم تُنقل حركة التاء إلى العين، بل ترك العين ساكنة، فاجتمع ساكنان الثاني منهما مدغم، وأكثر النحويين ينكرون جوازه، إلا أن يكون الأول منهما ألفاً نحو: "دابة وشابة"، وقد شُبِّه بالألف الواو والياء لاجتماعهما معه في كونهما حرف علة نحو: "مدَيِّقٌ ودُويِّبة"، فلما جَوَّزوا ذلك في الواو والياء في نحو هذا مع نقصان المد فيهما لم يمتنع أن يجوز في نحو ﴿تَعْدُوا﴾ و"يَخْطَفُ" مع عدم المد^{٢٥٥}.

ويتبيّن خلال ما سبق أنّ هذه القراءات بمعنى واحدٍ، ومعنى الآية على الوجهين كما ذكر الواحدي رحمه الله تعالى^{٢٥٦}: الأول: لا تعدوا باقتناص السمك فيه، يقال: عدا عليه أشدَّ العُدْوِ والعَدْوِ والعَدَاءِ والعُدْوَانِ، أي: ظلمه وجاوز الحد، ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدَاً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

^{٢٥٤} ينظر: ابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٤٣١. السمين الحلبي، الدر المنصون، ج ٤، ص ١٤١.

^{٢٥٥} ينظر: مكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤٠١. ابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٤٣١.

^{٢٥٦} هو علي بن أحمد بن محمد بن مثنوي، أبو الحسن، الواحدي المتوي، شيخ عصره في النحو والتفسير، صاحب التفاسير المشهورة: "البسيط" و"الوسيط" و"الوجيز"، المتوفى سنة (٤٦٨هـ). ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٣٠٣.

الثاني: لا تعدوا في السبت من العَدُوِّ بمعنى الحضر، والمراد النهي عن العمل والكسب يوم السبت، كأنّه قال لهم: اسكنوا عن العمل في هذا اليوم واقعدوا في بيوتكم فأنا رزاقكم^{٢٥٧}.

وتتكامل دلالة معنى هذه القراءات الأربعة أنّ كلها ترجع إلى معنى واحدٍ، وهو النهي عن الاعتداء ومجاوزة الحد، غير أنّ قراءتي التشديد تفيدان زيادة النهي والتحذير على الاعتداء، فالله سبحانه وتعالى نهى اليهود عن الاعتداء ومجاوزة الحد بأي صورة، وكذلك نهاهم عن الغلو في الاعتداء بأي حال من الأحوال.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءتي التشديد إفادتها المبالغة في المعنى، تفيدان زيادة النهي والتحذير على الاعتداء على قراءة التخفيف، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوّة اللفظ لقوّة المعنى، والله تعالى أعلم.

وهذه نهاية هذا المبحث، وقد تضمّن إحدى عشرة قراءةً من القراءات التي زاد مبنى الكلمة على القراءة الأخرى المتعلّق بالمعنى، أو تحوّل وزن الكلمة إلى أقوى منه في المعنى. وقد سعى الباحث إلى إبراز وجه التكامل بين القراءات، وبيان أثر دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى في هذه القراءات من سورة النساء.

^{٢٥٧} ينظر: علي بن أحمد بن محمد، أبو الحسن الواحدي النيسابوري، الشافعي، التفسير البسيط، تحقيق: مجموعة من الناس، (السعودية: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ)، ج٧، ص١٧٦.

المبحث الثاني: سورة المائدة

يسعى هذا المبحث إلى بيان أثر دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى في القراءات القرآنية الفرشية في سورة المائدة، التي زاد مبنى الكلمة على القراءة الأخرى المتعلق بالمعنى، أو تحوّل وزن الكلمة إلى أقوى منه في المعنى، حيث قام الباحث بدراسة عدد من المواضع في هذه السورة، الواحد تلو الآخر، على نحو ترتيب القراءات في القرآن الكريم، وذلك خلال كتب القراءات والتوجيه ومعاني القرآن وإعرابه وكتب التفسير واللغة وغير ذلك.

الموضع الأول: قوله تبارك وتعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿قَاسِيَةً﴾، فقرأها حمزة والكسائي ﴿قَاسِيَةً﴾ بياء مشددة من غير ألف، وقرأها الباقون ﴿قَاسِيَةً﴾ بالألف وياء مخففة^{٢٥٨}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

مَعَ الْقَصْرِ شَدِّدْ يَاءَ قَاسِيَةٍ شَفَا *** وَأَرْجِلُكُمْ بِالنَّصْبِ عَمَّ رِضًا عَلا^{٢٥٩}.

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

مِنْ أَجْلِ اكْسَرِ انْقُلْ أَذْ وَقَاسِيَةَ عَبْدٌ *** وَطَاغُوتَ وَلِيَحْكُمَ كَشْعَبَةٍ فُصِّلَا^{٢٦٠}.

توجيه القراءة:

^{٢٥٨} ينظر: عبد الوهاب بن محمد القرطبي أبو القاسم، المفتاح في اختلاف القراء السبعة المسمّين بالمشهورين، تحقيق: الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن، (دمشق: دار البشائر، ط ١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، ص ١٥٥. وسبط الخياط، المبهج، ج ٢، ص ٢٠٩.

^{٢٥٩} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٤٩، بيت رقم [٦١٥].

^{٢٦٠} ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٧، بيت رقم [١٠٠].

أَنَّ قِراءة ﴿قَسِيَّةً﴾ بالألف على وزن "فاعلة" من قسوة القلب كقول القائل: قسا قلبه فهو يقسو وهو قاس، وذلك إذا غلظ واشتدَّ وصار يابسًا صلبًا.

فالمعنى على هذه القراءة: لعنّا الذين نقضوا عهدنا ولم يفوا بميثاقنا من بني إسرائيل بنقضهم ميثاقهم الذي أخذوه، وجعلنا قلوبهم بسبب نقضهم الميثاق قاسيةً غليظةً يابسةً عن الإيمان بالله والتوفيق لطاعته، منزوعةً منها الرحمة والرفقة^{٢٦١}.

وحجة هذه القراءة أَنَّ ﴿قَسِيَّةً﴾ بالألف على وزن "فاعلة" قياسًا على قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٧٤]، وقوله: ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]، وقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَسِيَّةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢].

و"فعل" إنما يأتي اسم الفاعل منه على "فاعل"، في أكثر كلام العرب، وأيضا فإنّ "فعيلا" و"فاعلا" أخوان، نحو: رحيم وراحم، وعليم وعالم، لكن في "فعيل" معنى التكرير والمبالغة، و"فاعل" أكثر في الكلام من "فعيل" ومعنى "قاسية" غليظة بئنة عن الإيمان، قد نزعنا منها الرحمة والرفقة^{٢٦٢}.

وقراءة ﴿قَسِيَّةً﴾ بغير الألف على معنيين:

أحدهما: أنها بمعنى قراءة ﴿قَسِيَّةً﴾ بالألف من القسوة، و"فعيلة" و"فاعلة" أخوان، نحو: رحيم وراحم، عليم وعالم.

والثاني: أَنَّ "قسيّة" ليست بمعنى القسوة، وإنما القسيّة في هذا الموضع القلوب التي لم يخلص إيمانها بالله تعالى، ولكن يخالط إيمانها كفر كالدراهم القسيّة، وهي التي يخالط فضّتها غشٌّ من نحاس أو رصاص وغير ذلك.

و﴿قَسِيَّةً﴾ بغير الألف على "فعيلة" أبلغ في الذم من قراءة ﴿قَسِيَّةً﴾ بالألف على "فاعلة"، فوصف قلوب مَنْ حرّف كلام الله ومال عن الحق بأبلغ صفات القسوة أولى من غيره^{٢٦٣}؛ لأنّ في صيغة "فعيل" معنى التكرير والمبالغة. أو لأنّ قلوب الكفار وُصفت بالطبع

^{٢٦١} ينظر: ابن جرير، تفسير الطبري، ج ٨، ص ٢٤٩.

^{٢٦٢} ينظر: مكّي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤٠٧.

^{٢٦٣} ينظر: ابن جرير، تفسير الطبري، ج ٨، ص ٢٤٩. ومكّي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤٠٧.

عليها مثل الدرهم القسي أي المغشوش، وهو الذي يخالط فضته نحاس أو رصاص أو نحو ذلك^{٢٦٤}.

والذي يتبين خلال ما سبق أنّ القراءتين بمعنى واحدٍ، "فعيلة" و"فاعلة" كركية وزاكية، شهيدة وشاهدة، غير أنّ الوصف بالذم أو المدح بوزن "فعيلة" أبلغ وأكثر مبالغة من الوصف بـ"فاعلة". فالله تعالى وصف قلوب من حرّف كلامه ومال عن الحق بأبلغ صفات القسوة. وعلى معنى الثاني أنّ "قَسِيَّةً" بمعنى: رديئة مغشوشة، فالله عزّ وجل وصف قلوبهم بالطبع عليها؛ لأنّ إيمانهم يخالطه كفر كالدراهم القسية التي يخالط فضّتها غشّ فتكون فاسدةً، فكذلك قلوبهم.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في وصف حال قسوة قلوب بني إسرائيل وشدة قسوتها وبُعدها عن الإيمان بالله تعالى، فهي قلوب فاسدة يخالطها الكفر، كالدراهم القسية المغشوشة وصلبة قاسية، فلا يدخلها خير إلا الشر.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة هنا كان بتحويل وزن الفعل إلى أقوى منه في المعنى، من "فاعل" إلى "فعليل"، فقراءة ﴿قَسِيَّةً﴾ على وزن "فعيلة" تفيد تأكيد المعنى والمبالغة أكثر من قراءة ﴿قَسِيَّةً﴾ بالألف على وزن "فاعلة"، وقوة اللفظ لقوة المعنى، والله أعلم.

الموضع الثاني: قوله تبارك وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿رِسَالَتَهُ﴾، فقرأها أبو عمرو وحفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿رِسَالَتَهُ﴾ بغير ألف ونصب التاء على المفرد، وقرأها الباقون ﴿رِسَالَتِهِ﴾ بإثبات الألف بعد اللام وكسر التاء على الجمع^{٢٦٥}.

^{٢٦٤} ينظر: محمد سالم محيسن، القراءات وأثرها في علوم العربية. (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ج١، ص٥٠٩.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَبَا عَبَدَ اضْمُمُ وَأَخْفِضِ التَّاءَ بَعْدَ فُزْ *** رِسَالَتُهُ أَجْمَعُ وَأَكْسِرِ التَّاءَ كَمَا اعْتَلا صَفَا ٢٦٦.

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

وَرَفَعَ الْجُرُوحَ اعْلَمْ وَبِالنَّصْبِ مَعَ جَزْ *** اءِ نُؤَنَّ وَمِثْلِ ارْفَعِ رِسَالَاتٍ حَوْلَا ٢٦٧.

توجيه القراءة:

أنّ قراءة ﴿رِسَالَتُهُ﴾ بغير ألف ونصب التاء على المفرد، فالرسالة اسم للإرسال، وهو مصدر، والمصدر جنس، فوقوعه على الكثرة أصل فيه، فالرسالة على انفراد لفظها تدل على الكثرة وإن لم تُجمع، كما تدل عليها الألفاظ الموضوعية للجمع، ومما يدل على ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الْفُرْقَان: ١٤]. فوقع الثبور لما كان شائعاً على الجمع كما وقع على الواحد، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إِبْرَاهِيم: ٣٤] والنعم كثيرة، والمعدود لا يكون إلا كثيراً، لكن الواحد يدل على الجمع، وكذلك الرسالة تجوز أن تقع على الجمع.

وقراءة ﴿رِسَالَتِهِ﴾ بإثبات ألف بعد اللام وكسر التاء على الجمع، أنّه لما كان الرسل يأتي كل واحد بضروب من الشرائع المرسله معهم مختلفة، حسن جمعه ليدل على ذلك؛ إذ ليس ما جاءوا به رسالة واحدة، فحسن الجمع لما اختلفت الأجناس ولكثرة الرسل وكثرة ما أرسلوا به ٢٦٨.

وذكر السمين الحلبي - رحمه الله تعالى - أنّ وجه الجمع كونه صلى الله عليه وسلم بُعث بأنواع رسالة شتى كالتوحيد والأحكام على اختلاف أنواعها.

٢٦٥ ينظر: ابن فارس، التبصرة في القراءات الأئمة العشرة، ص ٢٣٢. النشّار، المکرز في ما تواتر من القراءات، ص ١٠١.

٢٦٦ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٠، بيت رقم [٦٢٣].

٢٦٧ ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٧، بيت رقم [١٠١].

٢٦٨ ينظر: مكّي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤١٥. وابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٤٤٧.

ووجه قراءة ﴿رِسَالَتِهِ﴾ بالإفراد فواضح؛ لأنَّ اسم الجنس المضاف يَعُمُّ جميع ذلك، كما جاء في قول الله تبارك وتعالى عن نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿أَبْلِغْكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٢]، وكما قال عن صالح عليه الصلاة والسلام: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩] على اعتبار المعنيين^{٢٦٩}.

ويظهر خلال ما سبق من الكلام أنَّ قراءة الجمع باعتبار أنَّ لكل واحد من الرسل رسالة، فناسب الجمع لذلك، وقراءة الإفراد باعتبار أنَّ الرسالة مصدر يدل على القلة والكثرة، وإن لم تُجمع كما تدل عليها الألفاظ المصوغة للجمع.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الدلالة على أنَّ القرآن الكريم كله رسالة الله إلى الخلق أجمعين، مشتمل على رسالات كثيرة مما سبقته ومهيمنًا عليها.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿رِسَالَتِهِ﴾ بإثبات ألف على الجمع، إفادتها للكثرة بأوضح الصيغة؛ لعدم احتمال غير الجمع عليها؛ لأنَّ لفظ الجمع في الموضع الذي يراد به الجمع أبين، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوَّة اللفظ لقوَّة المعنى، والله تعالى أعلم.

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٨٩].

القراءة:

^{٢٦٩} ينظر: السمين الحلي، الدر المصون، ج ٤، ص ٣٥٤.

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿عَقَّدْتُمْ﴾، فقرأها حمزة والكسائي وخلف وشعبة ﴿عَقَّدْتُمْ﴾ بالقصر والتخفيف، وقرأها ابن ذكوان ﴿عُقِدْتُمْ﴾ بالالف مع التخفيف، وقرأها الباقون ﴿عَقَّدْتُمْ﴾ بالتشديد من غير ألف ٢٧٠.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

صَفَا وَتَكُونُ الرَّفْعُ حَجَّ شُهُودُهُ *** وَعَقَّدْتُمْ التَّخْفِيفُ مِنْ صُحْبَةٍ وَلَا
وَيِ الْعَيْنِ فَاَمْدُ مُقْسِطًا فَجَزَاءُ نُو *** وَنُوا مِثْلُ مَا فِي خَفْضِهِ الرَّفْعُ ثَمَلًا ٢٧١.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿عَقَّدْتُمْ﴾ بالقصر والتخفيف، المراد بها العقد مرة واحدة؛ لأنَّ مَنْ حلف مرة واحدة لزمه البرّ أو الكفارة.

وقراءة ﴿عُقِدْتُمْ﴾ بالالف مع التخفيف، على جعل "فاعل" المراد به المرة الواحدة، فهو فعل الواحد كعافاه الله، فتكون في المعنى بمنزلة قراءة ﴿عَقَّدْتُمْ﴾ بغير الف مع التخفيف. ويجوز أن يراد بها اثنان على باب المفاعلة، فتكون اليمين من كل واحد من الحالفين المتعاهدين، فالمعنى على هذا القول تكون اليمين من كل واحد للآخر على أمر عقده، وعلى المعنى الأول تكون اليمين من واحد على فعل يفعله، أو على ترك يتركه.

وقراءة ﴿عَقَّدْتُمْ﴾ بالتشديد من غير ألف، المراد بها تكثير الفعل على معنى: عقد بعد عقد، أو يكون أراد تكثير العاقدين للأيمان بدلالة قوله: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ﴾ فخطب جماعة، أو يكون التشديد لوقوع لفظ الأيمان بالجمع بعده، فكأنه عقد يمين بعد عقد، فالتشديد يدل على كثرة الأيمان، ولو كان بعده اليمين بالتوحيد لكان حجة للتخفيف. وليس المراد بالتشديد أنَّ الكفارة لا تلزم إلا مَنْ كرّر الأيمان، فيحتاج ضرورة إلى التشديد، وتكرير الأيمان يوهم الكفارة لا تلزم إلا مَنْ كرّر اليمين، فإذا لزم الكفارة في اليمين الواحدة، كانت في الأيمان المكررة على شيء بعينه ألزم وأكد.

٢٧٠ ينظر: الحسن بن علي بن إبراهيم أبو علي الأهوازي، الوجيز في شرح قراءات القراءة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة، تحقيق: دريد حسن أحمد، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٢م)، ص ١٦٧. والصفافسي، غيث النفع، ص ٢٠٠.

٢٧١ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٠، بيت رقم [٦٢٤].

فالتخفيف فيه إلزام الكفارة وإن لم يكرّر الحلف^{٢٧٢}، وفيه رفع للإشكال. فالتشديد فيه إلزام الحالفين الكفارة على عددهم، وفيه إيهام ترك الكفارة عمّن لم يكرّر اليمين^{٢٧٣}، وهذا الإشكال يزول بقراءة التخفيف.

وأضاف السمين الحلبي -رحمه الله تعالى - أوجهًا لقراءة التشديد ﴿عَقَّدْتُمُ﴾ قد تحتمله القراءة فمنها:

الأول: أنّها تفيد التكرير؛ لأنّ المخاطب به جماعة.

والثاني: أنّها بمعنى المجرد أي مثل قراءة ﴿عَقَّدْتُمُ﴾ بالتخفيف كنحو: قدّر وقدّر.

والثالث: أنّها تدل على تأكيد اليمين نحو: "والله الذي لا إله إلا هو".

والرابع: أنّها تدل على تأكيد العزم بالالتزام.

الخامس: أنّها عوض من الألف في القراءة الأخرى، ولا يجوز أن يكون لتكرير اليمين فإنّ الكفارة تجب ولو بمرة واحدة^{٢٧٤}.

وذهب بعض العلماء بأنّ هذه القراءات كلها بمعنى واحد. التضعيف والمفاعلة معناهما

مجرد الفعل بدليل قراءة ﴿عَقَّدْتُمُ﴾ بغير الألف والتخفيف، والقراءات يبيّن بعضها بعضًا^{٢٧٥}.

^{٢٧٢} وعلى هذا فلا اعتبار إلى تَوْهَم أنّ الكفارة لا تجب بالحلف مرة واحدة حتى يكرّر الحلف. وهو قول أبي عبيد: "التشديد للتكرير مرة من بعد مرة، ولست آمن أن توجب هذه القراءة سقوط الكفارة في اليمين الواحدة؛ لأنّها لم تكرر". ولو سلم هذا الوهم يردّ من وجهين: الأول: أنّ بعضهم قال: عقد بالتخفيف والتشديد واحد في المعنى. الثاني: هب أنّها تفيد التكرير كما في قوله: ﴿وَعَلَقْتَ الْأَبْؤُوبَ﴾ [يوسف: ٢٣] إلا أنّ هذا التكرير يحصل بأن يعقدها بقلبه ولسانه، ومتى جمع بين القلب واللسان فقد حصل التكرير أما لو عقد اليمين بأحدهما دون الآخر لم يكن معقداً. ينظر: الواحدي، التفسير البسيط، ج ٧، ص ٥٠١.

^{٢٧٣} ينظر: مكّي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤١٧.

^{٢٧٤} ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٤، ص ٤٠٣.

^{٢٧٥} وهو قول الشنقيطي صاحب أضواء اليان. ينظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (بيروت: دار الفكر، د. ط، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ج ١، ص ٤٢٠.

والذي يظهر في هذه القراءات، أنّها ليست بمعنى واحدٍ، فقراءة ﴿عَقَّدْتُمْ﴾ بالتخفيف تفيد إلزام الكفارة وإن لم يكرّر الحلف، وفيها رفع اشكال أنّ الكفارة لا تلزم إلا إذا تكرر الحلف.

وقراءة ﴿عُقِّدْتُمْ﴾ بالألف مع التخفيف كقراءة ﴿عَقَّدْتُمْ﴾ بغير الألف في المعنى، كنحو طارقت الباب. ويجوز أن يراد بها اثنان فأكثر على المفاعلة، فتكون اليمين من كل واحد من الحالفين المتعاهدين.

وقراءة ﴿عَقَّدْتُمْ﴾ بالتشديد، تفيد إلزام الحالفين الكفارة على عددهم، على اعتبار معنى عقد بعد عقد، أو يكون المراد تكثير العاقدين للأيمان بدلالة ما قبله من السياق وهو في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ﴾ فهو خطاب لجماعة، وكذا ما بعده: ﴿عَقَّدْتُمْ الْآيْمَنَ﴾ لوقوع لفظ الأيمان بالجمع بعده أيضًا.

وتتكمال دلالة معنى هذه القراءات في بيان أنّ الأيمان منعقدة، سواء عقدها الحالف مرة واحدة، وهو مقتضى قراءة التخفيف، أو كررها ووكّدها، وهو مقتضى قراءة التضعيف، أو تواتق بها مع شركائه ونظرائه، فكان عقدها اشتراكًا بين اثنين، وهي قراءة ﴿عُقِّدْتُمْ﴾ بالألف، فكل ذلك يوجب الكفارة^{٢٧٦}.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿عَقَّدْتُمْ﴾ بالتشديد، إفادتها تكثير معنى الفعل، وإلزام الحالفين الكفارة على عددهم، على اعتبار معنى عقد بعد عقد، أو يكون المراد تكثير العاقدين للأيمان بدلالة السياق.

وقد تفيد قراءة التشديد التوكيد باعتبار أنّ العقد باللسان والقلب، لا أنّ ذلك للتكرار اللساني كما توهمه البعض، فقراءة التشديد تفيد التوكيد على حصول القصد جزمًا وتحققه يقينًا. وقراءة التخفيف تفيد عقد اليمين وتحقيق النية. وكذلك على قراءة ﴿عُقِّدْتُمْ﴾ بالألف على أنّ المفاعلة على بابها تفيد قراءة ﴿عَقَّدْتُمْ﴾ بالتشديد المبالغة في فعل عقد. فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى. وعلى القول بأنّ هذه القراءات كلها بمعنى واحدٍ، لا أثر لزيادة المبنى على المعنى. والله تعالى أعلم.

^{٢٧٦} ينظر: محمد حبش، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم، ص ٣٥٨.

الموضع الرابع: قول الله تبارك وتعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْغُبُورَةَ حَرَامًا لِلنَّاسِ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقُلُوبَ﴾ [المائدة: ٩٧].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿قِيَمًا﴾، فقرأها ابن عامر ﴿قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ بغير الألف، وقرأها الباقون ﴿قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ بالألف ٢٧٧.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَكَفَّارَةٌ نَوْنٌ طَعَامٌ بَرْفَعُ حَفٌّ *** ضِهْ دُمٌ غَنَى وَأَقْصُرُ قِيَامًا لَهُ مُلَا ٢٧٨.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ بالألف، أنَّه مصدر "قام قيام" على وزن "فَعَال" كالصيام، فالتقدير جعل الله حج الكعبة أو قصد الكعبة قيامًا لمعاش الناس وأمثالهم في سكونهم بألا خوف عليهم ولا أذى من أحد، وكذلك جعل الأشهر الحرم لا يؤذيهم فيها أحد بقتال ولا بغارة. وقراءة ﴿قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ بغير الألف، مصدر "قام" على وزن "فَعَل" مثل "شَبَعَ". كما تقدّم في أحد الأوجه المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْثِرُوا عَلَى الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ [النساء: ٥] على القراءة بغير الألف ٢٧٩. وكان حقه ألا يعتلّ كـ"الحول والعور"، لكن أعلّ لاعتلال فعله ٢٨٠.

وقيل إنما أعلّ واوه فصارت ياءً لمناسبة الياء بالكسرة، ولكن هذا القلب نادر في المصادر التي هي على وزن "فَعَل" الواويّ العين، وإثبات هذا المصدر للكعبة من الإخبار بالمصدر على المبالغة، وهو إسناد مجازي، فالكعبة لما جعلها الله سببًا لأحكام شرعية سابقة

٢٧٧ ينظر: أبو معشر الطبري، التلخيص في القراءات الثمان، ص ٢٥١. وأبو العز القلانسي، إرشاد المبتدي، ص ٢١١.

٢٧٨ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٠، بيت رقم [٦٢٦].

٢٧٩ أعدت الكلام على هذه القراءة هنا لاختلاف المعنى وقراءتها.

٢٨٠ ينظر: مكّي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤١٩.

صارت صلاحًا لأهل مكة وغيرهم، فقامت بها مصالحهم، وجُعِلَت الكعبة هي القائمة لهم؛ لأنَّها سبب قيام مصالحهم^{٢٨١}.

والمعنى: أي جعل الله الكعبة قيامًا لمعايش الناس ومصلحتهم باتساع الرزق عليهم إذ جعلها الله تعالى مقصودة من جميع الآفاق، وكانت مكة لا زرع ولا ضرع. وقيل بامتناع الإغارة في الحرم، وقيل بسبب صيرورتهم أهل الله تعالى، فكل أحد يتقرَّب إليهم، وقيل بما يقام فيها من المناسك وفعل العبادات، وقيل: يأمن من توجَّه إليها، وقيل بعدم أذى مَنْ أخرجوه من جرِّ جريرة ولجأ إليها، وقيل ببقاء الدين ما حُجَّتْ واستُقبِلَتْ.

وقال عطاء رحمه الله تعالى^{٢٨٢}: "لو تركوه عامًا واحدًا لم ينظروا ولم يؤخِّروا". ولا يبعد حمله على جميع الوجوه؛ لأنَّ قوام المعيشة بكثرة المنافع وبدفع المضارِّ وبحصول الجاه والرئاسة وبحصول الدين، والكعبة سبب لحصول جميع هذه الأقسام^{٢٨٣}.

والذي يظهر أنَّ القراءتين بمعنى واحدٍ، القيم والقيام واحد يوصف به الذي يقوم بالمصالح، وهما مصدران وُصف بهما الكعبة، أي جعل الله الكعبة سببًا وانتعاشًا لهم في أمر دينهم ودنياهم، ونحوضًا إلى أغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من أمر حجبهم وعمرتهم وتجارهم وأنواع منافعهم ومصلحتهم.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في تأكيد أهمية الكعبة، أنها سبب انتعاش لهم في أمر دينهم ودنياهم، ونحوضهم إلى أغراضهم ومقاصدهم في معاشهم لما يتم لهم من أمر دينهم وتجارهم وأنواع منافعهم ومصلحتهم.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿قِيَمًا﴾ بالألف إطلاقها للكعبة اسم المُسَبَّب على السَّبَب على سبيل المبالغة، يعني كأنَّ هذه الكعبة نفس استقامة الناس وابتغاء معاشهم، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، والعلم عند الله تبارك وتعالى.

^{٢٨١} ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٧، ص ٥٦.

^{٢٨٢} هو عطاء بن أبي رباح بن أسلم، أبو محمد القرشي مولاهم المكي أحد الأعلام، من أعلم الناس بمناسك الحج، المتوفى سنة (١١٥هـ). ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٢٢.

^{٢٨٣} ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٤، ص ٣٧٣.

الموضع الخامس: قوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: ١٠١].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿يُنَزَّلُ﴾، وقد سبق الكلام عليها في موضع التاسع من سورة البقرة.

الموضع السادس: قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِن عُنِيَ عَلَىٰ أَكْثَمَا اسْتَحَقَّ إِنَّمَا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلِينَ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتِيهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ١٠٧].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ هنا في سورة المائدة فقط. فقرأها حمزة وخلف ويعقوب وشعبة ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ بتشديد في الواو وكسر اللام بعدها وفتح النون على الجمع، وقرأها الباقون ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ بسكون الواو وفتح في اللام وكسر النون على التثنية^{٢٨٤}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَضَمَّ اسْتَحَقَّ افْتَحَ لِحَفْصٍ وَكَسَرَهُ *** وَفِي الْأَوَّلِينَ الْأَوَّلِينَ فَطَبَّ صِلَا^{٢٨٥}.

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

مَعَ الْأَوَّلِينَ اضْمُمْ عُيُوبَ عُيُونٍ مَعَ *** جُيُوبٍ شُيُوخًا فِدْ وَيَوْمَ ارْفَعَ الْمَلَا^{٢٨٦}.

توجيه القراءة:

^{٢٨٤} ينظر: مكي بن طالب، التبصرة في القراءات السبع، ص ٤٨٨. وأبو العلاء الهمداني، غاية الاختصار، ص ٤٧٤.

^{٢٨٥} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٠، بيت رقم [٦٢٧].

^{٢٨٦} ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٧، بيت رقم [١٠٢].

أَنَّ قِرَاءَةَ ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ بالتشديد وكسر اللام على الجمع، بمعنى جمع "أَوَّل"، وتقديرها: من الأولين الذين استحق عليهم الإيصاء أو الإثم، وإنما قيل لهم الأولين؛ لتقدم ذكرهم في أول القصة وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦] ٢٨٧.

وقراءة ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ بسكون الواو وفتح في اللام على تشنية "أَوَّلَى"، أي: أولى وأحق بالشهادة على وصية الميت، وقيل: معناه أولى بالميت من غيره ٢٨٨.

وذكر الرازي - رحمه الله تعالى - أنما وصفهما بأوليان لوجهين:

الأول: أنَّ "الأوليين" بمعنى أقربان الميت.

والثاني: يحتمل أن يكون معنى "الأوليين" أي باليمين؛ لأنَّ الوصيين قد ادعيا أنَّ الميت قد باع إناء الفضة، فانتقل اليمين بذلك إلى موالي الميت؛ لأنَّ الوصيين ادعيا أنَّ مورثهما باع الإناء وهما أنكرا ذلك، فيكون اليمين حقًا لهما، كما أنَّ إنسانًا أقرَّ بدين لآخر، ثم ادعى أنَّه قضاؤه، فيحكم بردَّ اليمين إلى الذي ادعى الدين أولًا؛ لأنَّه صار مدعى عليه أنَّه قد استوفاه ٢٨٩.

والذي يظهر في معنى القراءتين أنَّ قراءة ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ على التشنية، فلمعنى الاسم الذي في قوله: ﴿فَأَخْرَجَ يَقُومَانِ﴾، وقراءة الجمع تكون ردًّا على قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ﴾ فهو على الجمع.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة على أنَّ الشاهدين الآخرين غير مَنْ وُجد عندهما خيانة يقومان مقام هذين الخائنين، وهذان الشاهدان يكونان من أهل الميت، الذين هم أولى وأحقُّ به من غيرهم سواء اثنان منهم أو أكثر من أقرباء الميت ٢٩٠.

٢٨٧ وقال الألوسي رحمه الله تعالى: "والأولين جمع أول المقابل للآخر، وهو مجرور على أنَّه صفة "الَّذِينَ" أو بدل منه أو من ضمير "عَلَيْهِمْ" أو منصوب على المدح، ومعنى الأولوية التقدم على الأجانب في الشهادة. وقيل: التقدم في الذكر لدخولهم في ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ﴾". محمود بن عبد الله الحسيني شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ)، ج ٤، ص ٤٩.

٢٨٨ ينظر: مكِّي بن أبي طالب، الكشف، ح ١، ص ٤٢٠.

٢٨٩ ينظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٢، ص ٤٥٥.

٢٩٠ ينظر: سنبل وزملاءه، الإعجاز في القراءات القرآنية، ج ١، ص ٢٦٩.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ بالتشديد إفادة الجمع، وقراءة ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ بسكون الواو وفتح اللام على التثنية، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى، والعلم عند الله تبارك وتعالى.

الموضع السابع: قوله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكُرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَتِكَ إِذْ أُتِدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمتي ﴿الطَّيْرُ﴾ معرفة، و﴿طَيْرًا﴾ منكرة. فقرأ أبو جعفر ﴿الطَّيْرُ﴾ و﴿طَيْرًا﴾ في الموضعين بالألف بعدها همزة مكسورة على الإفراد، ووافقه نافع ويعقوب في ﴿طَيْرًا﴾ منكرة في الموضعين. وقارهما الباقون ﴿الطَّيْرُ﴾ و﴿طَيْرًا﴾ بسكون الياء من غير ألف ولا همز على الجمع في كليهما^{٢٩١}.

وقد سبق الكلام عليها في موضع الثاني من سورة آل عمران.

الموضع الثامن: قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠].

ونظيره في سورة يونس قول الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [يونس: ٢].

ونظيره في سورة هود قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [هود: ٧].

^{٢٩١} ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص ١٦٤. وأبو علي الأهوازي، الوجيز، ص ١٦٨.

ونظيره في سورة الصف قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يٰبَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصّف: ٦].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿سِحْرٌ﴾ في سورة المائدة ويونس وهود والصف، فقرأها حمزة والكسائي وخلف ﴿سُحْرٌ﴾ بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء في الجميع، ووافقهم ابن كثير وعاصم في موضع يونس، وقرأها الباقون ﴿سِحْرٌ﴾ بسين مكسورة وسكون في الحاء من غير ألف ٢٩٢.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

جُيُوبٌ مُنِيرٌ دُونَ شَلٍّ وَسَاحِرٌ *** بِسِحْرٍ هَمَا مَعَ هُودَ وَالصَّفِّ شَمَلًا ٢٩٣.
وقوله أيضًا:

نُقْصِلُ يَا حَقِّ غُلًّا سَاحِرٌ ظُبِي *** وَحَيْثُ ضِيَاءٌ وَافَقَ الْهَمَزُ فُنُبَلًا ٢٩٤.

توجيه القراءة:

أنّ قراءة ﴿سِحْرٌ﴾ بغير الألف، إشارة إلى ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبر الله عنهم أنهم جعلوا ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم سحرًا. ويجوز أن تكون الإشارة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وفي الكلام حذف المضاف، أي: إنّ هذا إلا ذو سحر، فتكون مثل القراءة بالألف، ومثل هذا الحذف كثير في القرآن. وقراءة ﴿سُحْرٌ﴾ بالألف، إشارة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبر الله عنهم أنهم قالوا: إنّ هذا إلا ساحر، فأخبر عن الاسم باسم الفاعل وهو بابه.

٢٩٢ ينظر: ابن الفخّام، كتاب التجريد لبغية المريد في القراءات السبع، ص ٢١٥. وابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٢٥٦.

٢٩٣ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٠، بيت رقم [٦٢٧].

٢٩٤ المصدر نفسه، ص ٥٩، بيت رقم [٧٤٢].

ويجوز أن يكون "ساحر" بمعنى سحر؛ لأنّ الاسم قد يقع موضع المصدر، كقولهم: عائداً بالله من شرّها، أي: عياداً، فتكون القراءة بالألف كالقراءة بغير ألف^{٢٩٥}.

ويرى السمين الحلبي - رحمه الله تعالى - أنّ الإشارة تحتل أن تكون إلى ما جاء به عيسى عليه السلام من البينات أي: ما هذا الذي جاء به من الآيات الخوارق إلا سحر. أو تكون الإشارة إلى عيسى عليه السلام، أي على جعله هو نفس السحر على وجه المبالغة كنعو: "رجلٌ عدلٌ"، أو على حذف مضاف أي: إلا ذو سحر.

واستدرك السمين الحلبي - رحمه الله - على مكي بن أبي طالب - رحمه الله - أنّ الإشارة يراد بها نبينا صلى الله عليه وسلم، وكيف يكون المراد بها النبي صلى الله عليه وسلم وهو لم يكن في زمن عيسى - عليه السلام - والحواريين حتى يشيروا إليه إلا بتأويل بعيد^{٢٩٦}. والذي ذهب إليه السمين - رحمه الله تعالى - هو الذي يؤيده السياق، وما ذهب إليه مكي بن أبي طالب - رحمه الله تعالى - يكون صواباً في موضع سورة يونس عند قوله تعالى: ﴿قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنَّ هٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس: ٢]، فهذه الآية مثل التي هنا في اختلاف القراءات لكنّ هذه المراد بها النبي صلى الله عليه وسلم كما يفيد السياق، ومثله في سورة هود عند قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [هود: ٧].

وأما قراءة ﴿سِحْرٌ﴾ بالألف، تحتل الوجهين:

إما أن تكون قراءة ﴿سِحْرٌ﴾ بالألف اسم فاعل، والمشار إليه عيسى عليه والسلام. أو تكون مصدرًا، كقولهم: عائداً بك وعائداً بالله من شرّها، والمشار إليه ما جاء به عيسى عليه السلام من البينات والإنجيل، وعلى هذا تكون قراءة ﴿سِحْرٌ﴾ بالألف كقراءة ﴿سِحْرٌ﴾ بغير الألف. كما ذكره مكي رحمه الله، إلا أنّ الواحدي - رحمه الله تعالى - ذهب إلى أنّ القراءتين حسنٌ لاستواء كلّ واحد منهما قد تقدّم ذكره، غير أنّ الاختيار "سحر" لاحتمال وقوعه على الحدث والشخص.

^{٢٩٥} ينظر: مكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤٨٥.

^{٢٩٦} ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٤، ص ٤٩٧.

ووقوعه على الحدث فسهل كثير، ووقوعه على الشخص يريد ذو سحر كما جاء قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ﴾ [البقرة: ١٧٧] أي ذا البر، وقالوا: إنما أنت سيرٌ وما أنت إلا سيرٌ، كقول الخنساء^{٢٩٧}:

تَرْتَعُ مَا عَقَلْتُ حَتَّى إِذَا ادَّكَّرْتُ *****
فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ
أي: ذاتُ إقبالٍ وإدبارٍ.

والمصدر إذا أُطلق على الشخص يدل على المبالغة نحو: "رجلٌ عدلٌ"، فيجوز أن يراد بسحر ذا سحر، ولا يجوز أن يكون المراد بساحر السحر، وقد جاء فاعل ويراد به المصدر في حروف قليلة نحو: عائداً بالله من شره، أي: عياداً، ولم تصل هذه الحروف من الكثرة حتى يقاس عليها^{٢٩٨}.

والذي يتّضح خلال ما سبق أنّ قراءة ﴿سِحْرٌ﴾ بغير الألف، الإشارة تكون إلى الحدث أي ما جاء به. وقراءة ﴿سُحْرٌ﴾ بالألف، الإشارة تكون إلى الشخص الآتي، أي ما أنت إلا ساحر مبین، وكل منهما الحدث والشخص تقدّم ذكره في بداية الآية. وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى أنّ الكفار وصفوا عيسى عليه الصلاة والسلام والذي جاءهم به من الآيات البينات والمعجزة الواضحة أنّ كلّ سحر فهو ساحر يسحر عليهم.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في القراءتين هنا بتحويل وزن القراءة إلى أقوى منه، فقراءة ﴿سِحْرٌ﴾ بغير الألف على المصدر، تتضمن قراءة ﴿سُحْرٌ﴾ بالألف على اسم الفاعل؛ لأنّ المصدر إذا أُطلق على الشخص يدل على المبالغة نحو: "رجلٌ عدلٌ"، فيجوز أن

^{٢٩٧} هي صحابية جليّة، اسمها ثُمّاضر بنت عمرو بن الحارث السلميّة، ولقبها الخنساء، الشاعرة، أجمع أهل العلم بالشعر أنّه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها. وفدت على رسول الله صلّى الله عليه وسلم مع قومها، فكان يستنشدُها ويعجبه شعرها، المتوفّية سنة (٢٤هـ). علي بن أبي الكرم ابن الأثير، عزّ الدين، أبو الحسن الشيباني، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ج٧، ص٨٩. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٢٤٠.

^{٢٩٨} الواحدي، التفسير البسيط، ج٧، ص٥٨٩. السمين الحلبي، الدر المصنوع، ج٤، ص٤٩٧. وأصل الكلام منقول من أبي علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج٣، ص٢٧١.

يراد بسحر ذا سحر، ولا يجوز أن يُراد بساحر السحر، فقوة اللفظ لقوة المعنى. والنقص في وزن الكلمة هو الذي أفاد زيادة المعنى هنا.

وقد يأتي الفاعل ويراد به المصدر قليلاً، نحو: عائداً بالله من شره، أي: عياداً، وعلى هذا يستويان في المعنى، والأول أظهر لكثرتة في اللغة، والله تعالى أعلم.

الموضع التاسع: قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ١١٢].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿يُنْزِلُ﴾، وقد سبق الكلام عليها في موضع التاسع من سورة البقرة.

الموضع العاشر: قوله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿مُنْزِلُهَا﴾، فقرأها نافع وأبو جعفر وابن عامر وعاصم ﴿مُنْزِلُهَا﴾ بالتشديد، وقرأها الباقون ﴿مُنْزِلُهَا﴾ بالتخفيف^{٢٩٩}.

وَمُنْزِلُهَا التَّخْفِيفُ حَقٌّ شِفَاؤُهُ *** وَخُفِّفَ عَنْهُمْ يُنْزِلُ الْغَيْثَ مُسَجَّلاً^{٣٠٠}.

توجيه القراءة:

^{٢٩٩} ينظر: ابن مهران، الغاية في القراءات العشر، ص ١٤٢. ابن بليمة، تلخيص العبارات، ص ٨٦.

^{٣٠٠} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٣٨، بيت رقم [٤٦٨ - ٤٧٠].

أَنَّ قِرَاءَةَ ﴿مُنْزِلُهَا﴾ بالتخفيف، أَمَّا مِنْ أَنْزَلَ يَنْزِلُ فَهُوَ مَنْزِلٌ، لِمُنَاسِبَتِهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ [المائدة: ١١٤]، فقال: ﴿إِنِّي مُنْزِلُهَا﴾ فيكون جوابًا لسؤالهم.

وقراءة ﴿مُنْزِلُهَا﴾ بالتشديد، أَمَّا مِنْ نَزَلَ يَنْزِلُ فَهُوَ مَنْزِلٌ، وَنَزَلَ وَأَنْزَلَ قَدْ اسْتَعْمَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَوْضِعَ الْآخَرِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٣]، وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١]، وقال تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٤]، وقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الْفُرْقَان: ١]، فكل واحد من اللفظين يستعمل في موضع الآخر ٣٠١.

وذكر أبو منصور الأزهري - رحمه الله تعالى - أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: نَزَّلْتُ الْقَوْمَ مَنَازِلَهُمْ، وَأَنْزَلْتُهُمْ مَنَازِلَهُمْ بِمَعْنَى وَاحِدٍ. وَقَدْ يَسْتَعْمَلُ التَّشْدِيدُ فِيمَا يَتَكَرَّرُ وَيَكْثُرُ الْعَمَلُ بِهِ، وَيَخْفَفُ فِيمَا لَا يَكْثُرُ وَلَا يَتَكَرَّرُ ٣٠٢.

وعند الألوسي رحمه الله تعالى ٣٠٣ أَنَّ مَعْنَى قِرَاءَةِ التَّشْدِيدِ ﴿مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ﴾، أَي مَرَاتٍ عَدِيدَةٍ كَمَا يَشِيرُ إِلَيْهِ صِيغَةُ التَّفْعِيلِ، وَوُرُودُ الْإِجَابَةِ مِنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَذَلِكَ مَعَ كَوْنِ الدُّعَاءِ مِنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِصِيغَةِ الْأَفْعَالِ لِإِظْهَارِ كَمَالِ اللَّطْفِ وَالْإِحْسَانِ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ مَرَاعَاةٍ مَا وَقَعَ فِي عِبَارَةِ السَّائِلِينَ، وَفِي تَصْدِيرِ الْجُمْلَةِ بِكَلِمَةِ التَّحْقِيقِ وَجَعَلَ خَبَرَهَا اسْمًا، تَحْقِيقَ لِلْوَعْدِ وَإِذْ بَانَ أَنَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْجَزٌ لَهُ لَا مُحَالَةَ وَإِشْعَارٌ بِالِاسْتِمْرَارِ ٣٠٤. والظاهر أَنَّ الْقِرَاءَتَيْنِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، غَيْرَ أَنَّهُ يَسْتَعْمَلُ التَّشْدِيدَ فِيمَا يَتَكَرَّرُ وَيَكْثُرُ، وَالتَّخْفِيفَ فِيمَا لَا يَكْثُرُ وَلَا يَتَكَرَّرُ.

٣٠١ ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٣، ص ٢٨٢.

٣٠٢ ينظر: الأزهري، معاني القراءات، ج ١، ص ١٦٧.

٣٠٣ هو محمود بن عبد الله، الألوسي البغدادي مفتي بغداد، خاتمة المحققين من أعلام المشرق، صاحب التفسير المسمى روح المعاني وغيره من المؤلفات، المتوفى سنة (١٢٧٠هـ). محمد عبد الحَيِّ بن عبد الكبير الحسيني الإدريسي الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار الغرب

الإسلامي، ط ٢، ١٩٨٢م)، ج ١، ص ١٤٠.

٣٠٤ ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج ٤، ص ٥٩.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى أنّ الله أجاب دعائهم، سينزل عليهم ما طلبوه، ويكرّر لهم إنزال مطلوبهم مرات عديدة.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿مُنَزَّلَهَا﴾ بالتشديد، إفادتها المبالغة في المعنى والتكرير في وقوع الفعل، كما تفيد ذلك صيغة التفعيل، فدلالة زيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوّة اللفظ لقوّة المعنى، والعلم عند الله تعالى.

وبهذا انتهى هذا المبحث ولله الحمد والمِنَّة، وقد حوى هذا المبحث عشرة مواضع من القراءات في سورة المائدة، التي زاد مبنى الكلمة بالألف أو بالثقل والتخفيف، أو التي تحوّل مبناها إلى الأقوى على القراءة الأخرى، المتعلّق بالمعنى في كلمة واحدة كما تمّ ذكره في حدود البحث.

وقد سعى الباحث - قدر المستطاع - في هذا المبحث بيان وجه التكامل بين هذه القراءات وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة، وبالله التوفيق والسداد.



المبحث الثالث: سورة الأنعام

تناول هذا المبحث أثر دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى في القراءات القرآنية الفرشية في سورة الأنعام، التي زاد مبنى الكلمة على القراءة الأخرى المتعلق بالمعنى، أو تحوّل وزن الكلمة إلى أقوى منها في المعنى، ويقوم الباحث بدراسة المواضع في هذه السورة، الواحد تلو الآخر، وفق ترتيب القراءات وإيرادها في القرآن الكريم.

الموضع الأول: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿يُكَذِّبُونَكَ﴾، فقرأها نافع والكسائي ﴿يُكَذِّبُونَكَ﴾ بالتخفيف، وقرأها الباقون ﴿يُكَذِّبُونَكَ﴾ بالتشديد^{٣٠٥}.
والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَيَاسِينَ مِنْ أَصْلٍ وَلَا يُكَذِّبُونَكَ أَلْ *** خَفِيفٌ أَتَى رُحْبًا وَطَابَ تَأْوُلًا^{٣٠٦}.

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

فَتَحْنَا وَتَحْتُ أَشَدُّ أَلَا طِبُّ وَالْأَنْبِيَا *** مَعَ اقْتَرَبَتْ حُزْ إِذْ وَيُكَذِّبُ أَصْلًا^{٣٠٧}.

توجيه القراءة:

أنّ قراءة ﴿يُكَذِّبُونَكَ﴾ بالتخفيف من "أَكْذَبَ"، وقراءة ﴿يُكَذِّبُونَكَ﴾ بالتشديد من "كَذَّبَ".

^{٣٠٥} ينظر: أبو الحسن ابن غلبون، التذكرة في القراءات الثمان، ص ٣٢٣. وابن سوار، المستنير، ص ٥٣٧.

^{٣٠٦} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥١، بيت رقم [٦٣٧].

^{٣٠٧} ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٧، بيت رقم [١٠٥].

واختلف العلماء في معنى القراءتين، فقليل: هما بمعنى واحدٍ مثل: نَزَلَ وأنزل، كثر وأكثر.

والعرب تعدّي الثلاثي بالتضعيف كما تعدّيه بالهمزة، كما تقول: "كثرت الشيء وأكثرته"، فهما بمعنى واحدٍ؛ لأنّ معنى التفعيل النسبة إلى الكذب بأن يقول له كذبت كما تقول ذنبته وفسقته وخطأته، أي قلت له فعلت هذه الأشياء، وسقيته ورعيتَه أي قلت له: سقاك الله ورعاك، وقد جاء في هذا المعنى "أفعلته" قالوا أسقيته أي قلت له سقاك الله. وقال ذو الرمة^{٣٠٨}:

وَأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبُثُّهُ ***** تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَأَ عَيْبُهُ
أي أنسبه إلى السقيا بأن أقول سقاك الله، فعلى هذا التقدير يكون معنى القراءتين واحداً، إلا أنّ "فعلت" إذا أرادوا أن ينسبوه إلى أمر أكثر من "أفعلت"^{٣٠٩}.
وقيل: بينهما فرق، كما ذكر الكسائي رحمه الله تعالى أنّ العرب تقول: كذبتُ الرجل بالتشديد، إذا نسبت الكذب إليه، و"أكذبتُه" إذا نسبت الكذب إلى ما جاء به دون أن تنسبه إليه، ويقولون أيضاً: أكذبتُ الرجل إذا وجدته كاذباً كأحمدته إذا وجدته محموداً.
وعلى هذا فمعنى قراءة ﴿يُكَذِّبُونَكَ﴾ بالتخفيف، أي لا ينسبون الكذب إليك، ولا يجدونك كاذباً، كما يقال: أحمدته إذا وجدته محموداً^{٣١٠}.
وتحتمل أن تكون القراءة بمعنى لا يُبينون عليك أنك كاذب؛ لأنّه يقال أكذبتُه إذا احتججت عليه وبيّنت أنه كاذب^{٣١١}.

^{٣٠٨} هو غيلان بن عقبة بن بهيش، أبو الحارث، الشاعر المعروف بذي الرمة، أحد فحول الشعراء، وقال أبو عمرو بن العلاء: "ختم الشعر بذي الرمة"، المتوفى سنة (١١٧هـ). ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ١١.
^{٣٠٩} ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٣، ص ٣٠٢. وفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٢، ص ٥١٨.

^{٣١٠} ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٤، ص ٦٠٣. وأبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، (مصر: عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ط، د.ت)، ج ١، ص ٤٩١.

^{٣١١} ينظر: أبو جعفر النحاس، أحمد بن محمد، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ط ١، ١٤٠٩هـ)، ج ٢، ص ٤١٨.

وعند الفراء رحمه الله تعالى أنّها بمعنى لا يجعلونك كذاباً، وإنما يريدون أنّ ما جاءهم به باطل؛ لأنّهم لم يعرفوا منه صلى الله عليه وسلم كذباً فيكذبوه، وإنما أكذبوه على ما جاء به كذب لا يعرفونه^{٣١٢}.

وأما قراءة ﴿يَكْذِبُونَكَ﴾ بالتشديد، ففي معناها ستة أقوال وهي:
أحدها: فإنّهم لا يكذبونك بحجة، وإنما هو مجرد تكذيب بهت وعناد بغير دليل، فلا يحزنك ذلك ولا يضرّك.

والثاني: فإنّهم لا يكذبون قولك لعلمهم بصدقك قبل هذا، ولكن يكذبون ما جئتهم به من عند الله تبارك وتعالى.

والثالث: فإنّهم لا يكذبونك في السرّ لمعرفتهم بصدقك، ولكنّهم يكذبونك في العلانية للعداوة بما جئت به.

والرابع: معناه أنّ تكذيبهم لقولك ليس بتكذيب لك؛ لأنّك رسول مبلّغ عن الله تعالى، وإنما هو تكذيب لآيات الله الدالة على صدقك والموجبة لتصديق قولك، كما بيّن ذلك بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ أي يكذبون^{٣١٣}.

والخامس: أي لا يستطيعون قول ما أخبرت به مما في كتبهم: كذب.
والسادس: لا يكذبونك بقلوبهم؛ لعلمهم بأنّك صادق، ذكر القولين الأخيرين الزجاج^{٣١٤}.

وكل هذه الأقوال تحتلها الآية، فهو من قبيل اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، فكل قول مما سبق في معنى قراءة التشديد تعبير ببعض ما صدر من أفعال الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي.

^{٣١٢} ينظر: الفراء، يحيى بن زياد بن منظور الديلمي، أبو زكريا الفراء، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاشي وزميلاه، (مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة، ط ١، د.ت)، ج ١، ص ٣٣١.

^{٣١٣} الماوردي، النكت والعيون، ج ٢، ص ١٠٧. وعبد الرحمن بن علي بن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٢٢هـ)، ج ٢، ص ٢٤.

^{٣١٤} الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٢، ص ٢٤٢.

والظاهر أنَّ بين القراءتين فرق، فـ"أكذب" تختلف مع "كذب"، وذلك أنَّك إذا كذبت إنساناً، معناه قلتَ له: كذبتَ، ونسبته إلى افتراء الكذب. وإذا قيل: أكذب إنساناً إنساناً، معناه: أنَّ كلامه يُعتَقَد أنه كذب، ولا يُنسَب ذلك الإنسان إلى الكذب، بل قد يُعْتَذَر له يقال: لعله أخطأ أو نسي أو سها وهو لا يقصد الكذب، أو تخيل له غير الحق ونحو هذا.

فمعنى "أكذب" على هذا: أنَّه لا يتعمد الكذب، وأنَّه لا يُنسَب إلى الاختلاق والافتراء، ولكن القول الذي جاء به غير مطابق للحق^{٣١٥}.

والذي يتبيّن خلال ما سبق، أنَّ قراءة ﴿يُكَذِّبُونَكَ﴾ بالتشديد، من "كذب"، أي لا ينسبونك إلى الكذب كما يقال فسّقت الرجل وخطّأته إذا نسبته إلى الفسق والخطأ. فأما قراءة ﴿يُكَذِّبُونَكَ﴾ بالتخفيف، من "أكذب"، أي لا يجدونك كاذباً، كما يقال أحمَدُ الرجل إذا وجدته محموداً.

فالتشديد نسبة الكذب إليه، أي: لا ينسبونك إلى الكذب، والتخفيف نسبة الكذب إلى ما جاء به. فمعناه: لا يجدونك كاذباً. وقد يجوز أن يكون التخفيف والتشديد بمعنى واحدٍ، مثل قللت وأقللت وكثرت وأكثرت بمعنى واحدٍ.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في مبالغة نفي الكذب إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأي وسيلة من وسائل الكذب؛ فلذا اضطرّ المشركون إلى الجحود مع استقرارهم في قلوبهم على صدق ما جاء به أنَّه الحق ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، فإنَّهم لا يكذبون النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه، ولا يستطيعون تكذيب ما جاء به بحجة، ولكنهم يحدون بآيات الله تبارك وتعالى كما ختم به الآية.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿يُكَذِّبُونَكَ﴾ بالتشديد، إفادتها المبالغة في نسبة الكذب إلى الشخص؛ لأنَّك إذا كذبت إنساناً، معناه نسبته إلى افتراء الكذب. وإذا قيل: أكذب إنساناً إنساناً، معناه: أنَّ كلامه يُعتَقَد أنه كذب، ولا يُنسَب ذلك الإنسان إلى

^{٣١٥} ينظر: الشنقيطي، العُدْبُ النَمِيرُ من مجالس الشنقيطي في التفسير، تحقيق: خالد بن عثمان السبت، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٦هـ)، ج١، ص ١٨٠.

الكذب، بل قد يُعْتَذَرُ له، فمعنى "أَكْذَبَ" على هذا: أَنَّهُ لَا يَتَعَمَّدُ الكذب، وَأَنَّهُ لَا يُنْسَبُ إِلَى الاختلاق والافتراء، ولكن القول الذي جاء به غير مطابق للحق.

وكَذَّبْتُ الرجل إذا نسبته إلى الكذب وإلى صنعه الأباطيل من القول، وأَكْذَبْتُهُ إذا أخبرته أَنَّ الذي يحدث به كذب وإن لم يكن ذلك بافتعاله وصنعه.

وعلى معنى قراءة التخفيف عند الفراء والكسائي وأبي عبيدة - رحمة الله عليهم - هو من قولهم: "أَكْذَبْتُ الرجل"، إذا أخبرته أَنَّهُ كاذب فيما قال فقط أو جاء به. و"كَذَّبْتُهُ" إذا أخبرته أَنَّهُ كاذب في كل ما يأتي به^{٣١٦}.

وعلى هذا ففي التخفيف دلالة وقوع الفعل مرّة واحدة، وفي التشديد دلالة اتصاف بالكذب وتكراره. فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوّة اللفظ لقوّة المعنى، والله أعلم.

الموضع الثاني: قوله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٣٧].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿يُنْزِلَ﴾، وقد سبق الكلام عليها في موضع التاسع من البقرة.

الموضع الثالث: قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿فَتَحْنَا﴾، فقرأها ابن عامر وأبو جعفر ورويس ﴿فَتَحْنَا﴾ بتشديد التاء، وقرأها الباقون ﴿فَتَحْنَا﴾ بتخفيفها^{٣١٧}.

^{٣١٦} مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية، (جامعة الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة، ط ١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ج ٣، ص ٢٠٠٦.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

إِذَا فُتِحَتْ شَدِّدُ لَشَامٍ وَهَهُنَا *** فَتَحْنَا وَفِي الْأَعْرَافِ وَاقْتَرَبْتَ كَلَامًا ٣١٨.

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

فَتَحْنَا وَتَحْتُ أَشَدُّ أَلَا طِبُّ وَالْأَنْبِيَا *** مَعَ اقْتَرَبْتَ حُزْ إِذْ وَيُكْذِبُ أَصْلًا ٣١٩.

توجيه القراءة:

أنّ قراءة ﴿فَتَحْنَا﴾ بالتشديد؛ لأنّ بعده الأبواب بالجمع كما في قوله تعالى: ﴿أَبْوَابُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فذكر الأبواب، ومع الأبواب تشدد كما قال تعالى: ﴿جَنَّتِ عَدْنٍ مُّفْتَحَةً لَهُمْ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠].

وقراءة ﴿فَتَحْنَا﴾ بالتخفيف؛ فلأنّ الفعل واحد، يصلح للقليل والكثير ٣٢٠. والقراءتان بمعنى واحدٍ، غير أنّ في قراءة ﴿فَتَحْنَا﴾ بالتشديد، مبالغة في المعنى أكثر من قراءة ﴿فَتَحْنَا﴾ بالتخفيف.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى أنّ الله تعالى يفتح أبواب رحمته لعباده فتحًا بعد فتح، ابتلاءً واختبارًا منه، ورحمةً لخلقه تبارك ربنا وتعالى. وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿فَتَحْنَا﴾ بالتشديد، إفادتها المبالغة والتكثير في المعنى بدون احتمال القلة، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى، والله تعالى أعلم.

الموضع الرابع: قوله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِلَّا الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَفْصَحُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

٣١٧ ينظر: ابن خالويه، البديع، ص ١٠١. وابن الجزري، تحبير التيسير في القراءات العشر، تحقيق: الدكتور أحمد محمد مفلح القضاة، (الأردن: دار الفرقان، ط ١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ص ٣٥٥.

٣١٨ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥١، بيت رقم [٦٣٩].

٣١٩ ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٧، بيت رقم [١٠٥].

٣٢٠ ينظر: الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ٣٥٥. وابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٥٠.

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿يَقْصُ﴾، فقرأها نافع وأبو جعفر وابن كثير وعاصم ﴿يَقْصُ﴾ بضم القاف والصاد مشدداً من القصص، وقرأها الباكون ﴿يَقْصِ﴾ بسكون القاف وكسر الضاد مخففة من القضاء ٣٢١.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

سَبِيلَ بَرَفَعٍ حُذِّ وَيَقْصِ بِضَمِّ سَا *** كَنِ مَعَ ضَمِّ الْكَسْرِ شَدِّدٌ وَأَهْمِلًا.
نَعَمْ دُونَ الْبَاسِ وَذَكَرَ مُضْجَعًا *** تَوَقَّتُهُ وَاسْتَهْوَتْهُ حَمَزَةٌ مُنْسِلًا ٣٢٢.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿يَقْصِ﴾ بسكون القاف وكسر الضاد وتخفيفها من قضى يقضي قضاءً، إذا حكم وفصل، بمعنى: يقضي قضاء الحق. وتحتل أن تكون بمعنى يصنع الحق؛ لأن كل ما يصنعه الله تعالى حق، يقال: قضى الشيء إذا صنعه وقدره، كقوله تعالى: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فُصِّلَتْ: ١٢]، أي: صنعهن، ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي رحمه الله تعالى:
وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ فَضَاهُمَا ***** دَاوُدُ أَوْ صَنَعَ السَّوَابِغِ ثُبُعُ
أي صنعهما داود فأحكمهما، إلا أنَّ ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَصْلَيْنِ﴾ يدل على معنى القضاء الذي هو الحكم هنا ٣٢٣.

والفصل يناسب القضاء كما ذهب إليه أبو عمرو البصري رحمه الله تعالى.

وحذِفَ الياء في الكلمة خطأ كما حذفت لفظاً لالتقاء الساكنين، كنحو قوله تعالى:
﴿حِكْمَةٌ بُلُغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْنُذُرُ﴾ [الْقَمَر: ٥]، وكما حذِفَ الواو في قوله تعالى: ﴿سَنَدْعُ

٣٢١ ينظر: ابن بليمة، تلخيص العبارات، ص ٨٧. وعبد الله بن عبد المؤمن التاجر الواسطي، أبو محمد تاج الدين ويقال نجم الدين، الكنز في القراءات العشر، تحقيق: الدكتور خالد المشهداني، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط ١، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤ م)، ج ٢، ص ٤٦٨.

٣٢٢ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥١، بيت رقم [٦٤٢].

٣٢٣ ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٢، ص ٢٥٦.

الزَّبَانِيَّةُ ﴿[الْعَلَق: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَخَّ اللَّهُ الْبَطْلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ [الشورى: ٢٤].

وقراءة ﴿يَقْصُ﴾ بالصاد والضم وتشديدها من القصص، وقصَّ الحديث أو قصَّ الأثر أي: تَبَّعَهُ. فمعناه: يَتَّبِعُ الحق ٣٢٤.

وقيل المعنى: أي جميع ما أخبر به أو أمر فهو من القصص الحق. كما احتج ابن عباس رضي الله عنهما لهذه القراءة بقول الله تعالى: ﴿بِمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وقوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦] ٣٢٥.

وقد جاء القصص بمعنى القول هنا، ويأتي الفصل في القول أيضًا كنحو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ [الطارق: ١٣]، وقال: ﴿كُتِبَ أَحْكَمَتْ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، فقد ذكر [الأنعام: ٥٥]، فقد حمل الفصل على القول هنا، واستعمل معه كما جاء مع القضاء، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، فقد ذكر في القصص أنه تفصيل، وعلى هذا فلا يلزم من ﴿الْفَصْلِينَ﴾ أن يكون مُعَيَّنًا ليقضي ٣٢٦. وأما نصب ﴿الْحَقَّ﴾ بعده ففيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه منصوب على الصفة، مصدر محذوف أي: يقضي القضاء الحق أو يقصَّ القصص الحق.

والثاني: أنه ضمَّن "يقضي" معنى يُنْفِذُ، فلذلك عدَّاه إلى المفعول به.

والثالث: أن "قضى" بمعنى صنع فيتعدى بنفسه من غير تضمين كما سبق في قول أبي

ذؤيب رحمه الله تعالى.

٣٢٤ ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٤، ص ٦٥٧.

٣٢٥ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٥٤.

٣٢٦ أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٣، ص ٣١٨.

والرابع: أنه على إسقاط حرف الجر، أي: يقضي بالحق، فلما حذف انتصب^{٣٢٧}.
والذي يظهر في القراءتين أن معناهما قريب، فقراءة ﴿يَقْضُ﴾ بالصاد من القصص:
أي يتبع الحق فيما يخبر ويحكم به. وقراءة ﴿يَقْضِ﴾ بالضاد من القضاء: أي يقضي قضاء
الحق بين عباده.

وتتكمال دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى أن الله تبارك وتعالى يخبر عباده أنه يتبع
الحق ليقضي به بين العباد، فلا يظلم أحداً؛ لأنه خير من يفصل بين الحق والباطل بما يقضي
به بين عباده جلّ ربنا تبارك وتعالى.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿يَقْضُ﴾ بالصاد والتشديد من القصص،
قد تشمل معنى قراءة ﴿يَقْضِ﴾ بالضاد من القضاء، فقراءة ﴿يَقْضُ﴾ دلّت على أن جميع ما
أخبر به وأمر فهو من أقاصيص الحق، ويتضمن ذلك القضاء الذي أفادته قراءة ﴿يَقْضِ﴾
بالضاد والتخفيف، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، والله تعالى أعلم.

الموضع الخامس: قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ
تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَأَنْجِلَنَّا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللَّهُ يُنَجِّكُمْ مِنْهَا وَمَنْ كُلِّ
كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦٣ - ٦٤].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿يُنَجِّكُمْ﴾ في موضعين ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّكُمْ﴾ و﴿قُلِ اللَّهُ
يُنَجِّكُمْ﴾، فقرأها يعقوب ﴿يُنَجِّكُمْ﴾ بسكون النون وتخفيف الجيم في الموضعين.
وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن ذكوان ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّكُمْ﴾ بسكون النون
وتخفيف الجيم، وفي موضع ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّكُمْ﴾ بالتشديد، وقرأها الباقون بفتح النون
وتشديد الجيم في الموضعين^{٣٢٨}.

^{٣٢٧} ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٤، ص ٦٥٧.

^{٣٢٨} ينظر: أبو معشر الطبري، التلخيص في القراءات الثمان، ص ٢٥٧. وابن الجزري، تحبير التيسير، ص ٣٥٦.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

مَعَا حُفِيَّةً فِي ضَمِّهِ كَسْرُ شُعْبَةٍ *** وَأَنْجَيْتَ لِلْكَوْفِ أَنْجَى تَحْوَلًا.

قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ يَثْقُلُ مَعَهُمْ *** هَشَامٌ وَشَامٌ يُنْسِيَنَّكَ ثَقَلًا ٣٢٩.

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

وَحُزْرٌ فَتَحَ إِنَّهُ مَعَ فَإِنَّهُ وَقَائِزُ *** تَوَقَّتُهُ وَاسْتَهْوَتْهُ يُنَجِّي فَثَقَلًا.

بِشَانٍ أَتَى وَالْحِفَّ فِي الْكُلِّ حُزْرٌ وَتَحْ *** تَ صَادَ يُرَى وَالرَّفْعُ آزَرَ حُصَلًا ٣٣٠.

توجيه القراءة:

أنّ قراءة ﴿يُنَجِّيْكُمْ﴾ بالتشديد، من نَجَّى يُنَجِّي، يدل على تكرير معنى الفعل ومداومته.
وقراءة ﴿يُنَجِّيْكُمْ﴾ بالتخفيف، من أنجى يُنَجِّي، يدل على مجرّد وقوع الفعل بدون تكرار. فأما مَنْ شدد الثانية وخفّف الأولى فإنّه جمع بين اللغتين ليعلم أنّ القراءة بكلتيهما صواب ٣٣١.

وذهب أبو علي الفارسي رحمه الله تعالى أنّ التشديد والتخفيف في ﴿يُنَجِّيْكُمْ﴾ و﴿يُنَجِّيْكُمْ﴾ بمعنى واحد، مثل: أغرّمته وغرّمته، وأفرّحته وفرّحته، وغير ذلك. كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ [العنكبوت: ٢٤]، وقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِّ﴾ [الأعراف: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [فصلت: ١٨]، فإذا جاء القرآن الكريم باللغتين جميعًا تبيّن من ذلك استواء القراءتين في الحسن ٣٣٢.

وكذلك عند مكّي بن أبي طالب رحمه الله تعالى أنّ "نَجَّا يُنَجِّي" و"أَنْجَى يُنَجِّي" المعنى واحد، وأصل الفعل "نجا"، ثم يثقل للتعدية بالهمز والتشديد، فالهمزة فيه كالتشديد في تعديته، وكل واحد يقوم مقام الآخر في التعدي إلى مفعول.

٣٢٩ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥١، بيت رقم [٦٤٥].

٣٣٠ ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٧، بيت رقم [١٠٦ - ١٠٧].

٣٣١ ينظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ١٤١.

٣٣٢ ينظر: أبو علي، الحجة للقراء السبعة، ج ٣، ص ٣٢٢.

واللغتان في القرآن إجماع، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾، وقوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: ٤٩] وقوله: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٠]، وهما في القرآن كثير، فالقراءتان متعادلتان غير أن التشديد فيه معنى التكرير للفعل، على معنى: نجاة بعد نجاة^{٣٣٣}.

فيظهر أن مكّي بن أبي طالب - رحمه الله تعالى - جمع بين القولين، أن القراءتين بمعنى واحد، غير أن قراءة ﴿يُنَجِّيْكُمْ﴾ بالتشديد تفيد تكرير الفعل على قراءة ﴿يُنَجِّيْكُمْ﴾ بالتخفيف.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة على أن الله تبارك وتعالى ينجي الناس من الكرب على حسب حالهم من الكرب مهما قلّ أو كثر أو تكرر وقوعه، إذا دَعَوْهُ تَضَرَّعًا وخفية سينجيهم من جميع الكرب؛ لأنه القادر على إنقاذهم جلّ ربنا تبارك وتعالى. وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿يُنَجِّيْكُمْ﴾ بالتشديد، أنها تفيد تكرير المعنى والتكثير على قراءة ﴿يُنَجِّيْكُمْ﴾ بالتخفيف، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى، والعلم عند الله تبارك وتعالى.

الموضع السادس: قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿يُنْسِيَنَّكَ﴾، فقرأها ابن عامر ﴿يُنْسِيَنَّكَ﴾ بتشديد السين، وقرأها الباقون ﴿يُنْسِيَنَّكَ﴾ بتخفيفها^{٣٣٤}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

^{٣٣٣} ينظر: مكّي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤٣٦.

^{٣٣٤} ينظر: أبو الطيّب ابن غلبون، الإرشاد في القراءات، ص ٦١٩. والهدلي، الكامل، ص ٥٤٢.

قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ يَتَّقِلُ مَعَهُمْ *** هَشَامٌ وَهَشَامٌ يُنَسِّيتُكَ ثَقَالاً ٣٣٥.

توجيه القراءة:

أَنَّ قراءة ﴿يُنَسِّيتُكَ﴾ بالتشديد، على التفريق بين نسي الرجل ونسائه غيره. تقول: نسيت الشيء وأنساني غيري ونسائي أيضاً.

وحجته ما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله عليه وسلم يقول: "يُسَمَّا لِلرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ سُورَةَ كَيْتٍ وَكَيْتٍ، أَوْ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتٍ وَكَيْتٍ، بَلْ هُوَ نُسِّي" ٣٣٦.

وقراءة ﴿يُنَسِّيتُكَ﴾ بالتخفيف من أنساني غيري، وحجتهم قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَّ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٤٢]، ولم يقل فنسائه الشيطان ٣٣٧.

وقيل: القراءتان لغتان، تستعمل إحداها مكان الأخرى. يجوز أن تنقل الفعل بتضعيف العين كما تنقله بالهمزة، وعلى هذا يقال: فرحته وأفرحته، ف"فعل" وأفعل" يجري كل منهما مجرى الآخر كما في قوله تعالى: ﴿فَمَهَّلِ الْكُفْرِينَ أَمَّهُلُهُمْ زُيْدًا﴾ [الطَّارِق: ١٧] ٣٣٨. ورجح ابن عطية رحمه الله تعالى ٣٣٩ بأنَّ القراءتين بمعنى واحد، إلا أنَّ التشديد أكثر مبالغة ٣٤٠. وهذا الذي يفيد السياق فيما يظهر، أنسى ونسى، مثل: أنجى ونجى كما سبق، إلا أنَّ التشديد يفيد المبالغة.

٣٣٥ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥١، بيت رقم [٦٤٥].

٣٣٦ مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج ١، ص ٥٤٤. كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهّد القرآن، وكراهة قول نسيت آية كذا، وجواز قول أنسيته، حديث رقم [٧٩٠].

٣٣٧ ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٥٦.

٣٣٨ ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٣، ص ٣٢٤.

٣٣٩ هو عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن عطية، الإمام الكبير، أبو محمد الحاربي الغرناطي، وكان فقيهاً عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير بارعاً في الأدب، لو لم يكن له إلا تفسيره لكفى، المتوفى سنة (٥٤٢هـ). ينظر:

الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٨، ص ٤٠.

وتتکامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى التحذير عن مجالسة الذين يخوضون في آيات الله بعد الإعراض عنهم ونهيهم، فإذا غفل المرء ونسي أو حاول المستهزءون انشغاله بالجلوس معهم بالحيلة وغيرها، فلا يتساهل البقاء معهم إن لم يتركوا الخوض في آيات الله، فليبادر الابتعاد عن مجالستهم بعد تذكره وتذكيرهم.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿يُنْسِيَنَّكَ﴾ بالتشديد، إفادتها المبالغة في المعنى على قراءة ﴿يُنْسِيَنَّكَ﴾ بالتخفيف، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى، والعلم عند الله تبارك وتعالى.

الموضع السابع: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿أُتْحَجُونِي﴾، فقرأها نافع وأبو جعفر وابن ذكوان وهشام بخلاف عنه ﴿أُتْحَجُونِي﴾ بتخفيف النون، وقرأها الباقر ﴿أُتْحَجُونِي﴾ بالتشديد^{٣٤١}.
والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:
وَحَقِّفَ نُونًا قَبْلَ فِي اللَّهِ مَنْ لَهُ *** بِخُلْفٍ أَتَى وَالْحَذْفُ لَمْ يَكُ أَوْلَا^{٣٤٢}.

توجيه القراءة:

^{٣٤٠} عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي الأندلسي، أبو محمد، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ)، ج ٢، ص ٣٠٤.
^{٣٤١} ينظر: أبو علي الأهوازي، الوجيز، ج ١٧٣. والواسطي، الكنز في القراءات العشر، ج ٢، ص ٤٧٠.
^{٣٤٢} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٢، بيت رقم [٦٥٠].

أنَّ قراءة ﴿أَتَحْجُونِي﴾ بالتخفيف، أنَّ النون الثانية حُذفت لالتقاء النونين ولكراهة التضعيف، ولا يجوز أن تكون النون الأولى هي المحذوفة؛ لأنَّ الاستثقال بالتكرير إنّما يقع في الأمر الأعمّ، وفي الأولى أيضًا دلالة الإعراب، وإنّما حذفت الثانية كما قال عنتره^{٣٤٣}:

أَبَالْمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ أُنِّي ***** مُسْلَقٍ لَا أَبَاكَ تُخَوِّفِينِي
والأصل تخوفيني.

وقراءة ﴿أَتَحْجُونِي﴾ بالتشديد، على أنَّ أصل الكلمة "أتحاجوني" بنونين، إلاَّ أنَّه أدغم النون التي هي علامة رفع الفعل في النون التي تصحب ضمير المتكلم^{٣٤٤}.

ويتّضح في قراءة ﴿أَتَحْجُونِي﴾ بالتشديد استنكار إبراهيم عليه السلام في أجلى صوره، فهو يستنكر أن تكون هنالك حاجة في الله، كما يستنكر عليهم إكثار الحاجة له بعد إذ هداه الله جلّ جلاله.

ويظهر في قراءة ﴿أَتَحْجُونِي﴾ بالتخفيف، استنكار إبراهيم عليه السلام الحاجة في الله تعالى بالدرجة الأولى، ويجعل محاجّتهم له في مرتبة أقل^{٣٤٥}.

فالقراءتان لغتان بمعنى واحدٍ، إلاَّ أنَّ التشديد يفهم منه المبالغة في المعنى. وتتكامل دلالة معنى القراءتين في بيان تفاوت درجات الحاجة من قوم إبراهيم له عليه الصلاة والسلام وعنادهم في الشرك.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿أَتَحْجُونِي﴾ بالتشديد، إفادتها المبالغة في المعنى على قراءة التخفيف، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوّة اللفظ لقوّة المعنى، والله تعالى أعلم.

^{٣٤٣} هو عنتره بن عمرو بن شدّاد العبسي، من شعر الجاهلية وأصحاب المعلقات السبع، فكان أوّل ما قال قصيدة، هل غادر الشعراء من متردّم، وهي أجود شعره، ولم أقف على سنة وفاته. ينظر: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أبو محمد الدينوري، الشعر والشعراء، (القاهرة: دار الحديث، د. ط، ١٤٢٣هـ)، ج ١، ص ٢٤٣.

^{٣٤٤} ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٣، ص ٣٣٣. وابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٤٨١.

^{٣٤٥} ينظر: مهنا محمود عبد الكريم وعيسى إبراهيم وادي، اتساع الدلالات، ج ١، ص ٤٥٧.

الموضع الثامن: قوله تعالى ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨١].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿يُنَزَّلُ﴾، وقد سبق الكلام عليها في موضع التاسع من سورة البقرة.

الموضع التاسع: قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَالِقُ الْأَصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة الكلمتين ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ﴾، فقرأهما عاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ﴾ بفتح في العين واللام وحذف الألف ونصب اللام من "الليل". وقرأ الباقون ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ﴾ بالألف وكسر في العين ورفع اللام وخفض اللام من "الليل" ٣٤٦.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَبَيِّنَكُمْ ارْفَعْ فِي صَفَا نَقَرٍ وَجَا *** عَلْ اقْصُرْ وَفَتْحُ الْكَسْرِ وَالرَّفْعِ ثَمَلَا.
وَعَنْهُمْ بِنَصْبِ اللَّيْلِ وَكَسْرِ مُسْتَقَرٍّ *** رُ الْقَافِ حَقًّا خَرَفُوا ثَقُلُهُ انْجَلَا ٣٤٧.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿جَعَلَ اللَّيْلَ﴾ بغير الألف ونصب اللام من "الليل"، على حمل "جعل" بمعنى "فالق" في الموضعين؛ لأنه بمعنى "فلق" وهو أمر قد كان بمعنى الماضي، فحمل "جعل" على المعنى.

٣٤٦ ينظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص ٢٦٣. وابن مهران، الغاية في القراءات العشر، ص ١٤٧.

٣٤٧ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٢، بيت رقم [٦٥٥].

وأيضاً لمطابقة أفعالاً ماضية بعده فحُمل عليها، وهو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا﴾ [الأنعام: ٩٧]، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الأنعام: ٩٩]. وكذلك ما بعده، فحُمل أول الكلام على آخره في "فَعَلَ" لتكرّر ذلك، ويقوّي ذلك إجماعهم على نصب ﴿الشَّمْسِ﴾ وما بعده على إضمار "فَعَلَ" ولم يحملوه على "فَاعِلٍ" فيخفضوه، فأجري ما قبله عليه للمشكلة لما بعده^{٣٤٨}. و﴿الَّيْلِ﴾ منصوب بفعل "جعل" مفعول به، و"سَكَنًا" مفعول الثاني لـ "جعل".

وقراءة ﴿جَعَلَ اللَّيْلَ﴾ بالألف وكسر لام "الليل"، أنّ قبله اسم فاعل: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ [الأنعام: ٩٥]، و﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦]، فشاكلوا بينه وبين ما قبله في اللفظ كما شاكل مَنْ قرأ ﴿جَعَلَ﴾ بينه وبين ما بعده في المعنى؛ ليكون "فَاعِلٌ" المعطوف مثل "فَاعِلٌ" المعطوف عليه؛ فحكم الاسم أن يعطف على اسم مثله؛ لأنّ الاسم بالاسم أشبه من الفعل بالاسم، كما أنّ الفعل بالفعل أشبه من المبتدأ بالفعل، كذلك الاسم بالاسم أشبه من الفعل بالاسم^{٣٤٩}، و﴿الَّيْلَ﴾ بالخفض على الإضافة. والذي يظهر في القراءتين، أنّ قراءة ﴿جَعَلَ اللَّيْلَ﴾ بالألف؛ لمشاكلته بما قبله وهو قوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ كلاهما اسم فاعل أضيف إلى مفعوله.

وقراءة ﴿جَعَلَ اللَّيْلَ﴾ بغير الألف؛ لأنّ اسم الفاعل "فَالِقٌ" الذي قبله بمعنى "فلق" الماضي، فلما كان "فَاعِلٌ" بمنزلة "فَعَلَ" في المعنى، عُطِفَ عليه "فَعَلَ" لموافقه له في المعنى، فدل على أنه بمنزلة "فَعَلَ"، و﴿الَّيْلَ﴾ مفعول به.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى أنّ الله تبارك وتعالى أخبر أنّه جعل الليل سَكَنًا للخلق بعد تعبهم في النهار، وكذلك يجعله لهم في كل ليلة بالاستمرار والدوام لراحة أجسامهم بعد التعب والمشقة.

^{٣٤٨} ينظر: مكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤٤٢.

^{٣٤٩} ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٣، ص ٣٦١.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿جَعَلُ اللَّيْلِ﴾ بالألف، إشارتها إلى الثبوت وال لزوم؛ لأنها جملة اسمية أقوى من جملة فعلية، فقوة اللفظ لقوة المعنى، وزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، والله تعالى أعلم.

الموضع العاشر: قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿وَحَرَقُوا﴾، فقرأها نافع وأبو جعفر ﴿وَحَرَقُوا﴾ بتشديد الراء، وقرأها الباقون ﴿وَحَرَقُوا﴾ بالتخفيف^{٣٥٠}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَعَنْهُمْ بَنَصِبِ اللَّيْلِ وَاكْسِرْ بِمُسْتَقَرٍّ *** رُ الْقَافَ حَقًّا خَرَقُوا ثَقُلَهُ انْجَلَا^{٣٥١}.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿وَحَرَقُوا﴾ بالتخفيف من خَرَقَ فلان الكذب، واخْتَرَقَهُ وخلقه واختلقه إذا افتراه، و"فَعَلَ" يحتمل القلة والكثرة، فيجوز أن يُحمل على الكثرة، فيكون المعنى كقراءة ﴿وَحَرَقُوا﴾ بالتشديد، ولفظ الفعل مطلقاً يدل على القليل والكثير.

وقراءة ﴿وَحَرَقُوا﴾ بالتشديد على التكثر؛ لأنَّ الفاعلين لهذا الفعل كثير، فإنَّ المشركين قالوا الملائكة بنات الله، واليهود قالوا: عزيز ابن الله، والنصارى قالوا "المسيح ابن الله، تعالى الله عما يقولوا الظالمون علواً كبيراً، و"فَعَلَ" بالتشديد يختص بالكثرة^{٣٥٢}.

^{٣٥٠} ينظر: علي بن عثمان بن محمد بن القاصح البغدادي، مصطلح الإشارات في القراءات الزوائد المروية عن الثقات، تحقيق: الدكتور عطية بن أحمد الوهبي، (عمان: دار الفكر، ط ١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، ص ٢٣٥. وابن الجزري، تحبير التيسير، ص ٣٦١.

^{٣٥١} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٢، بيت رقم [٦٥٦].

^{٣٥٢} ابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٤٩٠.

وذكر ابن عاشور رحمه الله تعالى^{٣٥٣} أنّ قراءة ﴿وَحَرِّقُوا﴾ بالتشديد تفيد المبالغة في الفعل؛ لأنّ التفعّل يدل على قوّة حصول الفعل، فمعنى ﴿وَحَرِّقُوا﴾ بالتخفيف بمعنى كذبوا على الله على سبيل الخرق، أي نسبوا إليه بنين وبنات كذباً^{٣٥٤}.

ويظهر في القراءتين خلال ما سبق أنّهما بمعنى واحد، غير أنّ قراءة ﴿وَحَرِّقُوا﴾ بالتشديد تفيد المبالغة في المعنى على قراءة ﴿وَحَرِّقُوا﴾ بالتخفيف.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في بيان ذم الكافرين اختلاقهم وكذبهم على الله تعالى، إذ زعموا أنّ له بنين وبنات بغير علم، وذمهم الله على هذا القول القبيح وتكرّره منهم مرّة بعد مرّة لشناعته وقباحته. تعالى الله عما يقولوا الظالمون علواً كبيراً.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿وَحَرِّقُوا﴾ بالتشديد المبالغة في المعنى على قراءة ﴿وَحَرِّقُوا﴾ بالتخفيف؛ لأنّ التفعّل يدل على قوّة حصول الفعل. فقوّة اللفظ لقوّة المعنى، وزيادة المبني دلالة على زيادة المعنى، والعلم عند الله تبارك وتعالى.

الموضع الحادي عشر: قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُدْعُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٥].

القراءة:

اختلف القرّاء في قراءة كلمة ﴿دَرَسَتْ﴾، فقرأها ابن كثير وأبو عمرو ﴿دَرَسَتْ﴾ بألف بعد الدال وسكون في السين وتاء مفتوحة. وقرأها ابن عامر ويعقوب ﴿دَرَسَتْ﴾ بغير ألف وفتح في السين وسكون في التاء.

وقرأها الباقون ﴿دَرَسَتْ﴾ بغير ألف وسكون السين وتاء مفتوحة^{٣٥٥}.

^{٣٥٣} هو محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، العلامة المفسّر اللغوي الفقيه، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مؤلّف تفسير التحرير والتنوير، وغيره من مؤلّفاته. المتوفّى سنة (١٣٩٣هـ). ينظر: الزركلي، الأعلام، ج٦، ص١٧٤.

^{٣٥٤} ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٧، ص٤٠٧.

^{٣٥٥} ينظر: أبو العلاء الهمداني، غاية الاختصار، ص٤٨٥. والصفاسي، غيث النفع، ص٢١٨.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَضَمَّانِ مَعَ يَاسِينَ فِي ثَمَرٍ شَفَا *** وَدَارَسْتَ حَقَّ مَدُّهُ وَلَقَدْ حَلَا.

وَحَرِّكَ وَسَكَنَ كَافِيَا وَاكْسِرَ أَهْمَا *** حَمَى صَوْبِهِ بِالْخُلْفِ دَرَّ وَأَوْبَلَا ٣٥٦.

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

هَنَا دَرَجَاتِ النُّونُ يَجْعَلُ وَبَعْدُ حَا *** طِبَّا دَرَسْتَ وَاضْمُمُ عُدُّوَا حُلَى حَلَا ٣٥٧.

توجيه القراءة:

أَنَّ قراءة ﴿دَرَسْتَ﴾ بالألف وسكون السين وفتح التاء على المفاعلة بين اثنين، بمعنى: يقولون دارست أهل الكتاب ودارسوك، أي ذاكرتهم وذاكروك، ودلّ على هذا المعنى قوله تعالى عنهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخِرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: ٤]، أي يقولون أعان اليهود النبي صلى الله عليه وسلم على القرآن وذاكروه فيه، وهذا كله قول المشركين في النبي صلى الله عليه وسلم وفي القرآن الكريم.

وقراءة ﴿دَرَسْتَ﴾ بغير الألف وفتح في السين وسكون التاء على وزن "فَعَلْتُ" من الدُّرُوسِ، وهو عُقُودُ الأثرِ وانمحاء الرسوم.

والمعنى: أَنَّ هذا الذي يتلوه قد تطاول ومرّ بنا وانمحق أثره كما تدرس الآثار. ففي هذه القراءة إسناد الفعل إلى الآيات، فأخبر عنهم أنّهم يقولون: هذه أخبار قديمة قد دَرَسْتُ، وهي قد عفت واطمأنت وتقادمت وتكرّرت على الأسماع يُشيرون إلى أنّها من أحاديث الأولين كما دلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]، أي شيء قديم قد عفا واطمأنت رسمه لقدمه.

وقراءة ﴿دَرَسْتَ﴾ بغير الألف وسكون في السين وفتح في التاء على وزن "فَعَلْتُ"، أي على إسناد الفعل إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

والمعنى أي قرأت على أهل الكتاب فتعلّمت منهم، فأخبر عنهم أنّهم يقولون: درس محمد كتب الأولين، فأتى بهذا القرآن منها ٣٥٨.

٣٥٦ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥١، بيت رقم [٦٥٧].

٣٥٧ ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٧، بيت رقم [١٠٨].

والذي يظهر خلال ما سبق، أنّ هذه القراءات بمعنى واحدٍ، تنوّعت أساليب المشركون في إنكار القرآن الكريم وجحودهم به وكفرهم إياه.

وتتّكامل دلالة معنى هذه القراءات في إبراز كفر المشركين بالقرآن الكريم واضطرابهم في إنكاره وافترائهم عليه، فتارةً يقولون هو أخبار قديمة تعلّمها وقد عفت واهتت، أو هو أساطير الأولين يروونها ويقصّها عليهم، أو هو علم أخذ به المدارس مع أهل الكتاب.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿دُرُسَتْ﴾ بالألف، دلالتها على المفاعلة من طرفين، بمعنى: أنّ المشركين يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم دارست أهل الكتاب ودارسوك، أي ذاكرتهم وذاكروك، فجئت بهذا القرآن عن طريق المدارس، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوّة اللفظ لقوّة المعنى، والعلم عند الله تبارك وتعالى.

الموضع الثاني عشر: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤].

القراءة:

اختلف القرّاء في قراءة كلمة ﴿مُنْزَلٌ﴾، فقرأها ابن عامر وحفص ﴿مُنْزَلٌ﴾ بتشديد في الزاي، وقرأها الباقون ﴿مُنْزَلٌ﴾ بالتخفيف^{٣٥٩}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَشَدَّدَ حَفْصٌ مُنْزَلٌ وَابْنُ عَامِرٍ *** وَحَرَّمَ فَتَحَ الضَّمِّ وَالْكَسْرِ إِذْ عَلَا^{٣٦٠}.

^{٣٥٨} ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٢، ص ٢٧٩. مكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤٤٤. وابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٤٩١.

^{٣٥٩} ينظر: أبو عمرو الداني، جامع البيان في القراءات السبع، ج ٣، ص ١٠٦٠. والواسطي، الكنز في القراءات العشر، ج ٢، ص ٤٧٣.

^{٣٦٠} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٣، بيت رقم [٦٦٢].

توجيه القراءة:

الكلام على هاتين القراءتين ﴿مُنَزَّلٌ﴾ بالتشديد و﴿مُنَزَّلٌ﴾ بالتخفيف مثل ما سبق في كلمة ﴿مُنَزَّلِينَ﴾ في موضع الخامس من سورة آل عمران.

الموضع الثالث عشر: قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة لفظة ﴿كَلِمَتُ﴾، فقرأها عاصم وحمة والكسائي ويعقوب وخلف ﴿كَلِمَتُ﴾ بغير الألف على الأفراد، وقرأها الباقون ﴿كَلِمَتُ﴾ بالألف على الجمع^{٣٦١}. والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى: وَقُلْ كَلِمَاتٌ دُونَ مَا أَلْفِ ثَوَى *** وَفِي يُوسُفَ وَالطُّوْلِ حَامِيهِ ظَلًّا^{٣٦٢}. ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى: وَخُزْ كَلِمَتُ وَالْيَاءُ نَحْشُرُهُمْ يَدُ *** يَكُونُ يَكُنْ أَنْتَ وَمَيْتَةً أَنْجَلًا^{٣٦٣}.

توجيه القراءة:

أنّ قراءة ﴿كَلِمَتُ﴾ بغير الألف على الأفراد لإرادة الجنس، أو على جعل الكلمات بمنزلة الكلمة؛ لأنّ الكلمة قد تقع في كلام العرب بمعنى الجمع، كما يقولون: قال زهير^{٣٦٤} في كلمته، يعنون: قصيدته. وقال فلان كلمته يعنون: خطبته.

^{٣٦١} ينظر: أبو عمرو الداني، التيسير، ص ١٠٦. والهللي، الكامل، ص ٥٤٦. وأبو العز القلانسي، الكفاية الكبرى، ص ٢٥٢.

^{٣٦٢} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٢، بيت رقم [٦٦١].

^{٣٦٣} ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٨، بيت رقم [١١٠].

^{٣٦٤} هو زهير بن أبي سلمى بن ربيعة المزني، من مضر، أحد شعراء الجاهلية وحكيمها. وفي أئمة الأدب من يفضلّه على شعراء العرب كافة، كان ينظم القصيدة في شهر وينفّحها ويهدّبها في سنة، فكانت قصائده تسمى "الحوليات"، المتوفى سنة (١٣ قبل الهجرة). ينظر: الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ٥٢.

وقال تعالى: ﴿وَمَتَّ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧]. والمراد بالكلمة في الآية كما ذكره المفسرون: قوله: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُكَسِّرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُزِيلًا يُرْسِلُونَ وَنُهَيِّئُ لَهُمْ مِمَّا كَانُوا يُحْذَرُونَ﴾ [القصاص: ٥ - ٦]. فسمي هذا الكلام كله بكلمة. وقوله: ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةً اتَّقُوا أَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦]، قال مجاهد^{٣٦٥}: "هي لا إله إلا الله". فهذا كله يدل على أن العرب تستعمل الكلمة بمعنى الجمع^{٣٦٦}.

وقراءة ﴿كَلِمَتُ﴾ بالألف على الجمع؛ لأن معنى "الكلمات" في هذا هو ما جاء من عند الله من وعد ووعيد وثواب وعقاب، وأخبار عما كان وما يكون، وذلك كثير، فجمع "الكلمات" لكثرة ذلك، وقد أجمعوا على الجمع في قوله تعالى بعده: ﴿لَا تُبَدِّلْ لِكَلِمَتِهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَتِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٦٤].

ولا يحسن أن يراد بالكلمات في هذه المواضع الشرائع كما عني بذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَتَىٰ آلَ إِبْرَاهِيمَ رَيْهٌ بِكَلِمَتٍ فَأَتَمَّتْ﴾ [البقرة: ١٢٤]، وقوله: ﴿وَصَدَقْتَ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ﴾ [التحریم: ١٢]؛ لأنه قد قال: لا مبدل لكلماته، والشرائع يجوز فيها النسخ والتبديل. فإنما المراد بالكلمات في هذه المواضع الأشياء التي لا يدخلها نسخ^{٣٦٧}.

والمراد بالكلمات أو الكلمة القرآن الكريم، وإطلاق الكلمة على القرآن في قراءة الأفراد باعتبار أنه كتاب من عند الله، فهو من كلامه وقوله.

والكلمة والكلام يترادفان، كقول العرب: كلمة زهير، يعنون قصيدته، وقد أطلق في القرآن "الكلمات" على الكتب السماوية في قول الله تعالى: ﴿قَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ﴾ [الأعراف: ١٥٨] أي كتبه.

^{٣٦٥} هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج مولى السائب المخزومي المكي، المقرئ المفسر، أخذ التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما. المتوفى سنة (١٠٣هـ). ينظر: الأدنوي، طبقات المفسرين، ص ١١.

^{٣٦٦} ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٣، ص ٣٨٨. وأبو العباس المهدوي، شرح الهداية، ج ٢، ص ٢٨٩.

^{٣٦٧} ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٣، ص ٣٨٨. ومكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤٤٧.

وأما على قراءة الكلمات بالجمع، فإطلاقها على القرآن باعتبار ما يشتمل عليه من الجمل والآيات. أو باعتبار أنواع أغراضه من أمر ونهي وتبشير وإنذار وغير ذلك^{٣٦٨}. والظاهر في القراءتين أنهما بمعنى واحد؛ لأنَّ "الكلمة" إذا أضيفت إلى معرفة تعميم، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إِبْرَاهِيم: ٣٤] أي: نعم الله، وقوله تعالى: ﴿وَمَتَّ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: كلمات ربك. وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة بأنَّ القرآن الكريم كل ما تضمنه جملةً وتفصيلاً فهو كلام الله وقوله، يشمل كلمته وكلماته، فكله حق وصدق وعدل تام، لا مبدل لهذه الكلمات.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿كَلِمَتُ﴾ بالألف إفادتها الجمع مطلقاً، بدون أي تقدير ولا احتمال بخلاف قراءة ﴿كَلِمَتُ﴾ بغير الألف على الإفراد، فإنَّها وإن كانت تستعمل للجمع لكنها تحتمل الإفراد، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، والله أعلم.

الموضع الرابع عشر: قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿رِسَالَتَهُ﴾، فقرأها ابن كثير وحفص ﴿رِسَالَتَهُ﴾ بحذف الألف بعد اللام وفتح التاء على الإفراد، وقرأها الباقر ﴿رِسَالَتِهِ﴾ بالألف وكسر في التاء على الجمع^{٣٦٩}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

رِسَالَاتٍ فَرَّدَ وَافْتَحُوا دُونَ عَلَّةٍ *** وَضَيَّقًا مَعَ الْفُرْقَانِ حَرِّكَ مُثْقَلًا^{٣٧٠}.

^{٣٦٨} ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ١٨.

^{٣٦٩} ينظر: ابن الفحّام، كتاب التجريد لبغية المريد في القراءات السبع، ص ٢٢١. والواسطي، الكنز في القراءات العشر، ج ٢، ص ٤٦٠.

وقد سبق الكلام عليها في موضع الثاني من سورة المائدة.

الموضع الخامس عشر: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَشْرَحْ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُغْلِقْ صَدْرَهُ، ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿يَصْعَدُ﴾، فقرأها ابن كثير ﴿يَصْعَدُ﴾ بسكون الصاد وتخفيف العين من غير ألف، وقرأها شعبة ﴿يَصْعَدُ﴾ بفتح الصاد وتشديدها وألف بعدها مع تخفيف العين. وقرأها الباقون ﴿يَصْعَدُ﴾ بتشديد في الصاد والعين من غير ألف ٣٧١. والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَيَصْعَدُ خِفَّ سَاكِنٌ دُمٌّ وَمَدُّهُ *** صَحِيحٌ وَخِفُّ الْعَيْنِ دَاوِمٌ صَنْدَلًا ٣٧٢.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿يَصْعَدُ﴾ بسكون الصاد والتخفيف من الصعود بمعنى الطلوع، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، ومعنى القراءة: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَبَّهَ الْكَافِرَ فِي نَفْوَرِهِ عَنِ الْإِيمَانِ، وَثَقَلَهُ عَلَيْهِ بِمَنْزِلَةِ مَنْ تَكَلَّفَ مَا لَا يُطِيقُهُ، كَالَّذِي يَرِيدُ صُعُودَ السَّمَاءِ وَلَا يُطِيقُهُ، فَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ ثَقِيلٌ عَلَى الْكَافِرِ لَا يُطِيقُهُ.

٣٧٠ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٢، بيت رقم [٦٦١].

٣٧١ ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص ٢٠٢. والنشأ، المكرر في ما تواتر من القراءات، ص ١٢١.

وعبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت)، ص ١١٠.

٣٧٢ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٣، بيت رقم [٦٦٦].

وقراءة ﴿يَصْعَدُ﴾ بتشديد الصاد والعين، أصله "يتصعد" فأدغم التاء في الصاد، ومعناه: أنه يتكلف ما يثقل عليه ولا يطيقه، فهو يتكلف شيئاً بعد شيء، كما يقال: يتجرّع ويتفوّق ونحو ذلك مما يتعاطى الفعل فيه شيئاً بعد شيء.

وقراءة ﴿يَصْعَدُ﴾ بفتح الصاد وتشديدها مع الألف، أصله "يتصاعد" ثم أدغم، ومعناه: كأنه يتعاطى ما لا يقدر عليه؛ لأنّ الله قد خذله أن يقبل الإيمان، وضيق صدره عن قبوله، و﴿يَصْعَدُ﴾ مثل: ﴿يَصْعَدُ﴾ في المعنى، مثل: ضاعف وضعف.

ويصّاعد ويصّعد بمعنى المشقة وصعوبة الشيء، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧]، وقوله: ﴿سَأَرْهُقُهُ صُعُودًا﴾ [المائدة: ١٧]، أي: سأغشيه عذاباً وعقوبة شاقة.

ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه: "ما تصعدني شيء كما تصعدتني خطبة النكاح"، أي: ما شق عليّ شيء مثل مشقتها، وكأنّ ذلك لما يتكلفه الخطيب في مدحه وإطرائه للمُملِك، وربما لم يكن كذلك، فتحتاج إلى تطلب المخلص، فلذلك شقّ عليه. ومن ذلك قول الشاعر:

وَإِنَّ سِيَادَةَ الْأَقْوَامِ فَاعْلَمْ ***** هَا صُعْدَاءُ مَطْلَبُهَا شَدِيدٌ

فكان معنى "يصعد" يتكلف مشقة في ارتقاء صعداً ٣٧٣.

ويجوز أن يكون ﴿يَصْعَدُ﴾ و﴿يَصْعَدُ﴾ بمعنى كأنّ قلبه يصعد في السماء بُبُوًا على الإسلام واستماع الحكمة ٣٧٤.

وذهب ابن زنجلة رحمه الله تعالى إلى أنّ هذه القراءات ﴿يَصْعَدُ﴾ و﴿يَصْعَدُ﴾ و﴿يَصْعَدُ﴾ و﴿يَصْعَدُ﴾ كلها بمعنى واحد ٣٧٥.

والذي يتبين خلال ما سبق، أنّ هذه القراءات من حيث معنى الكلمة، فكلّها بمعنى واحد لا اختلاف فيها. وأمّا من حيث الدلالة فهي ليست بمعنى واحد، إذ أنّ لكل واحدة منها دلالتها الخاصة.

٣٧٣ ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ٣، ص ٤٠١. ومكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤٥١.

٣٧٤ ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٢، ٢٩٠.

٣٧٥ ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٧١.

فقراءة ﴿يَصْعَدُ﴾ بالتخفيف تدل على مجرد وقوع الفعل بدون كلفة ولا مبالغة. وأمّا قراءتي ﴿يَصْعَدُ﴾ و﴿يَصْعَدُ﴾ بالتشديد، تدلان على معنى أنه يتكلف ما يثقل عليه، وكأنه يتكلف شيئاً بعد شيء لا يطيقه، وذلك أثقل على فاعله، فهو يتعاطى ما لا يقدر عليه؛ لأنّ الله قد خذله أن يقبل الإيمان، وضيق صدره عن قبوله، ففي هاتين القراءتين المبالغة في المعنى على قراءة التخفيف، والله أعلم.

وتتكامل دلالة معنى القراءات في تشبيه حال الكافر ونفوره عن الإيمان وثقله عليه بمن يتكلف ما لا يطيقه كصعود السماء، ويتكلف ذلك مرّة بعد مرّة، وذلك أثقل على فاعله، فهو يتعاطى يريد أن يفعل ما لا يطيقه.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءتي ﴿يَصْعَدُ﴾ و﴿يَصْعَدُ﴾ بالتشديد، المبالغة في المعنى وتكثيرها على قراءة ﴿يَصْعَدُ﴾ بالتخفيف، التي تدل على مجرد وقوع الفعل بدون كلفة ولا مبالغة، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى، والله أعلم.

الموضع السادس عشر: قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٥].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾، فقرأها شعبة ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ بالألف على الجمع، وقرأها الباقون ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ بغير الألف على الأفراد^{٣٧٦}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

مَكَانَاتٍ مَدَّ النُّونَ فِي الْكُلِّ شُعْبَةً *** بِرَعْمِهِمُ الْحَرْفَانِ بِالضَّمِّ رُتِلَا^{٣٧٧}.

توجيه القراءة:

^{٣٧٦} ينظر: أبو علي المالكي، الروضة في القراءات، ج ٢، ص ٦٥٥. وأبو عمرو الداني، التيسير، ص ١٠٧. وابن

الجزري، تحبير التيسير، ص ٣٦٤.

^{٣٧٧} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٣، بيت رقم [٦٦٩].

أنَّ قراءة ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ بغير الألف على الأفراد؛ لإرادة الجنس، وهو مصدر يدل على القليل والكثير من صنفه، من غير جمع ولا تثنية، وأصل المصدر ألا يُثَنَّى ولا يُجمع؛ لأنَّ فائدته فائدة الفعل، إذ الفعل منه أُخذ، فكما لا يُجمع الفعل كذلك لا يُجمع المصدر، إلا أنَّ تختلف أنواعه، فيشابه المفعول ويجوز جمعه، وأصله ألا يُجمع، يقال مكن الرجل مكانه، فكأنَّه قال: اعملوا على حالكم وأمركم في دنياكم على التهديد والوعيد.

وقراءة ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ بالألف على الجمع، جمع مكانة، وهي مصدر من مكن يمكن مكانة، بمعنى: الحالة التي هم عليها، فلما كانوا على أحوال مختلفة من أمر دنياهم جُمع لاختلاف الأنواع، وهو مصدر كما جُمع الحِلْم على الأحلام والحلوم، والعلم على العلوم، فالمعنى: اعملوا على أحوالكم التي أنتم عليها، فليس يضرنا ذلك، وفي الكلام معنى التهديد والوعيد بمنزلة قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾ [المُرْسَلَات: ٤٦].

ويجوز أن يكون "مفعلة" من الكون، فيكون إما مصدرًا بمعنى الكينونة، أو موضعا كما يقال: مكان ومكانة، ومنزل ومنزلة، فجمع على المكانات؛ لأنَّه غير مصدر^{٣٧٨}.

واختلف في ميم "مكان ومكانة" فقيل: هي أصلية، وهما من مكن يمكن. وقيل: الميم زائدة، هما من الكون، فيكون المعنى على الأول: اعملوا على تمكُّنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم، وعلى الثاني: اعملوا على جهتكم وحالكم التي أنتم عليها^{٣٧٩}.

والذي يظهر في القراءتين أنَّهما بمعنى واحدٍ، فقراءة ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ بغير الألف على الأفراد لإرادة الجنس، وقراءة ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ بالألف على الجمع لمناسبة ما بعدها، فإنَّ المخاطبين جماعة وقد أضيفت إليهم، إذ أنَّ لكل واحد مكانة.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى تهديد الكفار على ما هو عليه حالهم وأحوالهم من التَّمكُّن والمنزلة ووجهتهم من العداوة، اثبتوا على كفركم وعداوتكم، فإنِّي ثابت على الإسلام على ما أمرني الله به، فسوف تعلمون أيُّنا تكون له العاقبة الحسنة المحمودة.

^{٣٧٨} ينظر: مكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤٥٢. وابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٢٧٤.

^{٣٧٩} ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٥، ص ١٥٨.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿مَكَانَتَكُمْ﴾ بالألف على الجمع، إفادتها الكثرة بأوضح صورة من قراءة ﴿مَكَانَتَكُمْ﴾ بغير الألف؛ لعدم احتمال قراءة ﴿مَكَانَتَكُمْ﴾ بالألف على الأفراد، واحتماله على قراءة ﴿مَكَانَتَكُمْ﴾ بغير الألف، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى، والعلم عند الله تبارك وتعالى.

الموضع السابع عشر: قوله تبارك وتعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿قَتَلُوا﴾، فقرأها ابن كثير وابن عامر ﴿قَتَلُوا﴾ بتشديد التاء، وقرأها الباقر ﴿قَتَلُوا﴾ بالتخفيف. وسبق الكلام عليها في موضع التاسع من آل عمران ٣٨٠.

الموضع الثامن عشر: قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿تَذَكَّرُونَ﴾، فقرأها حفص وحزمة والكسائي ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف في الدال، وقرأها الباقر ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بالتشديد ٣٨١. والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

٣٨٠ ينظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص ٢٧١. وابن فارس، التبصرة في القراءات الأئمة العشرة، ص ٢٥٦.
٣٨١ ينظر: ابن الباذش، الإقناع، ص ٣٢٢. وسبط الخياط، المبهج، ج ٢، ص ٢٧٢. والواسطي، الكنز في القراءات العشر، ج ٢، ص ٤٧٦.

وَتَذَكَّرُونَ الْكُلُّ حَفَّ عَلَى شَذًا *** وَأَنْ اكْسِرُوا شَرْعًا وَبِالْخِفِّ كَمَلًا ٣٨٢.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بالتخفيف، على حذف إحدى التاءين، أصلها "تذكرون"، حُذفت التاء الثانية لاجتماع المتقاربة للتخفيف، والثانية أولى بالحذف؛ لأنها المتكررة وهي التي تُدغم، والأولى إنما جاءت للمضارعة فهي أولى بأن تبقى.

وقراءة ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بالتشديد، أصلها "تذكرون" مثل قراءة التخفيف إلا أنَّ هذه خَفَّفت بالإدغام، فأدغام التاء الثانية في الدال.

وفي التشديد معنى تكرير التذكّر، كأنه تذكّر بعد تذكّر؛ ليفهم مَنْ خوطب بذلك. وهذه الكلمة مثل قراءة ﴿تَظْهَرُونَ﴾ بالتشديد و﴿تَظْهَرُونَ﴾ بالتخفيف.

ومعنى التخفيف والتشديد واحد، إلا أنَّ الصنعة فيهما تختلف، وكلاهما من حيث المعنى واحد، فبعضهم يخفّف بالإدغام لاجتماع المتقاربة، وبعضهم يخفّف بالحذف ٣٨٣.

والظاهر أنَّ القراءتين بمعنى واحد، غير أنَّ قراءة ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بالتشديد زيادة المبالغة في المعنى؛ لأنها جاءت على صيغة "التفعّل" الذي يدل على الاجتهاد والتكلف في الأمر.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في بيان درجات التذكّر المطلوب الوصول إليه، ومن كان أكثر في التذكّر يكون أكثر في الاعتبار والاتعاظ والاستقامة ٣٨٤.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بالتشديد إفادتها المبالغة والتكرير في المعنى؛ لأنها جاءت على صيغة "التفعّل" الذي يدل على الاجتهاد والتكلف في الأمر، فقوة اللفظ لقوة المعنى، وزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، والعلم عند الله تعالى.

٣٨٢ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٤، بيت رقم [٦٧٧].

٣٨٣ ينظر: مكّي بن أبي طالب، الكشف، ج ٢، ص ٤٥٧. ابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٥١٠.

٣٨٤ ينظر: مهنا محمود عبد الكريم وعيسى إبراهيم وادي، اتساع الدلالات، ج ١، ص ٥١٨.

الموضع التاسع عشر: قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِمَّا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].
ونظيره قوله تعالى في سورة الروم: ﴿مَنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الرُّوم: ٣٢].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿فَرَّقُوا﴾ في الموضعين سورة الأنعام والروم، فقرأها حمزة والكسائي ﴿فَرَّقُوا﴾ بالالف وتخفيف في الراء، وقرأها الباقون ﴿فَرَّقُوا﴾ بغير ألف مع التشديد^{٣٨٥}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَيَأْتِيهِمْ شَافٍ مَعَ النَّحْلِ فَارَّقُوا *** مَعَ الرُّومِ مَدَّاهُ خَفِيفًا وَعَدَلَا^{٣٨٦}.

ومن الدرة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

بِرْفَعٍ مَعًا عَنْهُ وَذَكْرٍ يَكُونُ فُرُ *** وَخِفْتُ وَأَنْ حِفْظٌ وَقُلْ فَرَّقُوا فَلَا^{٣٨٧}.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿فَرَّقُوا﴾ بالالف والتخفيف من المفارقة والفراق، بمعنى باينوا دينهم وخرجوا عنه؛ لأنهم حين آمنوا ببعضه وكفروا ببعض فقد فارقوا الكل. ويجوز أن تكون قراءة ﴿فَرَّقُوا﴾ بمعنى ﴿فَرَّقُوا﴾، كما يقال: ضاعفته وضعفته، وصاعر وصعّر.

وقراءة ﴿فَرَّقُوا﴾ بغير ألف مع التشديد من التفريق، بمعنى أتهم بدّدوا دينهم وجرّوه بأن آمنوا ببعض وكفروا ببعض، ففرّقوا إيمانهم ودينهم. وقد قال تعالى عنهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

^{٣٨٥} ينظر: أبو عمرو الداني، جامع البيان في القراءات السبع، ج ٣، ص ١٠٦٩. والسرقسطي، العنوان في القراءات السبع، ص ٩٣.

^{٣٨٦} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٤، بيت رقم [٦٧٨].

^{٣٨٧} ابن الجزري، الدرة المضيئة، ص ٢٨، بيت رقم [١١١].

يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿النِّسَاء: ١٥٠﴾، وكما قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]، فهم لم يكونوا كالمؤمنين الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ [آل عمران: ١١٩] ٣٨٨.

وقيل: معنى ﴿فَرَّقُوا﴾: أي تَنَصَّرَ بعضهم وَتَهَوَّدَ بعضهم وَتَمَجَّسَ بعضهم، وتصديق ذلك قوله: ﴿وَكَانُوا شِيعًا﴾ أي: فرقا وأحزابا ٣٨٩.

والذين يتبين خلال ما سبق، أنَّ القراءتين بمعنى واحد؛ لأنَّ الذي فرَّق دينه بمعنى أنَّه آمن ببعض وأنكر بعضاً منه، فقد فارقه في الحقيقة وخرج منه.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى الوعيد لمن فرَّق دينه وجزَّاه، فأمن ببعض وأنكر بعضاً، فقد فارق الدين وخرج منه كلياً. كما تشير إليه أيضاً إلى أهمية الاجتماع والاتلاف، والنهي عن التفرق والتحزب في الدين.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿فَرَّقُوا﴾ بالتشديد، تأكيد المعنى وزيادة؛ لأنَّه يلزم من التفریق المفارقة، ولا يلزم المفارقة التفریق، وعلى هذا تفيد قراءة التشديد مبالغة المعنى على قراءة التخفيف، فقوة اللفظ لقوة المعنى، والعلم عندالله تبارك وتعالى.

الموضع العشرون: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١].

القراءة:

٣٨٨ ينظر: مكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤٥٨. وابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٥١٥.

٣٨٩ ينظر: مكي بن أبي طالب، الهداية الى بلوغ النهاية، ج ٣، ص ٢٢٥٤. وذكر البغوي - رحمه الله - أنَّ قراءة ﴿فَرَّقُوا﴾ بمعنى أي: جعلوا دين الله وهو واحد - دين إبراهيم عليه السلام الحنيفية - أدياناً مختلفة، فتهوّد قوم وتنصّر قوم، يدل عليه قوله عز وجل: ﴿وَكَانُوا شِيعًا﴾ أي: صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى في قول مجاهد وقتادة والسدي. وقيل: هم أصحاب البدع والشبهات من هذه الأمة. روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ينظر: الحسين بن مسعود، أبو محمد البغوي محيي السنة، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق: محمد النمر وزميلاه، (مصر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، ج ٣، ص ٢٠٨.

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿قِيمًا﴾، فقرأها ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿قِيمًا﴾ بكسر في القاف وفتح الياء مع التخفيف، وقرأها الباقون ﴿قِيمًا﴾ بفتح في القاف وكسر الياء مع التشديد ٣٩٠.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَكَسَّرَ وَفَتَحَ حَفَّ فِي قِيمًا ذَكَا *** وَيَاءُهَا وَجْهِي مَمَائِي مُقْبِلًا ٣٩١.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿قِيمًا﴾ بكسر في القاف وفتح الياء مع التخفيف، أنَّها مصدر كالشَّيْع، وكان القياس ألا يُعَلَّ كما لم يُعَلَّ "عَوَضًا وَحَوَلًا"، فعلته خارجة عن القياس، وأصل الياء فيه واو كنحو "ثِيَرَة وجياد" جمع ثور وجواد بالإعلال، فكان القياس ألا يُعَلَّ كـ "طوال" فلم يُعَلَّ.

وقراءة ﴿قِيمًا﴾ بفتح في القاف وكسر الياء مع التشديد أنَّها صفة للدين، وهو "فِيْعَلٌ" من قام بالأمر، فأصله "قيوم" ثم أدغمت الياء في الواو كميّت.

ومعنى "قِيم" مستقيم، أي دينًا مستقيمًا لا عوج فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [التَّوْبَة: ٣٦]، وقوله: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البَيِّنَة: ٥] ٣٩٢.

وذكر الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى ٣٩٣ أنَّ في قراءة ﴿قِيمًا﴾ لها ثلاث توجيهات: أولاً: أنَّه صفة المشبهة من: قام، يقوم، فهو قَيِّم، بمعنى: استقام، يَسْتَقِيم، فهو مستقيم، فهو كالتوكيد لما قبله. والعرب تطلق "قام" وتريد: استقام، ومنه قوله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾ [آل عِمْرَان: ١١٣] أي: مستقيمة على الدين.

٣٩٠ ينظر: أبو علي الأهوازي، الوجيز، ج ١٨١. ابن الجزري، تحبير التيسير، ص ٣٦٨.

٣٩١ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٤، بيت رقم [٦٧٨].

٣٩٢ ينظر: مكِّي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤٥٩. وابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٥١٧.

٣٩٣ هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر، الجكني المشهور بالشنقيطي، العلامة المفسر الفقيه، المتوفى بمكة سنة (١٣٩٣هـ). ينظر: الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ٤٥.

ثانيًا: بمعنى: أن اتّباعه يقوم بشؤون الدين وينظّم علاقاتها ومصالحها في الدنيا والآخرة، من قولهم: فلان قيّم على أهله، أي: قائم بمصالحهم وشؤونهم، ودين الإسلام جامع بين الوصفين، هو قيّم يعني بأحوال الدنيا والآخرة؛ لأنّ مُتَّبِعَهُ يصلح له جميع أموره. ثالثًا: أنه "فِعْلٌ" من قام بالأمر، بمعنى: استقام، فهو أيضًا في غاية الاستقامة، أي دينًا مستقيمًا لا عوج فيه، وهو كالتوكيد لما قبله.

وأما على قراءة ﴿قِيَمًا﴾ فالقيّم هنا مصدر قليل، كقولهم: كبر كبيرًا، وعظم عظمًا، وشبع شبعًا، وقام قيّمًا، فهو مصدر بمعنى "القيام" نعت به، و"قام" التي مصدرها "قيّمًا" هنا من "قام" التي بمعنى "استقام"، فهو راجع في المعنى إلى قراءة ﴿قِيَمًا﴾ بالتشديد، إلا أنّه من النعت بالمصدر، كقولهم: رجل كرم، وفلان عدل؛ لأنّ العدل مصدر. والعرب إذا نعتت بالمصدر فهو على حذف المضاف؛ أي: ذو قيّم؛ أي: استقامة، زيد كرم؛ أي: ذو كرم، أو كأنهم بالغوا فيه حتى جعلوه عين القيّم، بمعنى الاستقامة، وكأنهم بالغوا في كرم زيد حتى جعلوه عين الكرم.

والمصدر المُنَكَّرُ يؤول بالوصف، فيرجع معنى المصدر إلى معنى "قيّمًا"، الذي هو الصفة المشبهة من "قام"، فيرجع معنى الأقوال إلى شيء واحد؛ لأنّ النعت بالمصدر معناه: ذو قيّم؛ أي: استقامة، أو هو استقامة بعينه، كأنه لشدة استقامته سُمِّيَ "استقامة" لشدة استقامته، أو لأنّه مصدر أُريد به الوصف، فيكون "قيّمًا" بمعنى: "قيّمًا" ٣٩٤.

والقيّم بمعنى المبالغة في القيام بالأمر، وهو مرادف القيوم، فيستعار القيام للكفاية بما يحتاج إليه، والوفاء بما فيه صلاح المقوم عليه، فالإسلام قيّم بالأمة وحاجتها، يقال: فلان قيّم على كذا، بمعنى مدبّر له ومصلح. والقيّم من صيغ مصادر "قام"، فهو وصف للدين بمصدر القيام المقصود به كفاية المصلحة للمبالغة، وهذه زنة قليلة في المصادر ٣٩٥.

وقيل بأنّ القراءتين لغتان بمعنى واحدٍ من الاستقامة. أي: الدين المستقيم ٣٩٦.

٣٩٤ ينظر: الشنقيطي، العذب النمير، ج ٢، ص ٦١٥.

٣٩٥ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ١٩٩.

٣٩٦ ينظر: ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، ج ١٠، ص ٤٥.

والذي يظهر خلال ما سبق، أنّ القراءتين بمعنى واحدٍ غير أنّ قراءة ﴿قِيَمًا﴾ هي من الوصف بالمصدر، وهو يدل على الزمن، فالقيَم: مصدر كالشَّبَع والصَّغَر والكِبَر.

وقراءة ﴿قِيَمًا﴾ صفة مشبَّهة تدل على الثبوت والدوام، من: قَامَ، يقوم، فهو قِيَمٌ، بمعنى: اسْتَقَامَ، يَسْتَقِيمُ، فهو مستقيم، فهو كالتوكيد لما قبله، ففي كلا القراءتين نوع من التوكيد والمبالغة، وإن كانت المبالغة أظهر في قراءة التشديد.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة بأنّ دين الإسلام دين مستقيم باستقامة دائمة لا اعوجاج فيه، ويقوم بجميع مصالح الناس في الدنيا والآخرة، فهذا من نعم الله على المسلمين، فعليهم أن يهتموا بها ويحمدوا ربهم على هذه النعمة، ويسألوه الثبات فيها، فله الحمد والمنّة، توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿قِيَمًا﴾ بالتشديد، إفادتها المبالغة في المعنى؛ لأنها صفة مشبَّهة تدل على الثبوت والدوام، فالمبالغة في قراءة ﴿قِيَمًا﴾ بالتشديد أكثر من قراءة ﴿قِيَمًا﴾ بالتخفيف على المصدر؛ لأنّ المصدر يدل على الحدوث فقط بدون إفادة الثبوت والدوام، وقراءة ﴿قِيَمًا﴾ بالتشديد تفيد ذلك، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوّة اللفظ لقوّة المعنى، والله تعالى أعلم.

تنبيه: هذه الكلمة ﴿قِيَمًا﴾ تكررت ثلاث مرات في هذه الرسالة، مرّت في سورة النساء والمائدة وهنا في الأنعام؛ لاختلاف المعنى في كل موضع.

وهذه نهاية هذا المبحث، وقد تضمّن عشرين موضعًا من القراءات العشر المتواترة الفرشية في سورة الأنعام، التي زاد مبنى الكلمة بالألف أو بالثقل والتخفيف، أو التي تحوّل مبنى الكلمة إلى الأقوى على القراءة الأخرى، المتعلّق بالمعنى في كلمة واحدة، كما هو في حدود البحث. وقد سعى الباحث في هذا المبحث بيان وجه التكامل بين القراءات وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة. وبهذا ينتهي هذا الفصل.

خلاصة الفصل

وخلاصة هذا الفصل تتمثل في الآتي:

أنّه تناول القراءات العشر المتواترة الفرشية، التي اختلفت بنية كلماتها مع القراءة الأخرى في نفس الكلمة، أو التي تحوّل وزنها وأبنيتها إلى أقوى منها المتعلّق بالمعنى، من أول سورة النساء إلى آخر سورة الأنعام. حيث بلغ عدد الكلمات الفرشية في هذا الفصل، واحدًا وأربعين قراءةً، إحدى عشرة قراءةً في سورة النساء، وعشر قراءات في سورة المائدة، وعشرين قراءةً في سورة الأنعام، فمجموع ما في هذا الفصل واحد وأربعون قراءةً.

ومما تبرز نتيجة هذا الفصل، قراءة ﴿فَتَحَّنَا﴾ بالتشديد وقراءة ﴿فَتَحَّنَا﴾ بالتخفيف، فقراءة التشديد فيها زيادة في المبنى على قراءة التخفيف، فأفادت الزيادة المبالغة وتكثير المعنى. وكذلك في قراءة ﴿وَحَرَّقُوا﴾ بالتشديد وقراءة ﴿وَحَرَّقُوا﴾ بالتخفيف، ففي قراءة ﴿وَحَرَّقُوا﴾ بالتشديد، المبالغة في المعنى على قراءة ﴿وَحَرَّقُوا﴾ بالتخفيف؛ لأنّ الفعل يدل على قوّة حصول الفعل. فقراءة ﴿وَحَرَّقُوا﴾ بالتشديد تفيد المبالغة في المعنى وتكرير الفعل وتكثير المعنى أكثر من قراءة ﴿وَحَرَّقُوا﴾ بالتخفيف، فهذه دلالة الزيادة وأثرها في المعنى. كما تبرز أيضًا في قراءة ﴿يَصْعَدُ﴾ بالتخفيف وقراءة ﴿يَصْعَدُ﴾ و﴿يَصْعَدُ﴾ بالتشديد، فقراءة ﴿يَصْعَدُ﴾ بالتخفيف، تدل على مجرد وقوع الفعل بدون كلفة ولا مبالغة. وأمّا قراءتي التشديد، ففيها مبالغة في المعنى وتكثيرها على قراءة ﴿يَصْعَدُ﴾ بالتخفيف. فالذي أضافته زيادة المبنى على المعنى هنا المبالغة. وغير ذلك من النتائج التي توصّل إليها البحث في هذا الفصل، والله الحمد والمِنَّة.

الفصل الخامس

أثر دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى في القراءات القرآنية في سورة الأعراف والأنفال والتوبة

التمهيد

يتناول هذا الفصل المتواتر من القراءات الفرشية العشرية، التي تختلف بنية كلماتها مع القراءة الأخرى في نفس الكلمة بالزيادة بالألف، أو بالثقل والتخفيف، أو التي تحوّل وزنها وأبنيتها إلى أقوى منها التي تتعلّق بالمعنى، من بداية سورة الأعراف إلى نهاية سورة التوبة.

وقد بلغ عدد الكلمات الفرشية في هذا الفصل، أربعاً وثلاثين موضعاً من القراءات القرآنية، عشرين موضعاً في سورة الأعراف، وسبع مواضع في سورة الأنفال، وكذلك في سورة التوبة سبع مواضع.

ويعتمد الباحث في هذا الفصل على كتب الرواية والدراية من القراءات، وكذلك كتب توجيه القراءات والتفسير واللغة وغيرها بإذن الله تعالى.

ويورد البحث الدليل على القراءات من منظومتي الشاطبية للإمام الشاطبي والدرّة المضية للإمام ابن الجزري رحمهما الله تعالى، مع تعميق محل الشاهد في البيت، الكلمة القرآنية والرمز أو اسم القارئ، وإذا كان القراء الثلاثة التي في الدرّة على أصولهم لم يختلفوا، أكتفي بذكر الشاهد من الشاطبية كما عليه ابن الجزري في الدرّة، أنّه ذكر فيها ما اختلف القراء الثلاثة أصولهم وشيوخهم في الشاطبية فقط.

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: سورة الأعراف.

المبحث الثاني: سورة الأنفال.

المبحث الثالث: سورة التوبة.

المبحث الأول: سورة الأعراف

تناول هذا المبحث أثر دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى في القراءات القرآنية الفرشية في سورة الأعراف، التي زاد مبنى الكلمة على القراءة الأخرى المتعلق بالمعنى، أو تحوّل وزن الكلمة إلى أقوى منه في المعنى.

ويحاول البحث مناقشة ذلك الأثر وعرضه على أقوال علماء التوجيه والمفسرين في هذه السورة واحدًا بعد واحد، حسب ترتيب القراءات وإيرادها في هذه السورة.

الموضع الأول: قول الله تبارك وتعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿تَذَكَّرُونَ﴾، فقرأها حفص وحمة والكسائي وخلف ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الذال، وقرأها الباقر ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بالتشديد غير ابن عامر، فإنه قرأ ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ بياء قبل التاء وتخفيف في الذال^١.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَتَذَكَّرُونَ الْعَيْبَ زِدْ قَبْلَ تَائِهِ *** كَرِيمًا وَخِفْ الذَّالِ كَمْ شَرَفًا عَلَا^٢.

والكلام عليها مثل ما سبق في كلمة ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ في موضع الثامن عشر من سورة الأنعام.

الموضع الثاني: قول الله تبارك اسمه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

^١ ينظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص ٢٧٨. والهدلي، الكامل، ص ٥٥٠. وابن بليمة، تلخيص العبارات، ص ٩٣.

^٢ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٤، بيت رقم [٦٨١].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿يُنزِّلُ﴾، وقد سبق الكلام عليها في موضع التاسع من سورة البقرة.

الموضع الثالث: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿تُفْتَحُ﴾، فقرأها حمزة والكسائي وخلف ﴿يُفْتَحُ﴾ بالياء مع التخفيف. وقرأها أبو عمرو ﴿تُفْتَحُ﴾ بالتاء وتخفيف التاء الثانية، وقرأها الباقون ﴿تُفْتَحُ﴾ بالتاء وتشديد التاء الثانية^٣.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَحَالِصَةُ أَصْلٍ وَلَا يَعْلَمُونَ قُلْ *** لِشُعْبَةٍ فِي الثَّانِي وَيُفْتَحُ شَمَلًا.
وَحَقِيقٌ شَفَا حُكْمًا وَمَا الْوَاوُ دَعَا كَفَى *** وَحَيْثُ نَعَمْ بِالْكَسْرِ فِي الْعَيْنِ رُبْلًا.
ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

هَذَا تُخْرِجُوا سَمِيَّ نَصْبُ خَالِصَهُ *** أَتَى تُفْتَحُ اشْدُدْ مَعَ أَبْلَغُكُمْ حَلَاةً.

توجيه القراءة:

أنّ قراءة ﴿يُفْتَحُ﴾ بالياء وتخفيفها على التذكير؛ لأنّ تأنيث الأبواب غير حقيقي، وأيضاً لأنّه فُرق بين المؤنث وفعله، وكلا العلتين تجيز التذكير.

^٣ ينظر: أبو الحسن ابن غلبون، التذكرة في القراءات الثمان، ص ٣٤٠. وأبو العلاء الهمداني، غاية الاختصار، ص ٤٩٤.

^٤ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٤، بيت رقم [٦٨٤ - ٦٨٥].

^٥ ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٨، بيت رقم [١١٣].

وقراءة ﴿تُفْتَحُ﴾ بالتاء مع تخفيفها على تأنيث الأبواب؛ لأنها جماعة.
 وقراءة ﴿تُفْتَحُ﴾ بالتاء والتشديد؛ لتأنيث الأبواب كما هو في قراءة ﴿تُفْتَحُ﴾ بالتاء.
 والتشديد لكثرة الأبواب؛ لأنه يقتضي فتحاً بعد فتح، فهو على معنى التكرير والتكثير
 مرة بعد مرة. وحجته قوله تعالى: ﴿جَنَّتِ عَدْنٍ مُّفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠].
 وأما التخفيف؛ فلأنَّ الفعل المخفَّف قد يُستفاد منه الكثرة من المشدَّد، وقد أجمعوا
 على التخفيف في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾
 [الحجر: ١٤]٦.

ومعنى الآية: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾: أي: لا تفتح لأرواحهم إذا خرجت من
 أجسادهم أبواب السماء، ولا يصعد لهم في حياتهم إلى الله تبارك وتعالى قول ولا عمل؛ لأنَّ
 أعمالهم خبيثة، وإنما يرفع الكلم الطيب والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ
 الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]٧.
 وقال بعضهم: لا تفتح لهم أبواب السماء، أي أبواب الجنة؛ لأنَّ الجنة في السماء،
 والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾، فكأنَّه لا تفتح لهم أبواب الجنة ولا
 يدخلونها ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾٨.
 ويظهر مما سبق، أنَّ قراءة ﴿تُفْتَحُ﴾ بالتشديد تفيد كثرة الأبواب، وقراءة ﴿يُفْتَحُ﴾
 و﴿تُفْتَحُ﴾ بالتخفيف تفيد التقليل. ويجوز أن تفيد التكرير أيضاً. لكنَّ التضعيف هنا أوضح
 للكثرة.
 فقراءة التشديد تفيد المبالغة في نفي فتح أبواب السماء لقبول أعمال المكذِّبين بآيات
 الله أو لدخولهم الجنة مع كثرة الأبواب فلا يفتح لهم ولو باباً واحداً.
 وقراءة التخفيف تفيد نفي الفتح بدون المبالغة لمن كذَّب بآيات الله واستكبر، فلا
 يفتح لهم الأبواب.

٦ ينظر: مكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤٦٢. وابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٥٢٧.

٧ ابن جرير، تفسير الطبري، ج ١٠، ص ١٨٢.

٨ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٢، ص ٣٣٧.

وأما التذكير والتأنيث؛ لأنّ الأبواب مؤنث غير حقيقي يجوز فيه التذكير والتأنيث، أو يكون للفصل بين المؤنث وفعله.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى نفي فتح أبواب السماء لقبول أعمال الكفار وأرواحهم، أو لدخولهم الجنة مع كثرة الأبواب، فلا يفتح لهم ولو باباً واحداً، وتُفتح للمؤمنين مرة بعد مرة. وهذا يفيد المبالغة في النكال والعقوبة عليهم، أعاذنا الله من ذلك.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿تُفْتَحُ﴾ بالتاء والتشديد، إفادة المبالغة في المعنى بأوضح صورة على قراءة التخفيف. فقوة اللفظ لقوة المعنى، وزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، والله تعالى أعلم.

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۚ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

ونظيره قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿يُغْشِي﴾، فقرأها حمزة والكسائي وخلف وشعبة ويعقوب ﴿يُغْشِي﴾ بفتح في الغين وتشديد في الشين، وقرأها الباقون ﴿يُغْشِي﴾ بسكون في الغين وتخفيف في الشين^٩.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَيُغْشِي بِهَا وَالرَّعْدُ ثَقُلَ صُحْبَةً *** وَوَالشَّمْسُ مَعَ عَطْفِ الثَّلَاثَةِ كَمَلًا^{١٠}.

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

^٩ ينظر: أبو عمرو الداني، التيسير، ص ١١٠. وابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ٢٠٩. والقرطبي، المفتاح في

اختلاف القراءة السبعة، ص ١٧٤.

^{١٠} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٤، بيت رقم [٦٨٧].

يُغَشِّي لَهُ أَنْ لَعْنَةُ أَتْلُ كَحَمْزَةٍ *** وَلَا يَخْرُجُ اضْمُمْ وَاكْسِرِ الْخُلْفُ بِجَلَا ١١.

توجيه القراءة:

أَنَّ قراءة ﴿يُغَشِّي﴾ بالفتح وتشديد الشين، من غَشَى يَغَشِّي أي يَغَشِّي الله الليل النهار، وحجته كما جاء في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَعَشَّهَا مَا غَشَّى﴾ [التَّجْم: ٥٤].

وقراءة ﴿يُغَشِّي﴾ بسكون الغين وتخفيف في الشين، من أغشى يَغْشَى، وحجته قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلَهَا وَتَرَهُّفُهُمْ ذَلَّةٌ مِمَّا هُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ [يُونُس: ٢٧] ولم يقل غَشَّيت ١٢.

فـ ﴿يُغَشِّي﴾ بالتخفيف من أغشى على "أفعل"، وـ ﴿يُغَشِّي﴾ بالتشديد من غَشَى على وزن "فَعَّل"، فالهمزة والتضعيف كلاهما للتعدية أكسبا الفعل مفعولاً ثانياً؛ لأنَّه في الأصل متعدٍ لواحدٍ فصار الفاعل مفعولاً ١٣.

و"غَشَى وأغشى" بمعنى واحدٍ، يأتي كل منهما في القرآن بمعنى الآخر، كقوله تعالى: ﴿فَعَشَّهَا مَا غَشَّى﴾، فقد أجمع القراء كلهم على التضعيف. وقوله تعالى: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾، أجمعوا كلهم على الهمزة وعدم التشديد.

ومعنى: ﴿يُغَشِّي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ أي: يجعل الليل مُغَشِّياً للنهار، أي: مُغَطِّياً ضوء النهار بظلامه، يذهب بضوء النهار ويغطي ضوءه بظلام الليل، تقول العرب: أغشاه الشيء يغشيه. إذا جعله غشاء له وساتراً ومغطياً له ١٤.

وقيل بأنَّ قراءة التشديد توجب تكرير المعنى ١٥، وكذلك هو فعل يتكرّر ويتردّد، وذلك أنَّ كل يوم دخل ليله غير ليل اليوم الآخر، فالتغشية مكررة لمحيئها يوماً بعد يوم، وليلة بعد ليلة.

١١ ابن الجزي، الدرّة المضيّة، ص ٢٨، بيت رقم [١١٤].

١٢ ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٨٤.

١٣ ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٥، ص ٣٤١.

١٤ ينظر: الشنقيطي، العذب النمير، ج ٣، ص ٣٨١.

وقراءة التخفيف بمعنى: يورد الليل على النهار فيلبسه إياه، حتى يذهب بضوئه^{١٦}.
والذي يتبين في القراءتين أنهما بمعنى واحد، غير أن قراءة ﴿يُغَشِّي﴾ بالتشديد تفيد تكرير الفعل ومداومته.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى تبادل الليل والنهار وتداخلهما، يغطي الليل النهار، ويغطي النهار الليل، واستمرارية ذلك في كل يوم وليلة إلى قيام الساعة، وكل هذا دلالة على عظمة الرب، جلّ ربنا تبارك وتعالى.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿يُغَشِّي﴾ بالتشديد، إفادتها المبالغة في تكثير المعنى وتكرير الفعل ومداومته، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى، والله تعالى أعلى وأعلم.

الموضع الخامس: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِيَلْدِ مِمَّيْنَنَّا فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿الرِّيحَ﴾، فقرأها ابن كثير وحمة والكسائي وخلف ﴿الرِّيحَ﴾ بسكون الياء من غير ألف على الأفراد، وقرأها الباقون ﴿الرِّيحَ﴾ بفتح الياء وألف بعدها على الجمع^{١٧}.

وقد سبق الكلام عليها في موضع الثالث عشر من سورة البقرة.

^{١٥} وهو قول البيضاوي. ينظر: عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد الشيرازي، تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٨هـ)، ج ٣، ص ١٦.

^{١٦} ينظر: مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، ج ٤، ص ٢٣٩٧.

^{١٧} ينظر: ابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٢٢٣.

الموضع السادس: قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿تَذَكَّرُونَ﴾، فقرأها حفص وحمة والكسائي ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الذال، وقرأها الباقون ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بالتشديد^{١٨}. وقد سبق الكلام عليها في موضع الثامن عشر من سورة الأنعام.

الموضع السابع: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٢].

ونظيره بعده في قوله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨].

ونظيره قوله تعالى في سورة الأحقاف: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِيتُمْ قَوْمًا بِجَهْلُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٣].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ في ثلاث مواضع كما سبق في هذه الآيات، فقرأها أبو عمرو ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ بسكون الباء وتخفيف في اللام، وقرأها الباقون ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ بفتح الباء وتشديد في اللام^{١٩}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَرَأَى مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ خَفَضُ رَفْعِهِ *** بِكُلِّ رَسَا وَالْخِفُّ أُبَلِّغُكُمْ حَلَا.

^{١٨} ينظر: ابن الباذش، الإقناع، ص ٣٢٢. والواسطي، الكنز في القراءات العشر، ج ٢، ص ٤٧٦.

^{١٩} ينظر: أبو الطيب ابن غلبون، الإرشاد في القراءات، ص ٦٤١. وأبو عمرو الداني، جامع البيان في القراءات السبع، ج ٣، ص ١٠٩٣.

مَعَ أَحْقَافِهَا وَالْوَاوُ زِدْ بَعْدَ مُفْسِدٍ *** يَنْ كُفُّوا وَبِالْإِخْبَارِ إِنَّكُمْوَعَلَا ٢٠.
ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

هَذَا تُخْرِجُوا سَمَى حَمَى نَصَبُ خَالِصَةٍ *** أَتَى تُفْتَحُ أَشَدُّ مَعَ أُبْلِغُكُمْ حَلَا ٢١.

توجيه القراءة:

أَنَّ قراءة ﴿أُبْلِغُكُمْ﴾ بسكون الباء وتخفيف في اللام، على وزن "أَفْعَل" من أبلغ يبلِّغ، وحجته قول الله تعالى: ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٩٣].

وقراءة ﴿أُبْلِغُكُمْ﴾ بفتح الباء وتشديد في اللام، على وزن "فَعَّل" من بَلَّغ يبلِّغ، وحجته قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَتِي اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩]، وهما لغتان مثل عظمت الأمر وأعظمته^{٢٢}، فردّ ما اخْتُلِفَ فيه إلى ما أُجْمِعَ عليه في هذا التوجيه.

و"بَلَّغَ" فعل يتعدّى إلى مفعول واحد في نحو: بلغني نجاحك، فإذا نقلته تعدّى إلى مفعولين. والنقل يكون بالهمز أو بتضعيف العين، وكلاهما جاء القرآن الكريم بهما، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ [هود: ٥٧]، فهذا نقل بالهمزة. والنقل بالتضعيف كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]، فكلا الأمرين في القرآن وارد، وكلّ واحدة من اللغتين مثل الأخرى في مجيء القرآن بها^{٢٣}، غير أنّ قراءة التشديد تفيد تكرير الفعل ومدامته^{٢٤}.

^{٢٠} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٤، بيت رقم [٦٩٠-٦٩١].

^{٢١} ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٨، بيت رقم [١١٣].

^{٢٢} ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٨٦.

^{٢٣} ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٤، ص ٤١.

^{٢٤} ينظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ١٥٧.

والظاهر أنّ القراءتين بمعنى واحدٍ، كأنزل ونَزَلَ، نَجَّيْتَهُ وَأَنْجَيْتَهُ، إلا أنّ قراءة ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ بالتشديد تفيد مبالغة في المعنى أكثر من قراءة ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ بالتخفيف.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى أنّ مسؤولية الأنبياء والرسل ووظيفتهم، هو البلاغ عمّا أرسلوا به من الرسالة بالنيصحة، وليس كما يتوهمه قومهم أنّهم ضلّال أو سفهاء أو كاذبون وغير ذلك مما يتّهمون الرسل به من الضلالة والسفاهة والكذب، فهم مبلّغون عن الله وناصحون له دائماً، لا ينقطعون عن ذلك بأيّ حال من الأحوال فهم ثابتون عن البلاغ والإبلاغ عنه.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ بالتشديد، دلالتها على المبالغة في المعنى، ففيها تكرير الفعل ومداومته، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوّة اللفظ لقوّة المعنى، والله تعالى أعلم.

الموضع السابع: قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

القراءة:

اختلف القرّاء في قراءة كلمة ﴿فَتَحْنَا﴾، فقرأها ابن عامر وأبو جعفر ورويس ﴿فَتَحْنَا﴾ بتشديد التاء، وقرأها الباقر ﴿فَتَحْنَا﴾ بتخفيفها^{٢٥}. وقد سبق الكلام عليها في موضع الثالث من سورة الأنعام.

الموضع الثامن: قول الله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٢]. ونظيره قوله تبارك تعالى في سورة يونس: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ﴾ [يونس: ٧٩].

^{٢٥} ينظر: أبو علي الأهوازي، الوجيز، ص ١٧١. وابن الجزري، تخبير التيسير، ص ٣٥٥.

القراءة:

اختلف القرّاء في قراءة كلمة ﴿سُحْرِ﴾ هنا في سورة الأعراف ويونس، فقرأها حمزة والكسائي وخلف ﴿سَحَّارٍ﴾ بتشديد في الحاء وألف بعدها في الموضعين، وقرأها الباقون ﴿سُحْرِ﴾ بألف قبل الحاء وتخفيف الحاء ٢٦.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

عَلَيَّ عَلَى حَصُّوْا وَفِي سَاحِرٍ بِهَا *** وَيُونُسَ سَحَّارٍ شَفَا وَتَسْلَسَلَا ٢٧.

توجيه القراءة:

أنّ قراءة ﴿سَحَّارٍ﴾ بالتشديد على وزن "فَعَّال"، والوجه أنّ المراد به كثير السحر، وقد أجمع القرّاء على قراءة ﴿سَحَّارٍ﴾ بالتشديد في الشعراء عند قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ [الشُعْرَاء: ٣٧]، فجرى هذا عليه، وقوي ذلك أنّه وُصف بـ﴿عَلِيمٍ﴾، فدل على التناهي. وبناء ﴿سَحَّارٍ﴾ على "فَعَّال" إنما هو للمبالغة في الفعل، وُضع لمن يكثر منه الفعل ويتكرّر، وقد وصف الله تعالى هؤلاء السحرة بقوله: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]، فلهذا وُصفوا ههنا بالمبالغة في السحر.

وقراءة ﴿سُحْرِ﴾ بألف على وزن "فاعِل" كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩]، وجمع الساحر "السَّحَرَة"، يدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجْدِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٠]، وقوله: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ﴾ [الشُعْرَاء: ٤٠]. والسحرة جمع ساحر، ككاتب وكتّبة، وفاجر وفجّرة.

ومن حجة هذه القراءة قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦]، واسم الفاعل على "سحروا" هو "ساحر".

٢٦ ينظر: ابن مهران، الغاية في القراءات العشر، ص ١٥٧. والنشّار، المكرّر في ما تواتر من القراءات، ص ١٣٣.

٢٧ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٥، بيت رقم [٦٩٣].

ويجوز أن يكون ﴿سُحِرَ﴾ بمعنى ﴿سَحَّارَ﴾، وذلك أن لفظ فاعل يتضمّن الجنسية، وقد يطلق على الكثير؛ لأنّه مأخوذ من المصدر، والمصدر جنس، فقد يجوز أن يتضمّن "ساحر" ما يتضمّنه "سَحَّار" من الكثرة^{٢٨}.

وذكر ابن خالويه - رحمه الله تعالى - أن قراءة التشديد على إرادة تكرير الفعل والإبلاغ في العمل، والدلالة على أن ذلك ثابت لهم فيما مضى من الزمان، كما يقال: هو دَحَّال خَرَّاج إذا كثُر ذلك منه وعُرف به^{٢٩}.

ومعنى "السَحَّار" الذي يديم السحر، و"الساحر" بمعنى الذي يسحر في وقت دون وقت. وقيل: الساحر هو المبتدئ في السحر، والسَحَّار هو المنتهي الذي يُتعلّم منه الناس السحر^{٣٠}.

ويظهر مما سبق أن قراءة ﴿سَحَّارَ﴾ بالتشديد تفيد تكرير الفعل والمبالغة فيه. وقراءة ﴿سُحِرَ﴾ بالتخفيف على أنّه اسم فاعل "ساحر"، مأخوذ من الفعل "سَحَرَ"، والفعل يفيد الحدوث والزمن فقط، ولا يدل على المبالغة.

وتتکامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى سعي فرعون وملائه بطلب جميع أنواع السحرة المهرة في السحر بكل مكان، المتلزمين المتقنين للسحر، حتى يتمكنوا من الغلبة في زعمهم على موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿سَحَّارَ﴾ بالتشديد، إفادتها المبالغة في المعنى وتكرير الفعل على قراءة ﴿سُحِرَ﴾ بالتخفيف، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوّة اللفظ لقوّة المعنى، والعلم عند الله تبارك وتعالى.

الموضع التاسع: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: ١١٧].

^{٢٨} ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٤، ص ٦٤. ومكي ابن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤٧٢. ابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٥٤٦.

^{٢٩} ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ١٦٠.

^{٣٠} ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج ٥، ص ٢٤.

ونظره قوله تعالى في سورة طه: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩].

وقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الشُّعْرَاء: ٤٥].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿تَلَقَّفُ﴾، فقرأها حفص ﴿تَلَقَّفُ﴾ بسكون في اللام وتخفيف في القاف، وقرأها الباقون ﴿تَلَقَّفُ﴾ بفتح في اللام وتشديد في القاف، ويزيد البزّي تشديد التاء إذا وصلها بـ ﴿هي﴾ فيكون ﴿فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفُ﴾^{٣١}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَفِي الْكُلِّ تَلَقَّفُ خِفْتُ حَفْصٍ وَضُمٍّ فِي *** سَنَقُتْلُ وَانْكَسَرَ ضَمُّهُ مُتَقَفًا^{٣٢}.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿تَلَقَّفُ﴾ بالتخفيف، من لَقَفَ يَلْقَفُ، كَعَلِمَ يَعْلَمُ وَرَكِبَ يَرْكَبُ، يقال: لَقَفْتُ الشيءَ أَلَقَفُهُ لَقْفًا وَلَقْفَانًا، وهو: أخذ الشيءَ بحذق في الهواء. ورجلٌ ثَقِفٌ لَقْفٌ، إذا كان حاذقًا، وبعضهم يقول: ثَقِفٌ لَقِفٌ. وَلَقَفَ يَلْقَفُ كقول الشاعر:

أَنْتَ عَصَا مُوسَى الَّتِي لَمْ تَزَلْ ***** تَلَقَّفُ مَا يَصْنَعُ السَّاحِرُ
وقراءة ﴿تَلَقَّفُ﴾ بالتشديد، من تَلَقَّفَ يَتَلَقَّفُ، وَتَلَقَّفْتُهُ أَتَلَقَّفُهُ تَلَقُّفًا إذا أخذته بسرعة فأكلته أو ابتلعه، أصله من "تَلَقَّفُ" بتاءين فحذفت إحداهما، وكذلك قراءة البزّي على إدغام إحدى التاءين، فيقرأ ﴿فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفُ﴾ بتشديد التاء أيضًا. والمعنى أي تلتهم عصيهم وجبالهم التي تخيله السحرة بسحرهم أنها حيّات، ولم تكن كذلك^{٣٣}.

^{٣١} ينظر: أبو عمرو الداني، التيسير، ص ١١٢. والهدلي، الكامل، ص ٥٥٥. وابن شُرَيْح، الكافي في القراءات السبع، ص ١١٧.

^{٣٢} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٥، بيت رقم [٦٩٤].

^{٣٣} ينظر: الأزهري، معاني القراءات، ج ١، ص ٤١٨. السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٥، ص ٤١٦. أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني أبو العباس، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د. ط، د. ت)، ج ٥، ص ٢١٩٦.

وذكر ابن عاشور رحمه الله تعالى أنَّ التَّلَقُّفَ بمعنى مبالغة في اللَّقْف، وهو الابتلاع والازدرداد. وعلى هذا فمعنى قراءة ﴿تَلَقَّفُ﴾ بالتشديد، بمعنى تتكَلَّف وتبالغ اللَّقْفَ ما استطاعت. ومعنى قراءة ﴿تَلَقَّفُ﴾ بالتخفيف على صيغة المجرَّد لوقوع الفعل دون المبالغة. والتعبير بالمضارع في قوله تعالى: ﴿تَلَقَّفُ﴾ و﴿يَأْفِكُونَ﴾ للإشارة على التجديد والتكرير، مع استحضار الصورة العجيبة، أي: فإذا هي يتجدد تَلَقُّفُها لما يتجدد ويتكرر من إفكهم^{٣٤}.

ويتبيّن خلال ما سبق، أنَّ القراءتين بمعنى واحدٍ غير أنَّ قراءة ﴿تَلَقَّفُ﴾ بالتخفيف تفيد مجرَّد وقوع الفعل بدون المبالغة في المعنى. وقراءة ﴿تَلَقَّفُ﴾ بالتشديد تفيد المبالغة في وقوع الفعل والتكرار.

وتتكمّل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى عصا موسى عليه السلام، أنّها تتحوّل إلى حيّة فتسارع إلى ابتلاع جبال التي تحيّلها السحرة أنّها حيّات، فتبتلعها عصا موسى وتتلقّم الجبال بكل سرعة، فهي تبالع في الابتلاع والازدرداد، فلم تُبق شيئاً مما تحيّلها السحرة، ابتلعت جميع الجبال والعصي.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿تَلَقَّفُ﴾ بالتشديد، إفادتها المبالغة في المعنى والتكرير في قوع الفعل على قراءة ﴿تَلَقَّفُ﴾ بالتخفيف، التي تفيد مجرّد وقوع الفعل فقط بدون المبالغة في المعنى. فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوّة اللفظ لقوّة المعنى، والله تعالى أعلم.

الموضع العاشر: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

القراءة:

^{٣٤} ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٩، ص ٤٩.

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿سَنُقْتِلُ﴾، فقرأها نافع وأبو جعفر وابن كثير ﴿سَنُقْتِلُ﴾ بفتح في النون وسكون القاف وضم في التاء مع التخفيف.

وقرأ الباقر ﴿سَنُقْتِلُ﴾ بضم في النون وفتح في القاف وكسر في التاء مع التشديد^{٣٥}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَفِي الْكَلِّ تَلَقَّفَ خِفْ حَقْصٍ وَضُمَّ *** سَنُقْتِلُ وَاكْسِرْ ضَمَّهُ مُتَثَقِّلًا.
وَحَرِّكَ ذَكَ حُسْنٍ وَفِي يَقْتُلُونَ حُذَّ *** مَعَا يَعْرِشُونَ الْكُسْرُ ضَمَّ كَذِي صَلَاحًا^{٣٦}.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿سَنُقْتِلُ﴾ بضم في النون وفتح القاف وكسر التاء وتشديدها، مضارع من "قتل يقتل"، الذي يدل على معنى التكرير مرّة بعد مرّة، فهو على المبالغة لكثرة القتل، كما في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَفْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦١]. ومعنى القراءة: أي سنستمر على ما كنّا عليه من القتل، فهو على إرادة تكرير القتل بأبناء بعد أبناء.

وقراءة ﴿سَنُقْتِلُ﴾ بفتح في النون وسكون القاف وضم التاء وتخفيفها، مضارع من قتل يقتل، الذي يدل على القلة والكثرة، بمعنى يفيد وقوع الفعل مرّة واحدة، ويصلح للتكرير أيضاً كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١] ٣٧.

والقراءتان بمعنى واحدٍ، غير أنَّ في قراءة ﴿سَنُقْتِلُ﴾ بالتشديد مبالغة في المعنى أكثر من قراءة ﴿سَنُقْتِلُ﴾ بالتخفيف.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في بيان قتل فرعون لأبناء بني إسرائيل والمبالغة على القتل مع الاستمرار والتكرار لقتل بعد قتل.

^{٣٥} ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص ٢١٣. وابن الباذش، الإقناع، ص ٣٢٤.

^{٣٦} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٥، بيت رقم [٦٩٥-٦٩٤].

^{٣٧} ينظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ١٦٢. وأبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٤، ص ٧١.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿سَنُقْتَلُ﴾ بالتشديد، المبالغة في المعنى وتكرير وقوع الفعل مرّة بعد مرّة، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوّة اللفظ لقوّة المعنى، وإن كان قراءة ﴿سَنُقْتَلُ﴾ بالتخفيف قد تفيد الكثرة كقراءة ﴿سَنُقْتَلُ﴾ بالتشديد، لكن دلالة الكثرة على قراءة التشديد أوضح؛ لعدم احتمالها على غير الكثرة والمبالغة، والله أعلم.

الموضع الحادي عشر: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٤١].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿يُقْتَلُونَ﴾، فقرأها نافع: ﴿يَقْتُلُونَ﴾ بفتح الياء وسكون القاف وضم في التاء وتخفيفها، وقرأها الباقون ﴿يُقْتَلُونَ﴾ بضم في الياء وفتح في القاف وكسر التاء وتشديد ها^{٣٨}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَحَرِّكَ ذُكَا حُسْنٍ وَفِي يَقْتُلُونَ خُذْ *** مَعَا يَغْرِشُونَ الْكَسْرُ ضَمَّ كَذِي صَلَاةٍ^{٣٩}.

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

وَحَفْضُ إِلَهٍ غَيْرُهُ نَكِدًا أَلَا أَفْ *** تَحْنُ يَقْتُلُوا مَعَ يَتَّبِعُ اشْدُدْ وَقُلْ عَلَاةٍ^{٤٠}.

والكلام على هذه الكلمة مثل الذي في قراءة ﴿سَنُقْتَلُ﴾ بالتشديد والتخفيف، وقد

سبق في موضع الذي قبله، وهو موضع العاشر من هذه السورة.

^{٣٨} ينظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص ٢٩١. وابن الجزري، تحبير التيسير، ص ٣٧٧.

^{٣٩} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٥، بيت رقم [٦٩٥].

^{٤٠} ابن الجزري، الدرّة المضيئة، ص ٢٨، بيت رقم [١١٥].

الموضع الثاني عشر: قوله تبارك وتعالى: ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ
فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ
الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿وَوَعَدْنَا﴾، وقد سبق الكلام عليها في موضع الرابع من سورة البقرة.

الموضع الثالث عشر: قوله تعالى: ﴿قَالَ يُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي
وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿بِرِسَالَتِي﴾، فقرأها نافع وأبو جعفر وابن كثير وروح ﴿بِرِسَالَتِي﴾ بغير ألف بعد اللام على الأفراد، وقرأها الباقون ﴿بِرِسَالَتِي﴾ بالألف على الجمع^{٤١}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَجَمْعُ رِسَالَاتِي حَمَتُهُ ذُكُورُهُ *** وفي الرُّشْدِ حَرَكٌ وَافْتَحَ الضَّمُّ شُلْشَلًا^{٤٢}.

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

لَهُ وَرِسَالَتْ يَخْلُ وَاضْمُ حُلِيٍّ فِدْ *** وَحَزْ حَلِيهِمْ تُغْفَرُ حَطِيئَاتُ حُمَلَاءِ^{٤٣}.

والكلام عليها مثل الذي سبق في كلمة ﴿رِسَالَتُهُ﴾ في موضع الثاني من سورة المائدة.

^{٤١} ينظر: أبو عمرو الداني، التيسير، ص ١١٣. وابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٢٧٢.

^{٤٢} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٥، بيت رقم [٦٩٨].

^{٤٣} ابن الجزري، الدرّة المضيئة، ص ٢٨، بيت رقم [١١٦].

الموضع الرابع عشر: قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿إِصْرَهُمْ﴾، فقرأها ابن عامر ﴿آصِرَهُمْ﴾ بفتح الهمزة مع المد وفتح الصاد وألف بعدها على الجمع، وقرأها الباقون ﴿إِصْرَهُمْ﴾ بهمزة مكسورة مع القصر وسكون الصاد من غير ألف على الإفراد^{٤٤}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَمِيمَ ابْنِ أُمِّ اكْسِرَ مَعَا كُفُو صُحْبَةٍ *** وَأَصَارَهُمْ بِالْجُمُعِ وَالْمَدِّ كِلَا^{٤٥}.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿آصِرَهُمْ﴾ بفتح الهمزة مع المد وفتح الصاد وألف بعدها على الجمع، مثل "أعمالهم"، وهو جمع "إصر"، والإصر الثقل من الإثم وغيره، وهو مصدر لكن جمع لاختلاف ضروب المآثم، وهو في المعنى والجمع بمنزلة قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]، فكما أنَّ الثقل جُمع على الأثقال لاختلاف ضروبه، فكذلك الإصر يجمع على الأصار لاختلاف أنواع الآثام وهو مصدر.

وقراءة ﴿إِصْرَهُمْ﴾ بهمزة مكسورة مع القصر وسكون الصاد على الإفراد، مثل "إثمهم" فاكتفوا بالواحد؛ لأنَّه مصدر يدل على القليل والكثير من جنسه مع إفراد لفظه؛ ولهذا أضافه وهو مفرد إلى الجمع فقال: ﴿إِصْرَهُمْ﴾ كما قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠]، وقوله: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٣]، وقوله: ﴿يَنْظُرُونَ

^{٤٤} ينظر: أبو عمرو الداني، التيسير، ص ١١٣. والواسطي، الكنز في القراءات العشر، ج ٢، ص ٤٨٦.

^{٤٥} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٥، بيت رقم [٧٠١].

مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ ﴿[الشُّورَى: ٤٥]، فوجه الإفراد لكونه مصدرًا، وكله بمعنى الجمع، لكنَّ إضافته إلى جمع تدل على أنَّ المراد به الجمع؛ لأنَّه لكل واحد من المضاف إليهم إصر وسمع وطرف.

وقد أجمع القراء على الإفراد في قوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦]٤٦.

فقراءة الجمع باعتبار متعلقات الإصر وأنواعه إذ هي كثيرة، وقراءة الإفراد؛ لأنَّه اسم جنس٤٧.

وقيل: قراءة ﴿إَصْرُهُمْ﴾ بالجمع حملاً على ما قبله، وهو قوله تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾، وما بعده وهو قوله تعالى: ﴿وَالْأَغْلَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾، فجمع ﴿إَصْرُهُمْ﴾ ليكون الكلام على نظام واحد مع اختلاف أنواع الثقل الذي كان عليهم. وقراءة ﴿إِصْرَهُمْ﴾ بالإفراد على إرادة الجنس؛ لمناسبته بقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾، وقوله: ﴿قَالَ أَفَرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ [آل عِمْرَان: ٨١]، فزِدَ ما اختلف فيه إلى ما أُجمع عليه في التوجيه٤٨.

وفي معنى الإصر قولان:

أحدهما: "أنَّه العهد الذي أخذ الله على بني إسرائيل أن يعملوا بما في التوراة، قاله ابن عباس رضي الله عنه.

والثاني: التشديد الذي كان عليهم من الشريعة كتحريم السَّبِّ والشَّحْمِ والعروق، وغير ذلك من الأمور الشاقة عليهم كما ذكره قتادة٤٩.

٤٦ ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٤، ص ٩٣. ومكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤٧٩؛

وابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٥٥٨.

٤٧ ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٥، ص ١٩٥.

٤٨ ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٩٨. والمتنجب الهمداني، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، تحقيق:

محمد نظام الدين الفتيح، (المدينة المنورة: دار الزمان للنشر والتوزيع، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م)، ج ٣، ص ١٤٣.

٤٩ هو قتادة بن دعامة السدوسي، أبو الخطاب البصري، الضهير الأكمه الحافظ العلامة المفسر، المتوفى سنة (١١٧هـ).

ينظر: الأدنهي، طبقات المفسرين، ص ١٤.

وقال مسروق رحمه الله^{٥٠}: "لقد كان الرجل من بني إسرائيل يذنب الذنب، فيصبح وقد كُتب على باب بيته: إِنَّ كَفَارَتَهُ أَنْ تَنْزِعَ عَيْنِيكَ، فينزعهما"^{٥١}.

والذي يظهر في القراءتين، أنَّ قراءة ﴿أَصْرَهُمْ﴾ بالجمع لاختلاف أنواع الثقل الذي كان عليهم، وقراءة ﴿إِصْرَهُمْ﴾ بالإفراد على إرادة الجنس، ويصلح للكثرة والقلّة، وعلى هذا تكون القراءتان بمعنى واحد.

وتتكمال دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى كون النبي صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، ومن رحمة الله به للخلق، إسقاطه جميع أنواع التكاليف الشاقة والثقيلة على بني إسرائيل، التي كانت في شريعتهم، كقطع مكان النجاسة وغيرها، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسقط عليهم ثقل التكليف، وجميع أثقال التي كانت عليهم في شريعتهم.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿أَصْرَهُمْ﴾ بالجمع، إفادتها الكثرة بدون احتمال القلة، كما تحتمله قراءة ﴿إِصْرَهُمْ﴾ بالإفراد، مع أنّها على إرادة الجنس تصلح للكثرة والقلّة، لكنّ إفادة الكثرة من قراءة ﴿أَصْرَهُمْ﴾ أوضح، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى، والله تعالى أعلم.

الموضع الخامس عشر: قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٦١].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾، فقرأها نافع وأبو جعفر ويعقوب ﴿تُغْفَرُ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾، ﴿تُغْفَرُ﴾ بقاء مضمومة وفتح الفاء، و﴿خَطِيئَتَكُمْ﴾ برفع التاء على جمع السالم.

^{٥٠} هو مسروق بن الأجدع بن مالك، أبو عائشة الوادعيّ الهمداني الكوفي، الإمام القدوة العَلَمُ المقرئ المفسّر، تابعي كبير من المخضرمين، وذكر ابن المديني أنّه لا يقدّم أحداً على مسروق صلى خلف أبي بكر رضي الله عنه، المتوفى سنة (٦٣هـ). الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٦٣.

^{٥١} ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٢، ص ١٦١. ذكر ابن الجوزي هذا الأثر بدون سند، وبعد البحث لم أقف عليه.

وقرأ ابن عامر ﴿تُغْفِرُ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾، ﴿تُغْفِرُ﴾ بتاء مضمومة وفتح في الفاء، و﴿خَطِيئَتَكُمْ﴾ برفع التاء على الإفراد.

وقرأها أبو عمرو ﴿نَغْفِرُ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾، ﴿نَغْفِرُ﴾ بالنون مع الفتح وكسر الفاء، و﴿خَطِيئَتَكُمْ﴾ بألف من غير تاء على وزن "قضاياكم".

وقرأ الباقر ﴿نَغْفِرُ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾، ﴿نَغْفِرُ﴾ بنون مفتوحة وكسر الفاء، و﴿خَطِيئَتَكُمْ﴾ بكسر التاء على جمع السالم^{٥٢}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

خَطِيئَاتُكُمْ وَحَدَّهُ عَنْهُ وَرَفَعَهُ *** كَمَا أَلْفُوا وَالْغَيْرُ بِالْكَسْرِ عَدَلًا.
وَلَكِنْ خَطَايَا حَجَّ فِيهَا وَتَوَحَّهَا *** وَمَعْدِرَةٌ رَفَعَ سِوَى حَقِصِهِمْ تَلَا^{٥٣}.
ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:
لَهُ وَرَسَالَتْ يَحُلُّ وَاضْمُ حُلِيِّ فِدْ *** وَحَزْ حَلِيهِمْ تُغْفِرُ خَطِيئَاتُ حُمَلَاءِ^{٥٤}.

توجيه القراءة:

أولاً: توجيه قراءة كلمة ﴿نَغْفِرُ لَكُمْ﴾، ففيها قراءتان.

قراءة ﴿تُغْفِرُ لَكُمْ﴾ بضم التاء وفتح الفاء على أنه فعل مبني للمفعول به ومسند إلى مؤنث؛ فلهذا كان الفعل بالتاء، وهو أشد موافقة لما قبله، إذ كان مبنياً للمفعول به أيضاً وهو قوله: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ^{٥٥}﴾.

وقراءة ﴿نَغْفِرُ لَكُمْ﴾ بنون مفتوحة وكسر الفاء، على الإخبار من الله جلّ ذكره عن نفسه بالغفران على وجه التعظيم؛ ولمناسبة ما بعده وهو قوله: ﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾، وعلى

^{٥٢} ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص ٢١٥. ومكي بن طالب، التبصرة في القراءات السبع، ص ٥١٨. والخلاصة فيها أربع قراءات وهي: قراءة نافع وأبي جعفر ويعقوب ﴿تُغْفِرُ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾. وقراءة ابن عامر ﴿نَغْفِرُ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾. وقراءة أبي عمرو ﴿نَغْفِرُ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾، وقراءة الباقرين ﴿نَغْفِرُ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾.

^{٥٣} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٦، بيت رقم [٧٠٢].

^{٥٤} ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٨، بيت رقم [١١٦].

^{٥٥} ابن أبي مرزوم، الموضح، ج ١، ص ٥٥٩.

معنى ما قبله؛ لأنّ قوله: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ بمعنى: وإذ قلنا، كما قال في البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ [البقرة: ٥٨].

ثانيًا: توجيه القراءات الواردة في كلمة ﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾ ففيها أربع قراءات وهي:
قراءة ﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾ برفع التاء على الأفراد، واكتسبت العموم من إضافتها إلى الضمير؛ لأنّ الواحد يدل على الجمع إذا أضيف إلى الجمع، فذلك أقوى في الدلالة على الجمع؛ لأنّ لكل واحد خطايا، وضمّ التاء؛ لأنّه مفعول لما لم يسم فاعله.

وقراءة ﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾ بالجمع ورفع التاء على جمع السالم، ورفع التاء؛ لأنّه مفعول لما لم يسم فاعله، فهو جمع خطيئة، نحو صحيفة وصحائف، فآثر الجمع لكثرة الخطايا من القوم المضاف إليهم، والجمع السالم بالألف والتاء يقع للكثير والقليل.

وقراءة ﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾ بكسر التاء على جمع السالم، نحو سفينة وسفنيات وصحيفة وصحيفات وخطيئة وخطيئات على وزن "فعلات"، مثل قراءة ﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾ بالجمع، كُسِرَ التاء في قراءة ﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾؛ لأنّه منصوب بفعل ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ﴾ بالنون على التعظيم.

وقراءة ﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾ بألف من غير همز وتاء على وزن "قضاياكم"، في موضع نصب على قراءة ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ﴾ بالنون، و﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾ جمع تكسير لخطيئة، كما يقال: برية وبرايا، رعية ورعايا، وضحية وضحايا. فهو مثل الذي في البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا أَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨]. فآثر ذلك لكثرة الخطايا منهم؛ ولأنّ جمع التكسير أدلّ على الكثرة من جمع السالم ومن الواحد^{٥٦}.

والخطايا والخطيئات: جمع لخطيئة بمعنى الذنب العظيم الذي يستحق صاحبه العقوبة والنكال. يُقال لها: "خطيئة وخطيء"، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١]، ويقال لمرتكبها عمدًا: "خاطيء"، ومنه قوله تعالى: ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة:

^{٥٦} ينظر: مكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤٨٠. ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٩٨.

٣٦ - ٣٧]، فالخاطي بصورة الفاعل إنما هو لمن ارتكب الخطيئة عمدًا، أما من ارتكب الذنب غير عامد فهو المسمّى بالمخطئ، فلا يقال له خاطئ^{٥٧}.

والذي يظهر في هذه القراءات أنّها بمعنى واحد، تنوّعت في بيان شمولية مغفرة الله لبني إسرائيل على ذنوبهم وخطاياهم. فقراءة ﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾ على الجمع ورفع التاء مبني لما لم يسم فاعله. وقراءة ﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾ على الجمع وبكسر التاء؛ لأنّه منصوب بفعل ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ﴾. وقراءة ﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾ و﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾ على جمع السالم وهو جمع قلة.

وكذلك قراءة ﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾ على الأفراد ورفع التاء مبني لما لم يسم فاعله، وتفيد الجمع أيضًا كالقراءتين السابقتين، لإضافتها إلى الضمير؛ لأنّ الواحد يدل على الجمع إذا أضيف إلى الجمع.

وقراءة ﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾ بألف من غير تاء على وزن "قضاياكم"، جمع التكسير وهو جمع الكثرة. فمهما قلّت وكثرت خطيئاتهم وخطاياهم، إذا أتوا بما شرط عليهم من الدعاء والتضرّع، يغفر الله لهم جميع خطأهم.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى أنّ هذه الخطايا والذنوب التي ارتكبتها بنوا إسرائيل، مهما كانت وبلغت من القلّة أو الكثرة، فإنّ الله تبارك وتعالى غفور، سيغفرها لهم بعفوه وكرمه، وذلك بشرط الإتيان بما أمروا به من الدعاء والتضرّع.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾ بالألف على وزن "قضاياكم"، كانت بتحويل وزن الكلمة إلى الأقوى؛ لأنّ قراءة ﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾ جاءت على جمع التكسير وهو جمع الكثرة، وقراءات الأخرى جاءت على جمع السالم، وهو جمع القلة، وكذلك قراءة الأفراد التي تفيد الجمع أيضًا على جمع القلّة، وعلى هذا فقراءة ﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾ تفيد تكثير المعنى والمبالغة أكثر من القراءات الأخرى، فقوّة اللفظ لقوّة المعنى، والله أعلم.

وكذلك الكلام على كلمة ﴿خَطِيئَتِهِمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: ٢٥] ^{٥٨}.

^{٥٧} ينظر: الشنقيطي، العذب النمير، ج ٤، ص ٢٦٤.

^{٥٨} فقد قرأ أبو عمرو ﴿خَطِيئَتِهِمْ﴾ على جمع تكسير بوزن عطايهم، وقرأها الباقون ﴿خَطِيئَتِهِمْ﴾ بكسر التاء على جمع السالم. ينظر: الواسطي، الكنز في القراءات العشر، ج ٢، ص ٦٩٤.

الموضع السادس عشر: قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿يُمْسِكُونَ﴾، فقرأها شعبة ﴿يُمْسِكُونَ﴾ بسكون في الميم وتخفيف في السين، وقرأها الباقون ﴿يُمْسِكُونَ﴾ بفتح في الميم وتشديد في السين^{٥٩}.
والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:
وَيُئْسِّسُ أَسْكِنْ بَيْنَ فَتَحَيْنِ صَادِقًا *** بِخُلْفٍ وَخَفَّفَ يُمْسِكُونَ صَفًا وَلَا^{٦٠}.

توجيه القراءة:

أَنَّ قراءة ﴿يُمْسِكُونَ﴾ بسكون في الميم وتخفيف السين من "أَمْسَكَ يُمْسِكُ"؛ لإجماعهم على قوله تعالى: ﴿فَأَمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقوله تعالى: ﴿أَمْسَكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٤]، وقوله: ﴿فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ﴾ [النساء: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُمْ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾ [البقرة: ٢٣١]، فكله من "أَمْسَكَ"، يدل على مجرد وقوع الفعل بدون تكرار.
وقراءة ﴿يُمْسِكُونَ﴾ بفتح في الميم وتشديد في السين من "مَسَكَ يُمْسِكُ"، ومَسَكَ الأمر أي لزمه، فهو على التكرير والتكرير للتمسك بكتاب الله ودينه، فبذلك يُمدحون، وفيه معنى التأكيد. فالتمسك بكتاب الله والدين، يحتاج إلى الملازمة والتكرير لفعل ذلك، فالتشديد يدل عليه.

وكل ما ورد من "أَمْسَكَ" الذي لا يدل على تكرير ولا تأكيد، فإنما وقع في غير الدين كإمساك المرأة، وإمساك الصيد^{٦١}.

وقيل هما لغتان يقال: مَسَكْتُ وَأَمْسَكْتُ، وقد جمع بينهما كعب بن زهير^{٦٢} في قوله:

^{٥٩} ينظر: ابن الفحّام، كتاب التجريد لبغية المريد في القراءات السبع، ص ٢٢٩. والهذلي، الكامل، ص ٥٥٧.

^{٦٠} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٦، بيت رقم [٧٠٥].

^{٦١} ينظر: مكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤٨٢.

ولا تُمْسِكْ بِالْعَهْدِ الَّذِي زَعَمْتَ **** إلا كما يُمَسِّكُ الْمَاءَ الْغَرَابِيلُ
فجاء به على طبعه يذم بكثرة نقض العهد^{٦٣}.

فَأَمْسَكَ وَمَسَّكَ وَتَمَسَّكَ وَاحِدٌ بِمَعْنَى التَّعَلُّقِ وَالِاعْتِصَامِ، إِلَّا أَنَّ أَمْسَكَ أَكْثَرُ مَا
يَسْتَعْمَلُ بِغَيْرِ بَاءٍ، يُقَالُ أَمْسَكْتُ الشَّيْءَ وَتَمَسَّكْتُ بِهِ وَاسْتَمَسَكْتُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَمْسِكْ
عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الْأَحْزَابُ: ٣٧]، وَغَيْرُهُ مِنَ الْآيَاتِ كَمَا سَبَقَ.

وَيُمْكِنُ الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِمْسَاكِ وَالتَّمَسُّكِ، أَنَّ الْإِمْسَاكَ ضَبْطُ الشَّيْءِ عَنِ الذَّهَابِ، فَهُوَ
ضِدُّ التَّخْلِيَةِ، وَالتَّمَسُّكَ التَّعَلُّقُ بِالشَّيْءِ، فَأَرَادَ وَضْعَ الْإِمْسَاكِ مَوْضِعَ التَّمَسُّكِ، فَلِذَلِكَ عَدَّاهُ
بِالْبَاءِ هُنَا فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ وَالْمُرَادُ بِهِ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ، فَلَا يُؤْمِنُونَ
بِبَعْضِهِ وَيَكْفُرُونَ بِالْبَعْضِ كَالْيَهُودِ^{٦٤}.

وَقِيلَ الْمُرَادُ: أَيُّ يَتَمَسَّكُونَ فِي أُمُورِ دِينِهِمْ يُقَالُ مَسَّكَ بِالشَّيْءِ وَتَمَسَّكَ بِهِ، وَهُمْ الَّذِينَ
آمَنُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ، تَمَسَّكُوا بِالْكِتَابِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمْ يَحْرَفُوهُ وَلَمْ يَكْتُمُوهُ وَلَمْ يَتَّخِذُوهُ مَأْكَلَةً، كَمَا ذَكَرَهُ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. وَقِيلَ:
هُمْ أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا ذَكَرَهُ عَطَاءٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^{٦٥}. وَالَّذِي يُؤَيِّدُهُ السِّيَاقُ
أَنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ، وَإِنْ كَانَتْ الْآيَةُ تَحْتَمِلُ جَمِيعَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ، فَيَكُونُ مِنْ قِبَلِ اخْتِلَافِ تَنْوَعِ
لَا اخْتِلَافِ تَضَادٍّ، وَهَذَا أَحْسَنُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَالَّذِي يَظْهَرُ خِلَالَ مَا سَبَقَ، أَنَّ الْقَرَاءَتَيْنِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، غَيْرَ أَنَّ فِي قِرَاءَةِ ﴿يُمَسِّكُونَ﴾
بِالتَّشْدِيدِ مِبَالِغَةً فِي الْمَعْنَى.

^{٦٢} هُوَ صَحَابِي جَلِيلٌ، كَعَبْدِ بْنِ زُهَيْرٍ بْنِ أَبِي سَلَمَى الْمَازِنِيِّ، أَبُو الْمُضَرَّبِ، شَاعِرٌ مَعْرُوفٌ، اشتهر بالشعر في الجاهلية،
هَجَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَمَا أَسْلَمَ أَخَاهُ، فَأَهْدَرَ دَمَهُ، فَجَاءَهُ كَعْبٌ مُسْتَأْمِنًا وَقَدْ أَسْلَمَ، وَأَنْشَدَ شِعْرًا
مَشْهُورَةً يَبَيِّنُ تَوْبَتَهُ عَمَّا فَعَلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (٢٦هـ). يَنْظُرُ: ابْنُ الْأَثِيرِ، أَسَدُ الْغَابَةِ، ج ٤، ص ٤٤٩.

^{٦٣} يَنْظُرُ: أَبُو حَيَّانٍ، الْبَحْرُ الْمَحِيْطُ، ج ٥، ص ٢١٢. وَالسَّمِينُ الْحَلْبِيُّ، الدَّرُ الْمَصُونُ، ج ٥، ص ٥٠٨.

^{٦٤} يَنْظُرُ: ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، الْمَوْضِعُ، ج ٢، ص ٥٦٣.

^{٦٥} مُحَمَّدٌ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُصْطَفَى، أَبُو السَّعُودِ الْعِمَادِيُّ، تَفْسِيرُ أَبِي السَّعُودِ = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب
الكریم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. ت)، ج ٣، ص ٢٨٨.

وتتکامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى أهمية الأخذ بكتاب الله تعالى كله والاعتصام به، والتعلق به وملازمته وتكرار ذلك، وعدم الانقطاع عنه، بل يُمسك به إلى الأبد، فإن الله سبحانه وتعالى لا يضيع ثواب من اتصف بهذا الوصف وتمسك به.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿يُمسكون﴾ بالتشديد، إفادتها المبالغة والتكرير في المعنى، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى، والعلم عند الله تبارك وتعالى.

الموضع السابع عشر: قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، فقرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بغير ألف وفتح في التاء على الإفراد، وقرأها الباقون ﴿ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ بالألف مع كسر في التاء على الجمع^{٦٦}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

^{٦٦} وهذه الكلمة وردت خمس مرات في أربع سور، في هذه السورة وقوله تعالى في الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤]. وقوله في يس: ﴿وَوَاعِيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ [يس: ٤١]. وموضعان في الطور قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّ هَمَّ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١]. فقرأها ابن كثير والكوفيون ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ هنا في الأعراف ويس والثاني في الطور بغير ألف مع فتح التاء على الإفراد، وافقهم أبو عمرو في يس. وقرأها الباقون ﴿ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ بالألف مع كسر التاء على الجمع في المواضع الثلاثة. وقرأها أبو عمرو ﴿ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ موضع الأول من الطور بألف وكسر التاء على الجمع. وقرأها ابن عامر ويعقوب كذلك ﴿ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ إلا أنه ضم التاء، وقرأها الباقون ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بغير ألف وضم التاء على الإفراد. وقرأها أبو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي وخلف ﴿ذُرِّيَّتِنَا﴾ في الفرقان بحذف الألف على الإفراد، وقرأها الباقون ﴿وَذُرِّيَّتِنَا﴾ بالألف على الجمع. ينظر: الواسطي، الكنز في القراءات العشر، ج ٢، ص ٤٨٧. وابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٢٧٣.

وَيَقْصُرُ ذُرِّيَّاتٍ مَعَ فَتْحِ تَائِهِ *** وَفِي الطُّورِ فِي الثَّانِي ظَهِيرٌ تَحْمَلًا.
وَيَاسِينَ دُمُ غُصْنًا وَيُكْسِرُ رَفْعُ أَوْ *** وَلِ الطُّورِ لِلْبَصْرِ وَبِالْمَدِّ كَمْ حَلَا ٦٧.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بغير ألف مع فتح في التاء على الإفراد؛ لأنَّ الذُّرِّيَّةَ تقع للواحد والجمع كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٣٨]، فهذه جاءت بمعنى الواحد، وإنما سأل هبة ولد فبُشِّرَ بـ"يحيى"، ودليله قوله في موضع آخر: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مَرْيَمَ: ٥].

وكذلك وقعت بلفظ المفرد، والمراد بها الجمع في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ [مَرْيَمَ: ٥٨]، ولا شيء أكثر من ذرية آدم، والذين لم يرههم آدم من ذريته أكثر من الذين رآهم وقد أجمعوا هنا على لفظ ﴿ذُرِّيَّة﴾ بالإفراد بلا خلاف بين الأمة، فيرد ما اختلف فيه إلى ما أجمع عليه، وقوله عقب هذه القراءة: ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٣] بلفظ المفرد، وقوله: ﴿ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ٣]، كل هذا بلفظ المفرد والمراد به الجمع، فلما وقعت للجمع استغني بذلك عن الجمع. ومثله "البشر" يقع للمفرد والجمع، كما في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا﴾ [التَّغَابُنِ: ٦]، فهذا للجمع، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٤]، فهذا للمفرد.

وقراءة ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بالألف مع كسر التاء على الجمع؛ ليتطابق بما قبله وهو قوله: ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾. وأيضاً لأنه لما كانت الذرية تقع للواحد، أُتِيَ بلفظ لا يقطع للواحد، فجمع لتكون الكلمة على معناها المقصود إليه، لا يشاركها فيه شيء وهو الجمع؛ لأنَّ في ظهور بني آدم استخرج منها ذُرِّيَّات كثيرة متناسبة أعقاباً بعد أعقاب، لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، فجمع لهذا المعنى.

٦٧ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٦، بيت رقم [٧٠٦ - ٧٠٧].

والجمع بالتاء والألف يقع للتكثير على تقدير جمع بعد جمع، وتقدير حذف التاء كلمة جمع، وحذف الألف لاجتماع ألفين كلما كرر الجمع، وفتح التاء في المفرد؛ لأنه مفعول به، وعلى ذلك كُسِرَتْ في الجمع؛ لأنه جُمع على حد التثنية، فالحذف فيه كالنصب^{٦٨}.

ويظهر مما سبق أنّ القراءتين بمعنى واحدٍ، فقراءة ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بغير الألف، وقعت بالإفراد لفظاً ومعناها الجمع، كما وردت في قوله تعالى: ﴿مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ بلفظ المفرد والمراد بها الجمع. وقراءة ﴿ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ بالألف على الجمع؛ لتطابق ما قبلها وهو قوله: ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾.

وأيضاً لأنه لما كانت الذرية تقع للواحد والجمع، أُتي بلفظ لا يقطع للواحد، فجمع لتكون الكلمة على معناها المقصود إليه، لا يشاركها فيه شيء وهو الجمع. وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى أنّ جميع أفراد ذرية آدم عليه الصلاة والسلام، قرّره الله بإثبات ربوبيّته بما أودعه في فطرتهم من الإقرار، بأنّه ربهم وخالقهم ومليّكهم. قالوا: بلى قد أقررنا بذلك، فإنّ الله تعالى فطر عباده على الدين الحنيف القيم. فكل واحد مفطور على ذلك، ولكن الفطرة قد تُغيّر وتُبدل بما يطرأ عليها من العقائد الفاسدة.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بالألف على الجمع، إفادتها الكثرة بأوضح دلالة على ذلك؛ إذ أنّها على صيغة لا تحتل غير الجمع، بخلاف قراءة ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بغير ألف، فإنّها وإن كانت تقع للجمع، فقد تحتل الإفراد أيضاً من لفظها، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى، والله تعالى أعلم.

الموضع الثامن عشر: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَلَاحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠].

القراءة:

^{٦٨} ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٤، ص ١٠٥. مكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤٨٣.

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿شُرَكَاء﴾، فقرأها نافع وأبو جعفر وشعبة ﴿شُرْكَاء﴾ بكسر الشين وإسكان الراء وتنوين الكاف من غير همز، وقرأها الباقون ﴿شُرَكَاء﴾ بضم الشين وفتح الراء ومد الكاف وهمزة مفتوحة بعد المد وحذف التنوين^{٦٩}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَحَرِّكَ وَضُمَّ الْكَسَرَ وَأَمْدُدْهُ هَامِزًا *** وَلَا تُونَ شِرْكَاءَ عَنْ شَدَا نَفَرٍ مَلَا^{٧٠}.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿شُرْكَاء﴾ بكسر في الشين وسكون في الراء مع التنوين من غير همز على وزن "فَعْل"، فهو مصدر، يُقَدَّر حذف المضاف، وتقديره: جعلاً له ذا شرك، أو ذوي شرك، فيرجع ذلك إلى معنى أَتَّهَمُ جعلوا لله شركاء.

فإنَّ لم يُقَدَّر في هذه القراءة حذف مضاف من وسط الكلام، قُدِّر في أوله على تقدير: جعلاً لغيره شركاً؛ لأنَّه إنَّ لم يُقَدَّر حذف المضاف أَلَبَّتْ آلَ الأَمْرِ إلى المدح؛ لأَتَّهَمَا إذا جعلاً لله شركاً فيما آتاها، فقد شركاه على ما آتاها فهما ممدوحان، والمراد بالآية الذم لهما بدلالة قوله: ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وما بعده، فالمراد به الذم أَتَّهَمَا جعلاً لله فيما آتاها شركاً في النعمة عليهما، فهذا من أعظم الذم.

ويجوز أن يكون التقدير: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرْكَاءَ﴾ أي جعل أحدهما له شركاً، أو ذوي شرك، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، كما حذف من قوله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزُّحُرْف: ٣١]، والمعنى: على رجل من أحد رجلي القريتين.

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرَّحْمَن: ٢٢] عند مَنْ رَأَى أَنَّ اللَّؤْلُؤَ يخرج من الماء الملح، تقديره عنده: يخرج من أحدهما، فيكون الذي جعل له شركاً،

^{٦٩} ينظر: أبو علي المالكي، الروضة في القراءات، ج ٢، ص ٦٧٧. وابن شُرَيْح، الكافي في القراءات السبع،

ص ١١٩. وابن الجزري، تخبير التيسير، ص ٣٨١.

^{٧٠} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٦، بيت رقم [٧١٠].

أحدهما، ويخرج آدم إلى هذا من أن ينسب إليه ذلك^{٧١}، فهذا توجيه جيّد لدلالته على عصمة آدم عليه السلام.

وقراءة ﴿شُرَكَاءَ﴾ على وزن "فُعَلَاء" جمع شريك، وحسن الجمع لقيام المعنى في الذم دون تقدير حذف مضاف. وإِنَّمَا جاء بالجمع وهو واحد، إذ المراد به: إبليس ومعه أتباع؛ لأنّ له جنود وشياطين معه، فإذا جُعِلَ هو شريك، فحكمهم حكمه، فخرج الخبر عن جميعهم. وقيل: إِنَّمَا ذلك لأنّ العرب تخرج الخبر عن الواحد مخرج الخبر عن الجماعة، إِذَا لَمْ تَقْصِدْ واحداً بَعَيْنِهِ نحو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [آل عِمْرَان: ١٧٣]، وإِنَّمَا هو واحد^{٧٢}.

واختلف في المراد بالقراءتين، فقيل آدم وحواء كما ذكر ابن جرير الطبري عن بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَتْهُمَا صَلْحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾ في الاسم لا في العبادة، وأنّ المعنى بذلك آدم وحواء؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك^{٧٣}. أي أنّ إبليس - لعنه الله - أتى حواء وهي عند أول حملها، فقال لها: ما هذا الذي في بطنك أبعيمة أم حيّة؟ قالت: لا أدري قال لها: إنّ دعوت الله تعالى أن يجعله بشراً سوياً تسمّيه باسمي؟ قالت: نعم، فلما أتاها الله ولدًا صالحًا، جعل له شركاء فيه، فسمّياه عبد الحارث باسم إبليس - لعنه الله^{٧٤}. فالمراد بالشرك شرك طاعة، لا شرك كفر وعبادة. وفي هذا القول إشكال؛ لأنّ وقوع آدم في الشرك، وإن كان شرك طاعة، ينافي عصمة الأنبياء عليهم السلام.

وقيل بأنّ الضمير للوالدين في "جعلاً"، كأنّه الذكر والأنثى؛ لأنّ فيما جرى من الكلام دلالة على اسميهما؛ فيجوز إضمارهما لذلك، كأشياء تضرر لدلالة الأحوال عليها، وإن لم يجر لهما ذكر في اللفظ^{٧٥}.

^{٧١} ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٤، ص ١١١. ومكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤٨٦.

^{٧٢} ينظر: مكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤٨٦. ومكي بن أبي طالب، الهداية الى بلوغ النهاية، ج ٤، ص ٢٦٧٤.

^{٧٣} ينظر: ابن جرير، تفسير الطبري، ج ١٠، ص ٦٣٠.

^{٧٤} ينظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ١٦٨.

^{٧٥} ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٤، ص ١١٣.

ومن أحسن ما قيل في معنى الآية ما ذكره الشنقيطي رحمه الله تعالى، أنَّ الآية على أسلوب من أساليب العرب، ومما جرت عليه عادتهم إسناد فعل الآباء إلى الأولاد، أو فعل الأولاد إلى الآباء، والفعل هنا أُسند لآدم وحواء "جعلاً" بألف التثنية الواقعة على آدم وحواء، والمراد به ذريتهما التي أعطاهما الله التناسل، يخرج هذا بشراً سوياً ويخرج بسلام، ومع ذلك يكفرون بالله تعالى ويعبدون غيره.

والدليل على أنه أطلق آدم وحواء وأراد به ذريتهما قوله بعده: ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ثم قال: ﴿أَيُّشْرِكُونَ﴾ بصيغة الجمع وقال ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١]، ثم ذكر بعض علامات الأصنام التي يُشرك بها أولادهم كما هو واضح. وهذا القول أرجح، اختاره كثير من المحققين لدلالة القرآن الكريم عليه. ونظيره من القرآن قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف: ١١]، ومعنى ﴿صَوَّرْنَاكُمْ﴾ هنا: صورنا أباكم آدم. فنسب التصوير إليهم والمُصَوِّر أبوهم آدم عليه السلام، بدليل أنه قال: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾، وأمر الملائكة بالسجود قبل تصوير بني آدم الآخرين كما لا يخفى^{٧٦}.

والذي يظهر في القراءتين، أنَّ قراءة ﴿شُرْكَاءَ﴾ بكسر في الشين مع التنوين من غير همز على المصدر، وفيه وجهان: أحدهما: تقديره: جعلاً لغيره شركاً. أي: نصيباً. والثاني: جعلاً له ذا شرك، فحذف المضاف في الموضعين.

وقراءة ﴿شُرْكَاءَ﴾ بضم في الشين وفتح الراء وهمزة مفتوحة بغير التنوين، جمع شريك، وحسن الجمع لقيام المعنى في الهم دون تقدير حذف مضاف. وإثماً جاء بالجمع وهو واحد، إذ المراد به: إبليس ومعه أتباع؛ لأنَّ له جنود وشياطين معه، أو يكون إخبار عن الواحد بلفظ الجمع كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾. فهما بمعنى واحد، المراد بهما ذرية آدم وحواء كما سبق الكلام على ذلك.

وتتكمال دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى التحذير بالكفر من نعم الله على العباد، إذا أنعم عليهم من نعمه والآله، فعليهم الاستمرار في عبادته ودعائه كما كانوا قبل حصول ما

^{٧٦} الشنقيطي، العذب النمير، ج ٤، ص ٤١٧.

يرجونه بالدعاء، فلا يعصوه بهذه النعمة التي أنعمها عليهم، بأن يشركوا به في العبادة والطاعة، بعدما منَّ عليهم من النعم، التي لا يحصيها أحد.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿شُرَكَاء﴾ بضم الشين مع المد وحذف التنوين على الجمع، إفادتها الكثرة من لفظها بأوضح الصيغة بدون احتمال القلة؛ لأنها على وزن "فُعَلَاء" فهو من أوزان الكثرة، بخلاف قراءة ﴿شُرَكَاء﴾ بكسر الشين والتنوين من غير همز على المصدر، والمصدر يقع على الواحد والجمع من صنفه، لكن إفادة المصدر للجمع ليس كـ"فُعَلَاء"؛ لأنَّ وزن "فُعَلَاء" من أوزان الكثرة، وعلى هذا فلا يفيد المصدر الكثرة مثل جمع التكسير، وهذا على أنَّ معنى الآية ذرية آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى، والله تعالى أعلم.

الموضع التاسع عشر: قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صُمْتُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٣].

ونظيره في سورة الشعراء قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشُّعْرَاءُ: ٢٢٤].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿يَتَّبِعُوكُمْ﴾ هنا وفي الشعراء ﴿يَتَّبِعُهُمْ﴾، فقرأها نافع ﴿يَتَّبِعُوكُمْ﴾ هنا وفي الشعراء ﴿يَتَّبِعُهُمْ﴾ بسكون التاء وتخفيفها وفتح الباء، وقرأها الباقون ﴿يَتَّبِعُوكُمْ﴾ هنا وفي الشعراء ﴿يَتَّبِعُهُمْ﴾ بفتح التاء مع التشديد وكسر الباء^{٧٧}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَلَا يَتَّبِعُوكُمْ خَفَّ مَعَ فَتْحِ بَائِهِ *** وَيَتَّبِعُهُمْ فِي الظُّلَّةِ احْتَلَّ وَاعْتَلَا^{٧٨}.

توجيه القراءة:

^{٧٧} ينظر: ابن الباذش، الإقناع، ص ٣٢٥. وابن سوار، المستنير، ص ٥٦٧.

^{٧٨} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٦، بيت رقم [٧١١].

أَنَّ قِرَاءَةَ ﴿يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بفتح التاء مع التشديد وكسر الباء، معناه: لا يسيرون على أثركم وخطاكم، ولا يركبون طريقكم ومنهج دينكم.

وقراءة ﴿يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بسكون التاء وتخفيفها وفتح الباء، معناه: لا يلحقوكم. كما تقول العرب: اتَّبعه: إذا سار في أثره، وتبعه: إذا لحقه^{٧٩}.

وقيل: القراءتان لغتان بمعنى واحدٍ، يقال: رأيت القوم فأتَّبَعْتُهُمْ إِتِّبَاعًا، إذا سبقوك فأسرعت نحوهم. ومَرَوْا عَلَيَّ فَاتَّبَعْتُهُمْ اتِّبَاعًا، إذا ذهبت معهم ولم يستتبعوك، وَتَبِعْتُهُمْ اتِّبَاعًا تَبَعًا مثل ذلك. وَتَبِعْتُهُمْ وَاتَّبَعْتُهُمْ بمعنى واحدٍ، والمعنى على تركهم الانقياد للحق والإذعان للهدى وما شرَّع لهم، ودُعُوا إِلَيْهِ لَا يَتَّبِعُوهُمْ، وكأنَّ اتَّبَعَ أَكْثَرُ فِي اسْتِعْمَالِهِمْ مِنْ تَبَعَ، وإن كانا بمعنى واحدٍ^{٨٠}.

وكلاهما وردا في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الأَعْرَافُ: ١٧٦].

وعند بعض أهل اللغة: "تبعه" مخفَّفًا، إذا مضى خلفه ولم يدركه، و"اتَّبعه" مشدَّدًا، إذا مضى خلفه فأدركه^{٨١}.

والقراءتان بمعنى واحدٍ غير أنَّ في قراءة ﴿يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بالتشديد، زيادة في المعنى على قراءة ﴿يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بالتخفيف على قول بعض أهل اللغة: "تَبِعَهُ" مخفَّفًا، إذا مضى خلفه ولم يدركه، و"اتَّبَعَهُ" مشدَّدًا، إذا مضى خلفه فأدركه.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في وصف ما يعبد المشركون، أنَّها لا تجلب لنفسها نفعًا ولا تدفع لنفسها ضررًا فضلًا عن غيرها، وهذه الآلهة إنَّ دَعَوَهَا إِلَى طَرِيقِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ لَا تَفْهَمُ وَلَا تَتَّبَعُ؛ لِأَنَّهَا جَمَادٌ، وَمَنْ إِذَا دُعِيَ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُ، فَكَيْفَ يُطْلَبُ مِنْهُ الْهُدَى؟

^{٧٩} ينظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ١٦٩.

^{٨٠} ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٤، ص ١١٣. وذكر القسطلاني أنَّهما لغتان؛ ولهذا جاء في قصة آدم عليه السلام ﴿فَمَنْ تَبَعَ هَذَا﴾ [البقرة: ٣٨]، وفي مكان آخر ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هَذَا﴾ [طه: ١٢٣]. ينظر:

القسطلاني، لطائف الإشارات، ج ٥، ص ٢٢٣١.

^{٨١} ينظر: مكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤٨٦.

وهؤلاء الأصنام إنْ هُدُوا لا يهتدون. فكيف يُعْبَدُ مَنْ إذا دُعِيَ إلى الرشاد وعُرِفَ لم يعرفه، ولم يفهم رشاداً من ضلال، وكان دعاؤه وتركه سواء، فكيف يُعْبَدُ مَنْ هذه صفته وحاله! ٨٢.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بالتشديد، زيادة في المعنى على قراءة ﴿يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بالتخفيف على قول بعض أهل اللغة: "تَبِعَهُ" مخففاً، إذا مضى خلفه ولم يدركه، و"اتَّبَعَهُ" مشدداً، إذا مضى خلفه فأدركه. فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى، والله تعالى أعلم.

الموضع العشرون: قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿طِيفٌ﴾، فقرأها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب ﴿طِيفٌ﴾ بياء ساكنة بعد الطاء من غير ألف ولا همزة. وقرأها الباقون ﴿طِيفٌ﴾ بألف بعد الطاء وبهمزة مكسورة بعدها ٨٣. والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى: **وَقُلْ طَائِفٌ طِيفٌ رَضِيَ حَقُّهُ وَيَا *** يَمْدُونُ فَاضْمُمْ وَأَكْسِرِ الضَّمَّ أَعْدَلًا ٨٤.**

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿طِيفٌ﴾ بياء ساكنة بعد الطاء من غير ألف ولا همزة، طاف الخيال يطيف طيفاً، مثل كال يكيل، إذا أُلِّم في المنام. قال أبو عبيدة رحمه الله تعالى: "طيف من الشيطان يلّم به،

٨٢ ينظر: مكي بن أبي طالب، الهداية الى بلوغ النهاية، ج ٤، ص ٢٦٨١. والشنقيطي، العذب النمير، ج ٤، ص ٤٢٢.

٨٣ ينظر: أبو الحسن ابن غلبون، التذكرة في القراءات الثمان، ص ٣٥٠. وأبو علي الأهوازي، الوجيز، ص ١٩٠. وأبو العز القلانسي، الكفاية الكبرى، ص ٢٥٥.

٨٤ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٦، بيت رقم [٧١٢].

ويقال أيضًا: طاف الخيال يطوف، مثل: قال يقول، فيكون "طيف" محققًا من طيف، كميت وميت.

وقراءة ﴿طُفَّ﴾ بالألف وهمة مكسورة، مصدر على وزن "فاعل" كالعاقبة والعافية، و"فعل" أكثر في المصادر من "فاعل".

وطاف الرجل يطوف طوفًا، إذا أقبل وأدبر، وأطاف يطيف إطفاء، إذا جعل يستدير بالقوم ويأتيهم من نواحيهم^{٨٥}.

والطائف والطيف بمعنى واحد، وهو ما كان كالخيال والشيء يلّم بك. ويجوز أن يكون الطيف محققًا عن طيف مثل ميت وميت. وهو قول بعض البصريين.

وقيل الطيف والطائف بمعنىين مختلفين، وفيه أقوال وهي:

الأول أن الطيف: إنما هو من اللمم والممس. والطائف ما طاف بك من وسوسة الشيطان. وهذا قول بعض الكوفيين.

الثاني: الطائف: كل شيء طاف بالإنسان، والطيف: اللمم.

الثالث: أن الطيف: الوسوسة. وهو قول أبي عمرو بن العلاء رحمه الله تعالى.

الرابع: أن الطائف كل ما طاف حول الإنسان، والطيف اللهو، وهو قول الكسائي رحمه الله تعالى.

الخامس: أن الطيف الغضب وهو قول سعيد بن جبيرة^{٨٦} ومجاهد رحمهما الله تعالى، والطائف لمة من الشيطان وهو قول ابن عباس رضي الله عنه^{٨٧}. وقيل: الطيف التخيل. والطائف الشيطان نفسه^{٨٨}.

^{٨٥} ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٤، ص ١٢٠. ومكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤٨٧.

^{٨٦} هو سعيد بن جبيرة بن هشام، أبو محمد الأسدي الكوفي الإمام الكبير، كان من سادات التابعين علمًا وفضلًا وصدقًا وعبادة، الحافظ المقرئ المفسر، من تلاميذ ابن عباس رضي الله عنه، قتله الحجاج سنة (١٩٥هـ). ينظر: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين المالكي الداودي، طبقات المفسرين، تحقيق: لجنة من العلماء، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط، د. ت)، ج ١، ص ١٨٨.

^{٨٧} ينظر: ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، ج ١٠، ص ٦٤٦. ومكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤٨٧.

^{٨٨} محمد بن أحمد بن أبي بكر، أبو عبد الله، شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ/١٩٨٤م)، ج ٧، ص ٣٥٠.

والذي يتبيّن في جميع هذه الأقوال، أنّ قول الأخير يشمل جميع ما قيل في معنى القراءتين، فـ"الطيف" يرجع إلى ذكر شيء معيّن مما يستعمله الشيطان، ففيه تقييد بالشيء الذي يمسّ المتقين به. وأمّا "الطائف" فيرجع إلى الشيطان وكل ما يقوم به ويستعمله ويطوف به، ففي هذا شمول لجميع ما يمسّ به الشيطان المتقين به من كيده ووسوسته. ومعنى القراءتين متلازم يرجع إلى شيء واحد، وهو الشيطان ووسوسته وكيده.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى أنّ الشيطان إذا مسّ المتقين بكيده وشرّه أو بجميع ما يقوم ويطوف به من مكروه ووسوسته. فإذا وقع لهم شيء من ذلك أعرضوا عن ذلك إلى ما يرضي الله ويسخط الشيطان، وهو ترك ذلك الكيد والوسوسة مع التوبة والاستغفار عما وقعوا فيه.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿طَيْفٌ﴾ بالمد والهمزة، الإشارة إلى الشيطان وكل ما يقوم به من مكروه وكيده، بخلاف قراءة ﴿طَيْفٌ﴾ بياء ساكنة من غير همزة ولا ألف، فإنّها قيّدت ما يقوم به من الكيد والمكر، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوّة اللفظ لقوّة المعنى، والله تعالى أعلم.

وبهذا ينتهي هذا المبحث والله الحمد، وقد حوى عشرين موضعاً في سورة الأعراف من القراءات الفرشية، التي زاد مبنى الكلمة بالألف أو بالثقل والتخفيف أو التي تحوّل مبنى الكلمة إلى الأقوى على القراءة الأخرى، المتعلّق بالمعنى في كلمة واحدة، كما تمّ ذكره في حدود البحث.

وقد سعى الباحث - بعون الله وتوفيقه - في هذا المبحث بيان وجه التكامل بين هذه القراءات، وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة، والله الحمد والمنة.

المبحث الثاني: سورة الأنفال

يسعى هذا المبحث إلى إبراز أثر دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى في القراءات القرآنية الفرشية في سورة الأنفال، التي زاد مبنى الكلمة على القراءة الأخرى المتعلق بالمعنى، أو تحوّل وزن الكلمة إلى أقوى منه في المعنى، ويقوم الباحث بدراسة المواضع في هذه السورة، الواحد تلو الآخر، وفق ترتيب القراءات وإيرادها في القرآن الكريم.

الموضع الأول: قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمتي ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ﴾، فقرأها ابن كثير وأبو عمرو ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ﴾ بياء مفتوحة وسكون في الغين وفتح الشين وتخفيفها وألف بعدها، و﴿النُّعَاسُ﴾ بالرفع. وقرأها نافع وأبو جعفر ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ﴾ بياء مضمومة وسكون في الغين وكسر الشين وتخفيفها وياء ساكنة بعدها، و﴿النُّعَاسُ﴾ بالنصب، وقرأها الباقون ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ﴾ بياء مضمومة وبفتح في الغين وكسر الشين وتشديدها و﴿النُّعَاسُ﴾ بالنصب^{٨٩}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَيُغَشِّي سَمًا خَفًّا وَفِي ضَمِّهِ افْتَحُوا *** وَفِي الْكَسْرِ حَقًّا وَالنُّعَاسَ ارْفَعُوا وَلَا^{٩٠}.

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

وَقَصْرُ أَنَا مَعَ كَسْرِ اعْلَمْ وَمُرْدِي فِي اف *** تَحَنُّ مُوهِنٌ وَأَقْرَأُ يُغَشِّي انْصَبِ الْوَلَا حَلَا^{٩١}.

^{٨٩} ينظر: أبو معشر الطبري، التلخيص في القراءات الثمان، ص ٢٧٥. وسبط الخياط، المبهج، ج ٢، ص ٣١٠.

والواسطي، الكنز في القراءات العشر، ج ٢، ص ٤٩٢.

^{٩٠} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٦، بيت رقم [٧١٥].

والكلام على هذه القراءة مثل الذي سبق في موضع الرابع من سورة الأعراف.

الموضع الثاني: قوله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ يُعَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿يُنَزِّلُ﴾، وقد سبق الكلام عليها في موضع التاسع من البقرة.

الموضع الثالث: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٨].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة ﴿مُوهِنٌ كَيْدٍ﴾، فقرأه نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ﴿مُوهِنٌ كَيْدٌ﴾ بفتح في الواو وتشديد في الهاء وتنوين النون ونصب دال ﴿كَيْدٌ﴾.

وقرأه ابن عامر وشعبة وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب ﴿مُوهِنٌ كَيْدٌ﴾ بسكون في الواو وتخفيف في الهاء وتنوين النون ونصب دال ﴿كَيْدٌ﴾. وقرأه حفص ﴿مُوهِنٌ كَيْدٌ﴾ بسكون في الواو وتخفيف في الهاء وحذف التنوين وخفض دال ﴿كَيْدٌ﴾^{٩٢}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَمُوهِنٌ بِالتَّخْفِيفِ ذَا عٍ وَفِيهِ لَمْ *** يُنَوِّنْ حِفْصٌ كَيْدَ بِالْحُفْضِ عَوَّلًا^{٩٣}.

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

^{٩١} ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٩، بيت رقم [١١٨].

^{٩٢} ينظر: أبو عمرو الداني، التيسير، ص ١١٦. وابن فارس، التبصرة في القراءات الأئمة العشرة، ص ٢٧٨. وابن

الجزري، تحبير التيسير، ص ٣٨٤.

^{٩٣} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٧، بيت رقم [٧١٧].

وَقَصُرْنَا مَعَ كَسْرِ اعْلَمَ وَمُرْدِي فِي أَفْ *** نَحْنُ مُوَهِّنٌ وَأَقْرَأُ يُعْشَى انْصَبِ الْوَلَا حَالاً^{٩٤}.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿مُوَهِّنٌ كَيْدٌ﴾ بالتشديد ونصب دال ﴿كَيْدٌ﴾، اسم فاعل من وَهَّنَ يَوْهِنُ، كَنَحْوِ قَتَلَ يَقْتُلُ، وحجة ذلك أنَّ التشديد إنما يقع لتكرّر الفعل؛ لأنّه وقع من تثبيت أقدام المؤمنين بالغيث وربطه على قلوبهم وتقليله إياهم في أعينهم عند القتال، شيء بعد شيء وحال بعد حال في وقت بعد وقت، فكان الأولى أن يشدّد الفعل لتردّد هذه الأفعال، فكأنّه أوقع الوهن بكيد الكافرين مرّة بعد مرّة فوجب أن يقال: ﴿مُوَهِّنٌ﴾ بالتشديد لهذه العلة^{٩٥}.

وقراءة ﴿مُوَهِّنٌ كَيْدٌ﴾ بالسكون والتخفيف وتنوين النون ونصب دال ﴿كَيْدٌ﴾، اسم فاعل من أوهن يوهن فهو موهن، مثل أيقن يوقن فهو موقن، "أوهن فلان الشيء" إذا أضعفه، يقال: وَهَّنَ الشيء وأوهنته كَخَرَجَ وأخرجته. وهما لغتان مثل كَرَّمَ وأكرم. فأما التنوين في قراءة ﴿مُوَهِّنٌ كَيْدٌ﴾ بالتشديد وقراءة ﴿مُوَهِّنٌ كَيْدٌ﴾ بالتخفيف، فهو الأصل في اسم الفاعل، إذا أُريد به الاستقبال أو الحال، فينوّن على أصله، فانتصب به ﴿كَيْدٌ﴾ انتصاب المفعول به؛ لأنَّ اسم الفاعل بمعنى الحال أو الاستقبال. كقولك: الأمير خارج الآن أو غداً.

وقراءة ﴿مُوَهِّنٌ كَيْدٌ﴾ بسكون الواو اسم فاعل من "أوهن" كما تقدّم، وحذف التنوين وخفض دال ﴿كَيْدٌ﴾ على الإضافة، وحجته أنّه أُرِدَ التخفيف فحذف التنوين، وأضاف استخفافاً على أصل اسم الفاعل إذا أُريد به الحال أو الاستقبال، ومن لم ينوّن جاز أن يريد به الماضي والاستقبال. وقد جاء القرآن بالإضافة وبغير الإضافة، كما قال الله تعالى: ﴿هَدْيًا بَلَغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ [الكهف: ٢٣]، وترك التنوين أخفّ وأكثر في القرآن والكلام، وإثباته هو الأصل^{٩٦}.

^{٩٤} ابن الجزري، الدرّة المضيئة، ص ٢٩، بيت رقم [١١٨].

^{٩٥} ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ٣٠٩.

^{٩٦} ينظر: مكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤٩٠. وابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٥٧٦.

والذي يظهر في هذه القراءات أنَّها بمعنى واحدٍ، فقراءة ﴿مُوهِنٌ﴾ و﴿مُوهِنٌ﴾ وكلها اسم فاعل من "وهنت الشيء وأوهنته"، كخرَج وأخرجته "فعلت وأفعلت" بمعنى واحدٍ، والنقل بالهمزة مثل النقل بالتضعيف، إلا أنَّ في التشديد معنى التكرير والمبالغة. فهو توهين بعد توهين.

والتنوين على الأصل وإرادة الحال والاستقبال. وحذف التنوين على الجواز وإرادة الماضي والاستقبال. ومن نصب ﴿كَيْدٌ﴾ فلأنَّه مفعول به، ومن خفضه فلأنَّه مضاف إليه. وتتكامل دلالة معنى القراءتين في تبشير المؤمنين واطمئنانهم بأنَّ الله تبارك وتعالى، يُضعِف كل ما يبرمه المشركون من الكيد والمكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وينقضه الله عقدًا بعد عقد وشيئًا بعد شيء، وذلك ما ذكره من تثبيت أقدام المؤمنين بالغيث وربطه على قلوبهم، وتقليلهم في أعينهم عند القتال، فذلك منه شيء بعد شيء.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿مُوهِنٌ﴾ بالتشديد إفادتها المبالغة في المعنى، وتكرير وقوع الفعل، فالله تبارك وتعالى أوقع الوهن بكيد الكافرين مرّة بعد مرّة. فهو توهين بعد توهين بخلاف قراءة التخفيف، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوّة اللفظ لقوّة المعنى، والله تعالى أعلم.

الموضع الرابع: قول الله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٧].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿لِيَمِيزَ﴾، فقرأها حمزة والكسائي ويعقوب وخلف ﴿لِيَمِيزَ﴾ بياء مضمومة وفتح في الميم وكسر الياء وتشديدها، وقرأها الباقون ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ﴾ بياء مفتوحة وكسر في الميم والتخفيف^{٩٧}.

وقد سبق الكلام عليها في موضع العاشر من سورة آل عمران.

^{٩٧} ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص ١٧٢. وابن الباذش، الإقناع، ص ٣١٢.

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿تُرْهِبُونَ﴾، فقرأها رويس ﴿تُرْهِبُونَ﴾ بفتح في الراء وتشديد الهاء، وقرأها الباقون ﴿تُرْهِبُونَ﴾ بسكون في الراء وتخفيف الهاء^{٩٨}.

والشاهد من الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

وَفِي تُرْهِبُوا اشْدُّ طَبٌّ وَضَعْفًا فَحَرِّكَ *** دِدِ اهْمَزْ بِلا نُونٍ أُسَارَى مَعًا أَلَا^{٩٩}.
وهذه القراءة مما زادته الدرّة على الشاطبية.

توجيه القراءة:

أنّ قراءة ﴿تُرْهِبُونَ﴾ بسكون في الراء وتخفيف الهاء، مضارع من "أرهب" عُدِّي بالهمزة. وقراءة ﴿تُرْهِبُونَ﴾ بفتح الراء والتشديد، مضارع من "رهب" يتعدّى بتضعيف العين. وكلاهما واحد في المعنى؛ لأنّ النقل بالهمزة كالنقل بالتضعيف، واللازم من كليهما "رَهَب" ^{١٠٠}.

ومعنى القراءتين: أي: تخيفون وترعبون به عدو الله وعدوكم، وهم مشركو مكة وكفار العرب وغيرهم ^{١٠١}.

والظاهر أنّ القراءتين لغتان بمعنى واحدٍ، غير أنّ قراءة ﴿تُرْهِبُونَ﴾ بالتشديد تفيد التكرير والمبالغة في المعنى أكثر من قراءة ﴿تُرْهِبُونَ﴾ بالتخفيف.

^{٩٨} ينظر: أبو علي الأهوازي، الوجيز، ج ١٩٤. وابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٢٧٧.

^{٩٩} ابن الجزري، الدرّة المصنّبة، ص ٢٩، بيت رقم [١٢٠].

^{١٠٠} ينظر: ابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٥٨٣.

^{١٠١} ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٢، ص ٢٢١.

وتتکامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى أمر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، بالاستعداد لكل ما يعينهم على القتال تخويفاً للأعداء، وكلما كان الاستعداد كثيراً كان تخويف الأعداء به أكثر وأقوى.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿تُرْهِبُونَ﴾ بالتشديد إفادتها المبالغة في المعنى والتكثير، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى، والله أعلم.

الموضع السادس: قول الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٦].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿ضَعْفًا﴾، فقرأها عاصم وحمة وخلف ﴿ضَعْفًا﴾ بفتح الضاد. وقرأها الباقر ﴿ضُعْفًا﴾ بضم الضاد. وقرأها أبو جعفر ﴿ضُعْفَاءً﴾ بضم في الضاد وفتح في العين والمد وبهمز مفتوحة بعد المد من غير تنوين ١٠٢.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَتَائِي يَكُنْ غُضْنٌ وَتَالِثُهَا ثَوَى *** وَضُعْفًا يَفْتَحُ الضَّمُّ فَاشِيهِ نُفْلًا ١٠٣.

ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

وَفِي تُرْهِبُوا اشْدُدْ طَبْ وَضُعْفًا فَحَرِّكْ أَمْ *** دُرْ أَهْمَزْ بِلا نُونٍ أُسَارَى مَعًا أَلَا ١٠٤.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿ضَعْفًا﴾ بفتح الضاد و﴿ضُعْفًا﴾ بضم الضاد بمعنى واحدٍ، يقال هو الضَّعْف والضُّعْف، كالمَكْث والمُكْث، وباب "فَعْلٍ وفُعْلٍ" في اللغة كثير بمعنى واحدٍ ١٠٥.

١٠٢ ينظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص ٣٠٨. وابن مهران، المسوط في القراءات العشر، ص ٢٢٢.

١٠٣ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٧، بيت رقم [٧٢٢].

١٠٤ ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٩، بيت رقم [١٢٠].

وقيل بالفرق بينهما كما ذكر الراغب الأصفهاني قول الخليل^{١٠٦} في ذلك، الضَّعْفُ بالضم في البدن، والضَّعْفُ في العقل والرأي، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا﴾ [البقرة: ٢٨٢] ١٠٧.

وقال أبو عمرو بن العلاء: الضَّعْفُ لغة أهل الحجاز، والضَّعْفُ لغة تميم، فأما التفريق بينهما فلا يصحَّ أعني في المعنى^{١٠٨}، وعلى هذا فهما بمعنى واحد.

ومعنى الضَّعْفُ: خلاف القوَّة، وقد ضَعُفَ فهو ضَعِيفٌ. قال تعالى: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٨٣]، والضَّعْفُ قد يكون في النفس وفي البدن وفي الحال^{١٠٩}. وذكر ابن عاشور - رحمه الله تعالى - أنَّ الضعف عدم القدرة والاستطاعة على الأعمال الشديدة أو الشاقة، ويكون ذلك في عموم الجسد أو في بعضه، وتنكيره للتنوع، وهو ضعف الرهبة من لقاء العدد الكثير في قلة، وجَعْلُهُ مدخولَ "في" الظرفية يَوْمِيَّ إلى تمكِّنه في نفوسهم؛ فلذلك أوجب التخفيف في التكليف^{١١٠}.

وقراءة ﴿ضُعْفَاءَ﴾ بضم الضاد وفتح العين والمد والهمز مفتوحة على وزن "فُعَلَاءَ"، ضعفاء جمع ضعيف، كما يقال كريم وكرماء، وشريف وشرفاء، وضعفاء لم يُصْرَفْ وَيُنَوَّنْ؛ لأنَّ "فُعَلَاءَ" في آخرها ألف التأنيث، وهو مما يمنع الصرف والتثنية.

^{١٠٥} الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٢، ص ٤٢٤.

^{١٠٦} هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي أبو عبد الرحمن، إمام في اللغة، وكان ذكيًا فطنًا شاعرًا، واستنبط من العروض ومن علل النحو ما لم يستنبط أحد، وما لم يسبقه إلى مثله سابق، المتوفى سنة (١٧٠هـ). ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ٤٧.

^{١٠٧} الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، أبو القاسم، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق: دار القلم والدار الشامية، ط ١، ١٤١٢هـ)، ص ٥٠٦.

^{١٠٨} النحاس، إعراب القرآن، ج ٢، ص ١٠٤.

^{١٠٩} الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٥٠٦.

^{١١٠} ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٠، ص ٧٠.

ومعنى قراءة ﴿ضُعْفَاءَ﴾، أي علم أنّ فيكم قويًّا وضعيفًا، أو أنّ بعضكم ضعيف، وقيل إنّه وضّح قراءة الجماعة؛ لأنّ قراءتهم تحتاج إلى تأويل: أي ضعفاء في النفوس^{١١١}.
ويظهر خلال ما سبق، أنّ قراءة ﴿ضُعْفًا﴾ بفتح الضاد وقراءة ﴿ضُعْفًا﴾ بضم الضاد الضّعف والضعف مصدران بمعنى واحدٍ، مثل المَكْث والمُكْث، والفَقْر والفُقْر، وباب "فَعْلٍ وفُعلٍ" كثير في اللغة، والضعف أو الضّعف قد يكون في النفس وفي البدن وفي الحال، فكل ذلك يسمّى ضُعْفًا وضُعْفًا.

وقراءة ﴿ضُعْفَاءَ﴾ بالضم والمد وبهمز مفتوحة بعد المد على وزن "فُعَلَاءَ"، جمع ضعيف، كما يقال: شريف وشرفاء، وهذه القراءة توضيح لقراءتي ﴿ضُعْفًا﴾ بالفتح و﴿ضُعْفًا﴾ بالضم، بأنّ هذا الضعف في الضعفاء منهم فقط، ليس فيهم جميعًا، بل في بعضهم.

وتتكامل دلالة معنى هذه القراءات في الإشارة إلى سبب التخفيف على المؤمنين في مواجهة الكفار في القتال، أنّ فيهم ضُعْفًا وضُعْفًا، وهذا الضعف ليس فيهم جميعًا، وإنما هو موجود في الضعفاء منهم، فعلم الله أنّ فيهم قويًّا وضعيفًا، فخفّف عنهم لأجل ذلك رحمةً منه وفضلاً، تبارك ربنا وتعالى.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿ضُعْفَاءَ﴾ بالمد والهمز على الجمع، إفادتها الكثرة من لفظها بأوضح الصيغة بدون احتمال القلة؛ لأنّها على وزن "فُعَلَاءَ" فهو من أوزان الكثرة، بخلاف قراءتي ﴿ضُعْفًا﴾ بالفتح و﴿ضُعْفًا﴾ بالضم على المصدر، والمصدر يقع على الواحد والجمع من صنفه، لكنّ إفادة المصدر للجمع ليس كـ"فُعَلَاءَ"؛ لأنّ وزن "فُعَلَاءَ" من أوزان الكثرة، وعلى هذا فلا يفيد هذا المصدر الكثرة مثل "فُعَلَاءَ" هنا.

وتفيد أيضًا أثر دلالة الزيادة في قراءة ﴿ضُعْفَاءَ﴾ بالمد والهمز، الوضوح والبيان على قراءتي ﴿ضُعْفًا﴾ بالفتح و﴿ضُعْفًا﴾ بالضم، فهاتين القراءتين أطلقت الضعف، وقد يُتوهم

^{١١١} ابن الجزري، شرح طيبة النشر في القراءات، تحقيق: الشيخ أنس مهرة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ص ٢٤٣.

أنه في المؤمنين جميعاً، وقراءة ﴿ضُعَفَاء﴾ بينت بأن الضعف في الضعفاء منهم فقط ليس في جميعهم، فبعضهم أقوىاء وبعضهم ضعفاء، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، والله أعلم.

الموضع السابع: قوله تبارك وتعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧].
ونظيره قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌ لِّمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمتي ﴿أَسْرَىٰ﴾ و﴿الْأَسْرَىٰ﴾، فقرأها أبو جعفر ﴿أُسْرَىٰ﴾ و﴿الْأُسْرَىٰ﴾ بضم في الهمزة وألف بعد السين، ووافقه أبو عمرو في ﴿الْأُسْرَىٰ﴾، وقرأها الباقون ﴿أُسْرَىٰ﴾ و﴿الْأُسْرَىٰ﴾ بفتح في الهمزة وسكون في السين من غير الألف ١١٢.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وفي الرُّوم صِفْ عَنْ حُلْفٍ فَضْلٍ وَأَنْتَ أَنْ *** يَكُونُ مَعَ الْأَسْرَى الْأَسَارَى حُلًّا حَلًّا ١١٣.
ومن الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

وَفِي تُرْهَبُوا اشْدُدْ طِبْ وَضُعْفًا فَحَرِّكَ أَمْ *** دُرْ أَهْمَزْ بِلا نُونٍ أُسَارَى مَعًا أَلَا.
يَكُونُ فَأَنْتَ إِذْ وَلَايَةَ ذِي افْتَحَنْ *** فَنَّا وَاقْرَأِ الْأَسْرَى حَمِيدًا مُحْصَلًا ١١٤.

والكلام عليها مثل ما سبق في موضع السابع من سورة البقرة، أعدت ذكرها هنا

لاختلاف القراءات فيها في هذه المواضع.

وهذه نهاية هذا المبحث - والله الحمد والمثنة - وقد تضمن سبع مواضع من القراءات

العشر المتواترة في سورة الأنفال، التي زاد مبنى الكلمة بالألف أو بالثقل والتخفيف، أو التي تحوّل مبنى الكلمة إلى الأقوى على القراءة الأخرى المتعلّق بالمعنى في كلمة واحدة.

١١٢ ينظر: ابن سوار، المستنير، ص ٥٧٤. وابن الباذش، الإقناع، ص ٣٢٧. وابن الجزري، النشر، ص ٢٧٧.

١١٣ الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٧، بيت رقم [٧٢٣].

١١٤ ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٩، بيت رقم [١٢٠-١٢١].

وقد سعى الباحث - قدر المستطاع - في هذا المبحث بيان وجه التكامل بين القراءات
وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة، والله ولي التوفيق والسداد.



المبحث الثالث: سورة التوبة

يتناول هذا المبحث أثر دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى في القراءات القرآنية الفرشية في سورة التوبة، التي زاد مبنى الكلمة على القراءة الأخرى المتعلق بالمعنى، أو تحوّل وزن الكلمة إلى أقوى منه في المعنى، ويحاول البحث مناقشة ذلك الأثر عند علماء التوجيه والمفسرين في هذه السورة واحدًا بعد واحد، حسب ترتيب القراءات وإيرادها في هذه السورة.

الموضع الأول: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٧].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿مَسْجِدَ﴾ في هذا الموضع فقط، فقرأها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب ﴿مَسْجِدَ﴾ بسكون السين وحذف الألف على الأفراد، وقرأها الباقون ﴿مَسْجِدَ﴾ بفتح في السين وألف بعد السين على الجمع^{١١٥}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَيُكْسَرُ لَا أَيْمَانَ عِنْدَ ابْنِ عَامِرٍ *** وَوَحَّدَ حَقُّ مَسْجِدِ اللَّهِ الْأَوَّلَا^{١١٦}.

توجيه القراءة:

أنّ قراءة ﴿مَسْجِدَ﴾ بغير الألف على الأفراد، المراد بها المسجد الحرام، وحجة من أفرد أنّه يعني به ما تأخر من قوله تبارك وتعالى: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٩]، وقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التَّوْبَةُ: ٢٨]، واستغنى عن وصفه بالحرام بما تقدّم

^{١١٥} ينظر: ابن خالويه، البديع، ص ١٢٩. وأبو علي الأهوازي، الوجيز، ج ١٩٥. والواسطي، الكنز في القراءات

العشر، ج ٢، ص ٤٩٦.

^{١١٦} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٧، بيت رقم [٧٢٥].

من ذكره في قوله: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عٰهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [التَّوْبَةُ: ٧].

ويحتمل أن يكون اسم جنس فيندرج فيه سائر المساجد، ويدخل المسجد الحرام دخولاً أولياً^{١١٧}.

وقراءة ﴿مَسْجِدَ﴾ بالألف على الجمع؛ فلا نَّ الجمع يشمل المسجد الحرام وغيره من المساجد؛ وإجماع الجميع أيضاً على قوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٨] على الجمع، فُرِّدَ ما اختلف فيه إلى ما أُجمع عليه، وأنه إذا قرئ على الجمع يدخل فيه المسجد الحرام وغيره من المساجد، وإذا قرئ على الأفراد لم يدخل فيه غير المسجد الحرام، وإنما يكون المراد به المسجد الحرام فقط^{١١٨}.

وذكر الرازي رحمه الله تعالى أن قراءة ﴿مَسْجِدَ﴾ بالألف على الجمع لها وجوه منها:
الأول: أن معنى قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ أي: ما كان للمشركين أن يعمرُوا شيئاً من مساجد الله، وإذا كان الأمر كذلك، فأولى أن لا يَمَكَّنُوا من عمارة المسجد الحرام، الذي هو أشرف المساجد وأعظمها.

الثاني: أن العرب قد تضع الواحد مكان الجمع، والجمع مكان الواحد، أمّا وضع الواحد مكان الجمع ففي نحو قولهم: فلان كثير الدرهم، وأمّا وضع الجمع مكان الواحد، ففي قولهم: فلان يجالس الملوك مع أنه لا يجلس إلا مع ملك واحد. كما ذكره الفراء رحمه الله تعالى.

الثالث: أن المراد بها المسجد الحرام، وإنما قيل: مساجد؛ لأنه قبله جميع المساجد وإمامها، فعامره كالذي يعمر جميع المساجد.

الرابع: أن المراد بالمسجد موضع السجود، فكل بقعة من بقاع المسجد الحرام فهي مسجد^{١١٩}. وكل هذه الأوجه تحتمله القراءة، لا تتعارض مع السياق، لكن القول الأول والثاني أظهر للسياق، والله أعلم.

^{١١٧} ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٤، ص ١٧٩. والسمين الحلبي، الدر المنصون، ج ٦، ص ٢٩.

^{١١٨} ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٣١٦.

^{١١٩} ينظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٦، ص ٩.

والذي يظهر في معنى القراءتين، أنَّ قراءة ﴿مَسْجِدَ﴾ بغير الألف على الأفراد، المراد بها المسجد الحرام، وتحتل أن تكون على الجنس فتشمل جميع المساجد. وقراءة ﴿مَسْجِدَ﴾ بالألف على الجمع؛ فلأنَّ الجمع يشمل المسجد الحرام وغيره من المساجد.

وتتكمال دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى نفي تمكين المشركين من إعمار أي مسجد من المساجد، المسجد الحرام وغيره من المساجد؛ لأنَّهم ليسوا بأولياء مساجد المسلمين، فلا يُمكن المشركون من إعمارها وهم على كفرهم لم يؤمنوا بالله ولا برسوله.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿مَسْجِدَ﴾ بالألف على الجمع، شموليتها المساجد كلها، المسجد الحرام وغيره من المساجد، فتفيد هذه القراءة الجمع من لفظها بدون احتمال الأفراد بخلاف قراءة ﴿مَسْجِدَ﴾ على الأفراد، فإنَّها وإن كانت على الجنس، ففيها احتمال الأفراد من لفظها، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى.

الموضع الثاني: قوله تبارك وتعالى: ﴿أَجْعَلْنٰ سِقَايَةَ الْحَآجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجُهَدَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللّٰهِ وَلَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٩].

القراءة:

اختلف القرّاء في قراءة كلمتي ﴿سِقَايَةَ﴾ و﴿عِمَارَةَ﴾، فقرأهما ابن وردان بخلف عنه ﴿سُقَّةُ﴾ بسين مضمومة وبحذف الياء بعد الألف جمع ساق، و﴿عَمْرَةَ﴾ بعين مفتوحة وبحذف الألف جمع عامر. وقرأ الباقر ﴿سِقَايَةَ﴾ بسين مكسورة وبياء مفتوحة بعد الألف، و﴿عِمَارَةَ﴾ بعين مكسورة وألف بعد الميم، وهو الوجه الثاني لابن وردان ١٢٠.

١٢٠ ينظر: أبو العز القلانسي، الكفاية الكبرى، ص ٢٦٠. ابن الجزري، تحبير التيسير، ص ٣٨٨، وقال ابن الجزري: "وهي رواية ميمونة والقورسي عن أبي جعفر، وكذا روى أحمد بن جبير الأنطاكي عن ابن جهمز، وهي قراءة عبد الله بن الزبير، وقد رأيتهما في المصاحف القديمة محذوفتي الألف كقيامه وجمالة، ثم رأيتها كذلك في مصحف المدينة الشريفة، ولم أعلم أحدًا نصّ على إثبات الألف فيهما، ولا في إحداهما، وهذه الرواية تدل على حذفها منهما إذ هي محتملة الرسم". ابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٢٧٨.

والشاهد من الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

وَقُلْ عَمْرَهُ مَعَهَا سُقَاةَ الْخِلَافِ بْنِ *** عَزِيزُ فَنَوْنٍ حُزْ وَعَيْنَ عَشْرَ أَلَا ١٢١.

وهذه القراءة مما زادت الدرّة به على الشاطبية.

توجيه القراءة:

أَنَّ قراءة ﴿سُقَاةَ﴾ بسين مضمومة وحذف الياء و﴿عَمْرَهُ﴾ بعين مفتوحة وحذف الألف، وهما جمع ساقٍ وعامر، كما تقول العرب: رامٍ وزُمامة، قاضٍ وقُضَاة، وفاجرٍ وفَجَرَة. والأصل: سُقَيَّة، فثُلِبَ الياء ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها. ولا يحتاج إلى تقدير حذف مضاف، وإن كان يحتاج إليه في قراءة الجمهور.

وقراءة ﴿سِقَايَةَ﴾ بسين مكسورة وياء مفتوحة بعد الألف، و﴿عِمَارَةَ﴾ بعين مكسورة وألف بعد الميم، مصدران من سقى وعمر على وزن "فَعَالَة".

والسقاية والعمارة كالوقاية والتجارة والصيانة، ولم تُثَلَب الياء همزة؛ لتحسينها بتاء التأنيث بخلاف عَبَاءة وِرْدَاءة؛ لطُروء تاء التأنيث فيها، وعند إذ فلا بدّ أن يحذف المضاف: إمّا من الأول، وإمّا من الثاني ليتصادق المجمعولان، ويكون تقديره: أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كَمَنْ آمَن، كما قال تعالى: ﴿وَسَلِّ الْفَرِيَّةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يُوسُف: ٨٢] أو يكون تقديره: أجعلتم السقاية والعمارة كإيمان مَنْ آمَن بالله، أو كعمل مَنْ آمَن ١٢٢. ويجوز أن يكون المصدر هنا بمعنى الفاعل، وعليه فالسقاية والعمارة بمعنى الساقى والعامر، والتقدير: أجعلتم ساقى الحاج وعامر المسجد الحرام. كقوله: ﴿وَالْعُقْبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢] أي: للمتقين. ويؤيد هذا الوجه قراءة ﴿سُقَاةَ﴾ و﴿عَمْرَهُ﴾ على جمع الساقى والعامر ١٢٣.

١٢١ ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٩، بيت رقم [١٢٢].

١٢٢ ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٦، ص ٣١.

١٢٣ أحمد بن إبراهيم أبو إسحاق الثعلبي، تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: عدد من الباحثين، (المملكة العربية السعودية: دار التفسير، ط ١، ١٤٣٦ هـ/٢٠١٥ م)، ج ١٣، ص ٢٣٨.

والسقاية صيغة تدل على الصناعة، أي صناعة السُّقيا، وهي السُّقيا من ماء زمزم؛ ولذلك أضيفت إلى الحاج.

والعمارة أيضًا صناعة للتعجير، أي القيام على تعجير شيء بإصلاحه وحراسته ونحو ذلك، والمراد بها هنا: غير ما في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾، وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٨]، وأضيفت إلى المسجد الحرام؛ لأنها عمل في ذات المسجد. وتعريف الحاج تعريف الجنس ١٢٤.

ومعنى الآية: أنَّ الله تعالى أنكر على المشركين التسوية بين ما كان يعمل به المشركون من الأعمال الخيرية وإن لم ينتفعوا بها، وبين إيمان المؤمنين وجهادهم في سبيل الله، والمشركون كانوا يفتخرون بالسقاية والعمارة ويرون أنهما أفضل من عمل المسلمين، فأنكر الله عليهم ذلك، وصرح تعالى بالمفاضلة بين الفريقين وتفاوتهم، وعدم استوائهم، فلا يساوي مع الإيمان شيء من العمل مهما كان حسنه ١٢٥.

والذي يظهر في القراءتين أنَّ قراءة ﴿سُقَّةٌ﴾ و﴿عَمْرَةٌ﴾ على جمع ساقى وعامر، كَرَام ورماة وصانع وصنعة. وقراءة ﴿سِقَايَةٍ﴾ بالكسر والياء بعد الألف و﴿عِمَارَةٍ﴾ بكسر العين، مصدران نحو الصيانة والوقاية، وفي الكلام حذف، إمَّا من الأول، وإمَّا من الثاني، والتقدير: أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كَمَنْ آمَن. أو أجعلتم السقاية والعمارة كإيمان مَنْ آمَن، أو كعمل مَنْ آمَن.

وقيل المصدر هنا بمعنى الفاعل، وعليه فلا حاجة إلى التقدير في شيء، فالسقاية والعمارة بمعنى الساقى والعامر، وتقديره: أجعلتم ساقى الحاج وعامر المسجد الحرام، ويؤيد هذا الوجه قراءة ﴿سُقَّةٌ﴾ و﴿عَمْرَةٌ﴾ على جمع الساقى والعامر. وعلى هذا تتفق معنى القراءتين على معنى واحد.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى إنكار أن يُشَبَّه المشركون بالمؤمنين؛ لأنَّ أعمال المشركين محبطة، وأعمال المؤمنين مثبتة، فلا يُسَوَّى بينهما، فأعمال المؤمنين استوفت

١٢٤ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٠، ص ١٤٣.

١٢٥ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط ١، ١٤١٤هـ)، ج ٢، ص ٣٩٣.

شروط القبول وهو الإيمان، وأعمال المشركين لم تستوف ذلك فتسويتها ظلم، ومهما كان العمل حسناً، فلا يساوي الإيمان بالله تعالى وتوحيده.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في القراءتين هنا، كان بتحويل وزن الكلمة إلى الأقوى، فقراءة ﴿سُقَّةٌ﴾ و﴿عَمْرَةٌ﴾ تفيد الفاعل بدون تقدير، وهي على جمع تكسير، وهو من جموع الكثرة، بخلاف قراءة ﴿سِقَايَةٌ﴾ و﴿عِمَارَةٌ﴾ فإنهما مصدران، ولا بد من التقدير في أحدهما، وأمّا على القول بأنّ المصدر هنا بمعنى الفاعل، فتتفق القراءتان في معنى واحد، وتكون القراءتان من باب التأكيد. والله تعالى أعلى وأعلم.

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التَّوْبَةُ: ٢٤].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿عَشِيرَتُكُمْ﴾، فقرأها شعبة ﴿عَشِيرَاتُكُمْ﴾ بالألف على الجمع، وقرأها الباكون ﴿عَشِيرَتُكُمْ﴾ بغير ألف على الأفراد^{١٢٦}.
والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:
عَشِيرَاتُكُمْ بِالْجَمْعِ صِدْقٌ وَتَوَنُّوا *** عَزِيزٌ رَضَى نَصٍّ وَبِالْكَسْرِ وَكَلًّا^{١٢٧}.

توجيه القراءة:

أنّ قراءة ﴿عَشِيرَاتُكُمْ﴾ بالألف على الجمع؛ لأنّ كل واحد من المخاطبين له عشيرة، فجمعت حملاً على المعنى.

^{١٢٦} ينظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص ٣١٣. وابن الجزري، تحبير التيسير، ص ٣٨٩.

^{١٢٧} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٧، بيت رقم [٧٢٦].

وقراءة ﴿عَشِيرَتُكُمْ﴾ بغير ألف على الأفراد؛ للاستغناء بما أضيفت إليه من الجمع عن جمعه لدلالته عليه، وكذلك فإنَّ العشيرة تقع على الجمع، فاستُغنيَ بذلك عن جمعها^{١٢٨}. ومعنى العشيرة: هي الأهل الأذنون. وقيل: هم أهل الرجل الذين يَتَكَثَّرُ بهم أي: يصيرون له بمنزلة العدد الكامل، وذلك أنَّ العشيرة هي العدد الكامل، فصارت العشيرة اسمًا لأقارب الرجل الذي يَتَكَثَّرُ بهم، سواء بلغوا العشرة أم فوقها. وقيل: هي الجماعة المجتمعة بنسبٍ أو عَقْدٍ أو وِدادٍ كعقد العشرة^{١٢٩}.

والذي يظهر في معنى القراءتين يرجع إلى معنى واحدٍ، فقراءة ﴿عَشِيرَتُكُمْ﴾ بالألف على الجمع، أنَّه لكل واحد من المخاطبين عشيرة. وقراءة ﴿عَشِيرَتُكُمْ﴾ بغير ألف على الأفراد؛ للاستغناء بما أضيف إليه من الجمع عن جمعه لدلالته عليه، وأيضًا فإنَّ العشيرة واقعة على الجمع، فاستُغنيَ بذلك عن جمعها.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى تقديم محبة الله ورسوله وجهاد في سبيله على محبة كل شيء من الآباء والأبناء والإخوان والأزواج وكل من جمع بك النسب من الأقرب والأبعد من العشيرة والأموال وغير ذلك مما يحبه الإنسان.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿عَشِيرَتُكُمْ﴾ بالألف على الجمع، إفادتها للجمع من لفظها بدون احتمال القلة، بخلاف قراءة ﴿عَشِيرَتُكُمْ﴾ بغير ألف على الأفراد، فإنَّها وإن أفادت الجمع أيضًا يبقى عليها احتمال القلة من لفظها؛ لأنَّ لفظها المفرد، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى، والله تعالى أعلم.

الموضع الرابع: قوله تبارك وتعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَعْرَتًا أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ

وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [التَّوْبَةُ: ٥٧].

القراءة:

^{١٢٨} ينظر: المنتخب الهمداني، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، ج ٣، ص ٢٤٩.

^{١٢٩} السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٦، ص ٣٥.

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿مُدْخَلًا﴾، فقرأها يعقوب ﴿مَدْخَلًا﴾ بميم مفتوحة وسكون الدال وتخفيفها، وقرأها الباقون ﴿مُدْخَلًا﴾ بميم مضمومة وفتح الدال وتشديدها ١٣٠.

والشاهد من الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

فَسَكِنَ جَمِيعًا وَأَمْدَدُ اثْنَا يَضِلُّ حُطٌ *** بِضَمٍّ وَخَفٍّ اسْكِنَ مَعَ الْفَتْحِ مَدْخَلًا ١٣١.

وهذه القراءة مما زادت به الدرّة على الشاطبية.

توجيه القراءة:

أنّ قراءة ﴿مَدْخَلًا﴾ بالفتح والتخفيف، من دَخَلَ يَدْخُلُ مَدْخَلًا على وزن "مَفْعَل" من الدخول، وهو الموضع الذي يُدْخَلُ فيه؛ لأنّ دخل مضارعه "يَفْعُل" بضم العين، فاسم المكان منه "مَفْعَل" بفتح العين.

وقراءة ﴿مُدْخَلًا﴾ بالضم والتشديد، أصله "مُدْخَلًا" فأدغمت التاء في الدال، فسارت دالًا مشددة، وهو "مُفْتَعَلًا" من الدخول، يقال: ادَّخَلَ يَدْخُلُ ادِّخَالًا وَمُدْخَلًا، وهذا مُدْخَلُ القوم. أي اسم لمكان الدخول أيضًا، إلا أنّ ادَّخَلَ فيه بناء تأكيد ومبالغة في المعنى الدخول ١٣٢.

ومعناه في الآية: كما قال مجاهد رحمه الله تعالى: "المعقل يمنعهم من المؤمنين". وقال قتادة رحمه الله تعالى: "السَّرب يسرون فيه على خفاء". وقال الكلبي رحمه الله تعالى: "نَفَقًا كَنَفَقِ الْيَرْبُوع".

وقال الحسن رحمه الله تعالى: "وجهاً يدخلون فيه على خلاف الرسول". وقيل: قبيلة يدخلون فيها تحميهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن المؤمنين.

١٣٠ ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص ٢٢٧. وأبو عمرو الداني، مفردة يعقوب بن إسحاق الحضرمي، تحقيق: الأستاذ حاتم صالح الضامن، (السعودية: دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٩هـ)، ص ٥٧.

١٣١ ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٩، بيت رقم [١٢٣].

١٣٢ ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٢، ص ٤٥٥. الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ٤٥٥. وابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٥٩٦.

ورجح أبو حيان بأن معناه السَّرب والنفق في الأرض كما قاله ابن عباس رضي الله عنه "١٣٣".

وكل هذه الأقوال تشير إلى أنّ المنافقين، لو وجدوا أيّ مفرّ من الإيمان لسكلوه فرارًا من الإيمان بالله ورسوله؛ لشدة كفرهم وكرهتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فهم كاذبين في حلفهم أنّهم مؤمنون بالله ورسوله وأنّهم مع المؤمنين. وقال أبو حيان: "بدء أولًا بالأعم وهو الملجأ، إذ ينطلق على كل ما يلجأ إليه الإنسان، ثم ثنى بالمغارات وهي الغيران في الجبال، ثم أتى ثالثًا بالمدخل وهو النفق باطن الأرض. وقال الزجاج: المُدْخَلُ قوم يُدْخِلُونَهُمْ في جملتهم" ١٣٤.

والذي يظهر في توجيه القراءتين، أنّ قراءة ﴿مَدْخَلًا﴾ بالفتح والتخفيف بمعنى موضع الدخول. وقراءة ﴿مُدْخَلًا﴾ بالضم والتشديد، أصله "مُدْخَلًا"، فأدغمت التاء في الدال، وهو "مُفْتَعَلًا" من الدخول أيضًا، فالقراءتان بمعنى واحد، إلا أنّ في قراءة التشديد بناء تأكيد ومبالغة في المعنى.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى كذب المنافقين في الإيمان وشدة كراحتهم للمؤمنين، لو يجدون أيّ مأوى يأوون إليه، ويدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، لا ينالهم من المؤمنين ما يخافون منه، لأسرعوا إليه غير مترددين في ذلك؛ لأنّهم غير مؤمنين بالله ورسوله صدقًا.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿مَدْخَلًا﴾ بالضم والتشديد، إفادتها المبالغة في المعنى على قراءة ﴿مَدْخَلًا﴾ بالفتح والتخفيف، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى، والله تعالى أعلم.

الموضع الخامس: قول الله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُُنْفِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوْا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ٦٤].

١٣٣ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٥، ص ٤٣٨.

١٣٤ المصدر نفسه.

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿تَنْزَلَ﴾، وقد سبق الكلام عليها في موضع التاسع من البقرة.

الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٠].

القراءة:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿الْمُعَذِّرُونَ﴾، فقرأها يعقوب ﴿الْمُعَذِّرُونَ﴾ بسكون في العين وتخفيف في الدال، وقرأها الباقون ﴿الْمُعَذِّرُونَ﴾ بفتح في العين وتشديد في الدال ١٣٥.

والشاهد من الدرّة قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:
وَفِي الْمُعَذِّرُونَ الْخِفُّ وَالسُّوءُ فَافْتَحَا *** وَالْإِنْصَارِ فَارْفَعْ حُزْ وَأُسِّسَ وَالْوَلَا ١٣٦.
وهذه القراءة مما زادت الدرّة به على الشاطبية.

توجيه القراءة:

أنّ قراءة ﴿الْمُعَذِّرُونَ﴾ بالتخفيف من أَعَذَرَ، يقال أَعَذَرَ فلانٌ: إذا جاء بالعدر ولم يقصّر، و﴿الْمُعَذِّرُونَ﴾ بمعنى الذين أَعَذَرُوا، أي جاءوا بالعدر، والمُعَذِرُ الذي قد بلغ أقصى العذر، والعرب تقول: "لَقَدْ أَعَذَرَ مَنْ أَنْذَرَ"، أي بالغ في العذر كما قال جرير ١٣٧:

أَعَذَرْتُ فِي طَلَبِ النَّوَالِ إِلَيْكُمْ ***** لَوْ كَانَ مِنْ مَلِكِ النَّوَالِ يُنِيلُ
وعلى هذا فمعنى القراءة: أنّ الله تعالى فرّق بين أصحاب العذر حقًا وبين الكاذبين، فالمُعَذِّرُونَ هم الذين أتوا بعذر صحيح. قيل: هم بنو أسد وغطفان. قالوا: إنّ لنا عيالًا وإنّا

١٣٥ ينظر: أبو عمرو الداني، مفردة يعقوب بن إسحاق الحضرمي، ص ٥٧. والواسطي، الكنز في القراءات العشر، ج ٢، ص ٤٩٨.

١٣٦ ابن الجزري، الدرّة المضيّة، ص ٢٩، بيت رقم [١٢٥].

١٣٧ هو جرير بن عطية، واسمه حذيفة، أبو حَزْرَةَ الحَطَفِي التميمي الشاعر المشهور، كان من فحول شعراء الإسلام، وأجمعت العلماء على أنّه ليس في شعراء الإسلام مثل ثلاثة: جرير والفرزدق والأخطل. المتوفى سنة (١١١هـ).
ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٢١.

بنا جهداً فائذن لنا في التخلّف. وقيل: هم رهط عامر بن الطفيل، قالوا: إنّ غزونا معك أغارت أعراب طيء علينا، فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن مجاهد: نفر من غطفان اعتذروا^{١٣٨}.

وقراءة ﴿الْمُعْذِرُونَ﴾ بالتشديد، لها وجهان:

الوجه الأول: أنّ المعذّرين هم المعتذرون، والأصل: اعتذر كاختصم على وزن "افتعل"، أدغمت التاء في الدال بأنّ قلبت تاء الافتعال ذالاً، ونقلت حركتها إلى الساكن قبلها وهو العين فبقي ﴿الْمُعْذِرُونَ﴾^{١٣٩}.

والاعتذار قد يكون بالكذب، كما في قوله تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٩٤]، فبيّن كون هذا الاعتذار فاسداً بقوله: ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ [التوبة: ٩٤]، أي لا عذر لكم، وقد يكون بالصدق كما في قول لبيد^{١٤٠}:

إلى الحولِ ثمّ اسمُ السّلامِ عليّكمَا *****
ومنّ يَبْكُ حَوْلًا كامِلاً فقد اعتذّر
يريد قد أعذر، أي جاء بعذر صحيح، وقد يكون لا عذر له.

و﴿الْمُعْذِرُونَ﴾ فإن كانوا محقّين في العذر، فيكون ﴿الْمُعْذِرُونَ﴾ أصله "المُعْذِرُونَ" من اعتذر، أدغمت التاء في الدال لتقارب المخرجين لقصد التخفيف.

وإن كانوا كاذبين في عذرهم فيكون ﴿الْمُعْذِرُونَ﴾: اسم فاعل من عذّر، بمعنى تكلف العذر، وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول: "رحم الله المُعْذِرِينَ ولعن الله المُعْذِرِينَ". ذهب إلى أنّهم الذين يعتذرون بلا عذر، فكأنّ الأمر عنده أنّ المعذّر بالتشديد هو المظهر للعذر اعتيلاً وهو لا عذر له كما قال الأزهري رحمه الله تعالى^{١٤١}.

^{١٣٨} فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٦، ص ١٢٠.

^{١٣٩} ويؤيده قراءة سعيد بن جبير: المعتذرون بالتاء من اعتذر. ومن ذهب إلى أن وزنه افتعل. الأخفش، والفراء، وأبو

عبيد، وأبو حاتم، والزجاج، وابن الأنباري. أبو حيّان، البحر المحيط، ج ٥، ص ٤٨١.

^{١٤٠} هو صحابي جليل، لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري، الشاعر المشهور من فحول شعراء الجاهلية، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن إسلامه. ولم يقل بعد إسلامه شعراً، وكان يقول: أبدلني الله تعالى به القرآن، المتوفى سنة (٤١هـ). ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: الدكتور بشار عوّد

معروف، (تونس: دار الغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٣م)، ج ٢، ص ٤٣٦.

^{١٤١} ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٠، ص ٢٩٢.

والوجه الثاني: يجوز أن يكون ﴿الْمُعْذِرُونَ﴾ من عذر يُعذر على وزن "فَعَّلَ" بتضعيف العين، يقال: عذر يعذر تعذيراً إذا قصر ولم يبالغ. ومعناه: تكلف العذر بدون عذر، وهم الذين يُوهمون أنّ لهم عذراً ولا عذر لهم وهم المقصرون. والعرب تقول للمقصر: مُعْذِرٌ ١٤٢.

فعلى هذا يكون ﴿الْمُعْذِرُونَ﴾ كاذبين في عذرهم. وأما إن أخذنا بقراءة التشديد، وفسرناها بالمعتذرين، فعلى هذا التقدير: يحتمل أنهم كانوا صادقين أو أنهم كاذبين. ومن المفسرين من قال: ﴿الْمُعْذِرُونَ﴾ كانوا صادقين بدليل أنه تعالى لما ذكرهم قال بعدهم: ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، فلما ميّزهم عن الكاذبين، دلّ ذلك على أنهم ليسوا بكاذبين.

وروى الواحدي - رحمه الله تعالى - بسنده عن أبي عمرو: أنه لما ذُكر له هذا القول قال: إنّ أقواماً تكلفوا عذراً بباطل، فهم الذين عناهم الله تعالى بقوله: ﴿وَجَاءَ الْمُعْذِرُونَ﴾، وتخلّف الآخرون لا لعذر ولا لشبهة عذر، جراءة على الله تعالى، فهم المرادون بقوله: ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

والذي ذهب إليه أبو عمرو محتمل، إلا أنّ الأول أظهر؛ لأنّ المراد بـ ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ هم المنافقون من الأعراب الذين ما جاءوا وما اعتذروا، وظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الإيمان ١٤٣.

واختلف في هؤلاء المعتذرين أهمّ مؤمنون أم كافرون؟ فقال ابن عباس ومجاهد وجماعة: هو مؤمنون، وأعدارهم صادقة. وقال قتادة وغيره: هم كافرون وأعدارهم كذب ١٤٤.

والذي يظهر أنّ جميع هؤلاء قدّموا العذر، المؤمنون والمنافقون، فأما المؤمن فصادق في عذره، وأما المنافق فكاذب في اعتذاره، وقعد الذين كذبوا الله ورسوله من المنافقين والكافرين.

١٤٢ ينظر: الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ٤٦٠. ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٣٢١. السمين الحلي، الدر المنصون، ج ٦، ص ٩٦.

١٤٣ ينظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٦، ص ١٢٠.

١٤٤ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٥، ص ٤٨١.

وذكر ابن عاشور - رحمه الله تعالى - أنه يحتمل أن يكون اختيار صيغة المعدّر من لطائف القرآن لتشمل الصادقين في العذر والكاذبين فيه. والاعتذار "افتعال" من باب ما استعمل فيه مادة الافتعال للتكلف في الفعل والتصرف مثل الاكتساب والاختلاق^{١٤٥}.

والذي يتبيّن في توجيه القراءتين، أنّ قراءة ﴿الْمُعْذِرُونَ﴾ بالتخفيف، بمعنى الذين اعتذروا بحق. وقراءة ﴿الْمُعْذِرُونَ﴾ بالتشديد الذين كذبوا في اعتذارهم. فالعذر حق والتعذير كذب. ويحتمل التعذير الصدق والكذب.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في بيان أحوال أعراب الذين قدّموا الأعذار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التخلّف في غزوة تبوك، فمنهم الصادق في عذره، ومنهم الكاذب في عذره، فبيّن الله لرسوله الصادق منهم والكاذب في العذر.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿الْمُعْذِرُونَ﴾ بالتشديد، إحتمالها معنى قراءة ﴿الْمُعْذِرُونَ﴾ بالتخفيف، وهو بمعنى الذين اعتذروا بحق. فقراءة ﴿الْمُعْذِرُونَ﴾ بالتشديد تحتمل الصادقين في العذر والكاذبين فيه. فالعذر حق والتعذير كذب. ويحتمل التعذير الصدق والكذب. فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوّة اللفظ لقوّة المعنى، والله تعالى أعلم.

الموضع السابع: قول الله تبارك وتعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣]. ونظيره قوله تعالى في سورة هود: ﴿قَالُوا يُشْعِبُ صَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]. ونظيره أيضاً قوله تعالى في سورة المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩].

القراءة:

^{١٤٥} ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٠، ص ٢٩١.

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿صَلَوْتُكَ﴾ هنا في التوبة و﴿أَصَلَوْتُكَ﴾ في سورة هود و﴿صَلَوْتُهُمْ﴾ في سورة المؤمنين. فقرأ حفص وحمة والكسائي وخلف ﴿صَلَوْتُكَ﴾ وفي هود ﴿أَصَلَوْتُكَ﴾ بالإفراد ونصب التاء في التوبة.

وقرأ الباقر ﴿صَلَوْتُكَ﴾ وفي هود ﴿أَصَلَوْتُكَ﴾ بالجمع، وكسر التاء في التوبة، ولا خلاف في رفع التاء في هود للكل^{١٤٦}.

وقرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿صَلَوْتُهُمْ﴾ بالإفراد في سورة المؤمنين، وقرأ الباقر ﴿صَلَوْتُهُمْ﴾ بالجمع وكسر التاء^{١٤٧}.

والشاهد من الشاطبية قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَمِنْ تَحْتِهَا الْمَكِّي يُجْرُ وَزَادَ مِنْ *** صَلَاتِكَ وَحَدَّ وَافْتَحَ التَّاءُ شَدًّا عَالًا.
وَوَحَدَ هُمْ فِي هُودَ تُرْجِي هَمْزُهُ *** صَفَا نَفَرٍ مَعَ مُرْجُئُونَ وَقَدْ حَلَا^{١٤٨}.
وقول الشاطبي أيضًا:
أَمَانَاتُهُمْ وَحَدَّ وَفِي سَالٍ دَارِيًا *** صَلَاتِهِمْ شَافٍ وَعَظْمًا كَذِي صَلَا^{١٤٩}.

توجيه القراءة:

أنَّ قراءة ﴿صَلَوْتُكَ﴾ بالإفراد؛ لأنَّ الصلاة بمعنى الدعاء وهي مصدر، والمصدر بلفظه يقع على الجمع والواحد، فلم تجمع لأنَّ المصدر في الأصل لا يدخله التثنية والجمع، وأمَّا الصلاة المشتمة على الركوع والسجود، فهي بالتسمية بها خارجة عن أحكام المصادر، فيصح فيها التثنية والجمع.

وقراءة ﴿صَلَوْتُكَ﴾ بالجمع؛ لأنَّ المصادر إذا اختلف ضروبها جاز جمعها؛ لأنَّ المانع عن جمع المصادر، هو كونها جنسًا يقع على القليل والكثير بشموله لهما، فإذا اختلف أنواعها

^{١٤٦} ينظر: أبو عمرو الداني، التيسير، ص ١١٩. والسرقسطي، العنوان في القراءات السبع، ص ١٠٣. وابن الجزري، تحبير التيسير، ص ٣٩٤.

^{١٤٧} ينظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص ٤٤٤. وابن مهران، المسوط في القراءات العشر، ص ٣١١.

^{١٤٨} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٥٨، بيت رقم [٧٣٣ - ٧٣٤].

^{١٤٩} الشاطبي، متن الشاطبية، ص ٧٢، بيت رقم [٩٠٣].

خرج اللفظ من أن يكون مبنياً عن اختلافها، فجاز تثنيها وجمعها لذلك^{١٥٠}، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

وذكر مكّي بن أبي طالب - رحمه الله تعالى - توجيهاً آخر وهو أن قراءة الجمع هنا، وفي سورة هود والمؤمنين؛ لإجماع الجميع على الجمع في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ [التوبة: ٩٩]، ولا فرق بينها والتي في سورة المؤمنين وهو قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩] يراد بها الصلوات الخمس فالجمع أولى به؛ ولأنها مكتوبة في المصحف بالواو، فدل ذلك على الجمع، وعلى أن الألف التي بعد الواو اختصرت من الكتاب.

وقد كتبوا ما عدا هذه الثلاثة بالألف، فدلّت الواو في هذه الثلاثة على أنه جمع، وحذفت الألف بعد الواو كما حذفت من ﴿ذَرَجَتْ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ [النساء: ٩٦] وغيرها.

وقراءة الإفراد أيضاً؛ لإجماع الجميع على الإفراد في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢] بالتوحيد، وإجماعهم على التوحيد في قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣]^{١٥١}. وفي هذا التوجيه ردّ ما اختلف فيه إلى ما أجمع عليه.

وقيل بأنّ ﴿صَلَوَاتِكَ﴾ أعم من: ﴿صَلَوَاتِكَ﴾؛ لأنّ الجمع إنما هو لما دون العشرة، فكأنّته: "إنّ دعواتك"، والتوحيد بمعنى: "إنّ دعاءك"، والدعاء أعم من "الدعوات" وأكثر؛ لأنّ المصدر أعم من الجمع الذي لما دون العشرة^{١٥٢}.

ولكنّ أبا علي الفارسي - رحمه الله تعالى - ردّ هذا القول بجواب جيد، وهو أنّه إذا اتّجه الإفراد والجمع في اللغة وترجّح أحد الوجهين لموافقة خطّ المصحف، يكون ترجيحاً أولى بالأخذ به.

^{١٥٠} ينظر: ابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٦٠٤.

^{١٥١} ينظر: مكّي بن أبي طالب، الهداية الى بلوغ النهاية، ج ٤، ص ٣١٤٢.

^{١٥٢} المصدر نفسه.

وأما القول بأن الصلاة للكثرة والصلوات للقلة، فلم يكن قولاً متجهًا؛ لأنّ الجمع بالتاء يقع على الكثير كما يقع على القليل، كما في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَهُمْ فِي الْعُرْفِ أَعْمُنُونَ﴾ [سَبَأ: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الْحَزَب: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ﴾ [الحديد: ١٨]، فقد وقع الجمع هنا على الكثير كما وقع على القليل.

وإذا كان للشيء وجهان في اللغة، فأخذ أحد بأحد الوجهين، وآخر بالوجه الآخر كان سائغًا لا شيء عليه، وكذلك لو أخذ بأحد الوجهين في موضع، وفي موضع آخر بالوجه الآخر، كنحو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣]، وقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خُشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]، وفي قوله: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فأفرد في موضع وجمع في آخر ١٥٣.

وعلى هذا فلا يلتفت إلى هذا القول، الصلاة للكثرة والصلوات للقلة؛ لضعفه بالأدلة الظاهرة السابقة على ذلك، فالصلوات للكثرة ليست للقلة، كما في قوله ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمَ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧] فقال: ﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ ولم يرد القليل؛ لأنّ المقام للمبالغة والكثرة. ولهذا الأسلوب نظائر كثيرة في القرآن الكريم.

ومعنى ﴿صَلَوَاتِكَ﴾ هنا الدعاء، وفي سورة هود العبادة ١٥٤، وفي سورة المؤمنين المراد بها الصلوات الخمس وغيرها.

والذي يظهر في معنى القراءتين، أنّ قراءة ﴿صَلَوَاتِكَ﴾ بالإفراد، لأنّ الصلاة بمعنى الدعاء وهي مصدر، والمصدر بلفظه يقع على الجمع والواحد، وقراءة ﴿صَلَوَاتِكَ﴾ بالجمع؛ لأنّ المصادر إذا اختلفت ضروبها يجوز جمعها.

والقراءتان بمعنى واحد غير أنّ قراءة الجمع إفادتها للكثرة أوضح من قراءة الإفراد على المصدر؛ لعدم احتمال قراءة الجمع على القلة.

١٥٣ أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٤، ص ٢١٧.

١٥٤ ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٦، ص ١١٧.

وتتكامل دلالة معنى القراءتين في الإشارة إلى أنّ دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وثناؤه للمتصدقين طمأنينة وسكينة عليهم، سواء دعا للواحد منهم مرة أو أكثر، فالله سميع لدعائه إذا دعا.

وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة في قراءة ﴿صَلَوْتُكَ﴾ بالجمع، إفادتها للكثرة أوضح من قراءة الإفراد على المصدر؛ لاختلاف أجناسها وأنواعها؛ ولعدم احتمال قراءة الجمع على القلة، بخلاف قراءة ﴿صَلَوْتُكَ﴾ بالإفراد على المصدر، اسم جنس يقع على الكثرة والقلة، لكنه مفرد في اللفظ يحتمل القلة، فزيادة المبنى دلالة على زيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى، والله تعالى أعلم.

وبهذا انتهى هذا المبحث والله الحمد والمنة، وقد حوى هذا المبحث سبع مواضع من القراءات الفرشية في سورة التوبة، التي زاد مبنى الكلمة بالألف أو بالثقل والتخفيف أو التي تحوّل مبنى الكلمة إلى الأقوى على القراءة الأخرى المتعلّق بالمعنى في كلمة واحدة كما تمّ ذكره في حدود البحث.

وقد سعى البحث - قدر المستطاع - في هذا المبحث بيان وجه التكامل بين هذه القراءات وأثر دلالة الزيادة في بنية الكلمة، والله ولي التوفيق والسداد.

خلاصة الفصل

وخلاصة هذا الفصل تتمثل في الآتي:

تناول هذا الفصل القراءات العشر المتواترة الفرشية، التي اختلفت بنية كلماتها مع القراءة الأخرى في نفس الكلمة من حيث الزيادة بالألف، أو بالثقل والتخفيف أو التي تحول وزنها وأبنيتها إلى أقوى منها المتعلق بالمعنى، من أول سورة الأعراف إلى آخر سورة التوبة جمعاً ودراسة.

وقد بلغ عدد الكلمات الفرشية في هذا الفصل، أربعاً وثلاثين موضعاً من القراءات، عشرين موضعاً في سورة الأعراف، وسبع مواضع في سورة الأنفال، وكذلك سبع مواضع في سورة التوبة.

وتبرز نتيجة هذا الفصل في نحو قراءة ﴿تُفْتَحُ﴾ بالتشديد، وقراءة ﴿يُفْتَحُ﴾ و﴿تُفْتَحُ﴾ بالتخفيف، ففي هذه القراءات أثّرت زيادة المبنى على المعنى، فقراءتي التخفيف ﴿يُفْتَحُ﴾ و﴿تُفْتَحُ﴾، أفادتاً مجرد وقوع الفعل بدون تكرار ولا مبالغة في المعنى. وقراءة ﴿تُفْتَحُ﴾ بالتشديد فيها زيادة على مبنى الكلمة، فأفادت المبالغة في نفي فتح أبواب السماء لقبول أعمال المكذّبين بآيات الله أو لدخولهم الجنة مع كثرة الأبواب فلا يفتح لهم. فهذا الذي أضافته الزيادة المبالغة في المعنى.

وكذلك في قراءة ﴿سَنَقْتُلُ﴾ بضم في النون وفتح القاف وكسر التاء مع التشديد، وقراءة ﴿سَنَقْتُلُ﴾ بفتح في النون وسكون القاف وضم التاء مع التخفيف، فقراءة ﴿سَنَقْتُلُ﴾ بالتشديد فيها زيادة المبنى على قراءة ﴿سَنَقْتُلُ﴾ بالتخفيف، أثّر ذلك على المعنى، فأفاد المبالغة لكثرة القتل، بخلاف قراءة ﴿سَنَقْتُلُ﴾ بالتخفيف، حيث أفادت وقوع الفعل بدون المبالغة.

كما تبرز أيضاً في قراءة ﴿مُوهِنٌ﴾ بالتشديد وقراءتي ﴿مُوهِنٌ﴾ و﴿مُوهِنٌ﴾ بالتخفيف، فقراءة ﴿مُوهِنٌ﴾ بالتشديد فيها زيادة المبنى على قراءتي التخفيف، فأفادت الزيادة المبالغة في المعنى، وهو تكرير وقوع الفعل، فالله تبارك وتعالى أوقع الوهن بكيد الكافرين مرة بعد مرة. فهو توهين بعد توهين بخلاف قراءتي التخفيف، فإنها تفيد المعنى بدون المبالغة

أو التكرير لوقوع الفعل. فالزيادة المبنى دلّت على زيادة المعنى. وغير ذلك مما توصّل إليه
الباحث في هذا الفصل، ولله الحمد والمنّة.



الخلاصة

النتائج والتوصيات:

هذا ما تيسر جمعه ودراسته في هذا البحث ولله الحمد والمِنَّة، وقد أخذت الرحلة في ذلك وقتاً من الزمن، حيث قام الباحث في افتتاح الدراسة بمقدمة، تضمّنت مفهوم معنى القراءات وشروط القراءة الصحيحة وأهمية القراءات وفوائدها، والحكمة من اختلاف القراءات القرآنية. وكذلك الكلام عن مفهوم توجيه القراءات، وأهميته ومسمّياته عند علماء التوجيه وعلاقته بالقراءات القرآنية.

كما ناقش البحث مفهوم الدلالة وأثرها في زيادة المعنى عند أهل اللغة، وعند علماء توجيه القراءات أيضاً.

ثم تناول البحث بعد ذلك جمع القراءات ودراسة أثر دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى في القراءات القرآنية الفرشية، التي اختلفت بنية كلماتها مع القراءة الأخرى في نفس الكلمة، أو التي تحوّل وزنها وأبنيتها إلى أقوى منها المتعلّق بالمعنى، من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة.

النتائج:

وقد بلغ عدد الكلمات الفرشية التي تمّ دراستها في هذا البحث مئة وإحدى عشرة قراءة، وبعد كل هذه الرحلة البحثية، فقد توصّل الباحث إلى نتائج كثيرة من أهمّها ما يأتي:

١. أنّ نزول القرآن الكريم بالقراءات واختلافها، مما يشير إلى فضل هذه الأمة على غيرها، ومما تميّزت به أمة محمد صلى الله عليه وسلم على غيرها من الأمم السابقة، إذ لم يكن لهم مثل هذه القراءات لكتبهم المنزلة.

٢. أنّ الحكمة من إنزال القراءات القرآنية على هذه الأمة لإظهار اللطائف البيانية والحكم والمعاني المستفادة، مما يعزّز التكامل بين اختلاف أوجه القراءات واختلاف اللهجات، وهنا تبرز أهمية القراءات القرآنية وحكمتها الباهرة.

٣. أنّ توجيه القراءات القرآنية يُعدُّ تفسيرًا وتعليلاً لمعنى القراءة، وطريقًا للدفاع عن القرآن والقراءات، وله أهمية كبيرة، فهو من أهمّ ثمرة القراءات، وله مسمّيات منها الاحتجاج والعلل والحجة وغير ذلك.
٤. أنّ العلاقة بين توجيه القراءات القرآنية والقراءات ذاتها، علاقة تكاملية قوية جدًّا، حيث يكمل أحدهما الآخر؛ لأنّ القراءات رواية ودراية، والتوجيه من الدراية ووسيلة إلى فهم تلك الرواية بتفاصيلها وحقائقها اللغوية والمعنوية.
٥. أنّ دلالة زيادة المبنى لها أهمية وأثر عند أهل اللغة في زيادة المعنى المقصود إيصاله إلى الغير في الغالب، وكذلك لها أثر في القراءات القرآنية في زيادة المعنى في معظم الأوقات.
٦. أنّ الزيادة في مبنى الكلمة ليس على إطلاقها تفيد زيادة في معنى الكلمة، فقد يكون النقص على وزن الكلمة هو الذي يفيد زيادة في معنى الكلمة، وهذا وقع في ثمان مواضع، كنحو قراءة ﴿وَكُتِبَ﴾ بالألف على الإفراد، وقراءة ﴿وَكُتِبَ﴾ على الجمع، فقراءة الجمع بالنقص في وزن الكلمة هو الذي صرّح بزيادة المعنى لإفادته الجمع مطلقًا بدون احتمال القلّة.
٧. أنّ فصاحة اللغة العربية وبلاغتها العالية تظهر جليًّا في زيادة بينة الكلمة ونقصها، إذ أنّ زيادة حرف في بنية الكلمة يزيد معناها وفائدة لم تكن موجودة في الكلمة قبل الزيادة، وهذا مما تميّز به اللغة العربية على غيرها من اللغات.
٨. أنّ تعدّد القراءات في كلمة واحدة، ليس أمرًا من قبيل تحصيل الحاصل أو حشوًّا في الكلام، أو تكرارًا ليس له فائدة، بل يكون لغرض بديع ونكتة بلاغية يدركها من تعمّق في العربية والمعاني والعلل وأمعن النظر في ذلك وفتح الله عليه.
٩. أنّ تعدّد القراءات في كلمة واحدة يدل على إعجاز القرآن الكريم، فعلى الرغم من كثرة القراءات القرآنية وتكرّر القراءة في كلمة واحدة، لا يحدث التناقض في المعنى والدلالة بأي حال من الأحوال، بل يزيد المعنى وضوحًا وتكاملًا وتوسّعًا.

١٠. أنّ أثر دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى في القراءات القرآنية، قد تكون بتأكيد المعنى وتكثيرها، أو بالمبالغة فيها على معنى القراءة الأخرى في الكلمة، وهذا هو أغلب ما تفيده الزيادة.

١١. أنّ زيادة المبنى في الوزن قد تكون بزيادة الألف على المفاعلة، أي بالمشاركة بين اثنين في الفعل، وهذا وقع في اثنا عشر موضعاً من هذا البحث. كنحو قراءة قوله تعالى: ﴿وَعَدْنَا﴾ بالألف على المفاعلة بين اثنين وقراءة ﴿وَعَدْنَا﴾ بغير الألف على أنّ الفعل من الواحد.

١٢. أنّ الزيادة في مبنى الكلمة، قد تكون بزيادة الألف من المفرد إلى الجمع، وهذا وقع في سبعة عشر موضعاً، كنحو قراءة قوله تعالى: ﴿آصِرُهُمْ﴾ بزيادة ألف على الجمع، وقراءة ﴿إِصِرَّهُمْ﴾ بغير الألف على الأفراد.

١٣. أنّ زيادة المبنى على زيادة المعنى قد تكون بزيادة الألف على المصدر إلى جمع التكسير، وهذا وقع في سبعة مواضع، كنحو قراءة ﴿شِرْكًا﴾ على المصدر وقراءة ﴿شُرَكَاءَ﴾ على جمع التكسير، فهو على وزن "فُعَلَاء" من أوزان الكثرة، وقراءة ﴿شِرْكًا﴾ على المصدر، والمصدر لا يفيد الكثرة كجمع الكثرة.

١٤. أنّ زيادة المبنى في الوزن التي تفيد زيادة المعنى، قد تكون بتضعيف الكلمة وتشديدها على المبالغة والتوكيد في المعنى، وهذا وقع في ثلاث وخمسين موضعاً، كنحو قراءة قوله تعالى: ﴿سَنُقْتِلُ﴾ بالتشديد على المبالغة في المعنى، وقراءة ﴿سَنُقْتِلُ﴾ بالتخفيف.

١٥. أنّ أثر دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى في القراءات القرآنية، قد تكون بإنشاء معنى جديد، تشمل معنى القراءة الأخرى في الكلمة، أو تتضمن معناها وتلزمها. وهذا وقع في ستة مواضع، كنحو قراءة ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بالتخفيف وقراءة ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بالتشديد، فقراءة ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بالتخفيف تدل بمجرد انقطاع دم الحيض تطهر المرأة وإن لم تغتسل يحل وطأها لزوجها، وقراءة ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بالتشديد تدل على أنّ المرأة لا يجوز وطأها لزوجها حتى تغتسل بالماء بعد انقطاع الدم.

١٦. أن أثر دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى في القراءات القرآنية قد تكون توضيحاً وتفسيراً لمعنى قراءة الأخرى في الكلمة دون زيادة في المعنى، أو تكون تخصيصاً وتقييداً لمعنى القراءة الأخرى. وهذا وقع في موضعان، كنحو قراءتي ﴿ضُعْفًا﴾ بالفتح و﴿ضُعْفًا﴾ بالضم على المصدر وقراءة ﴿ضُعْفَاءً﴾ بالمد والهمز على الجمع. فقراءة ﴿ضُعْفَاءً﴾ بالمد والهمز تفيد الوضوح والبيان على قراءتي ﴿ضُعْفًا﴾ بالفتح و﴿ضُعْفًا﴾ بالضم، فهاتين القراءتين أطلقت الضعف في المؤمنين، وقد يُتوهم أنه في المؤمنين جميعاً، وقراءة ﴿ضُعْفَاءً﴾ بينت بأن الضعف في الضعفاء منهم فقط ليس في جميعهم، فبعضهم أقوىاء وبعضهم ضعفاء.

١٧. أن أثر دلالة زيادة المبنى المفيد زيادة المعنى قد تؤدي إلى تكامل الدلالة بين معنى القراءتين بالجمع بينهما، فقد تكون بالإشارة إلى سبب ونتيجة، لم يكن موجوداً في القراءة الأخرى، وهذا وقع في ثلاث مواضع، كنحو قراءة ﴿يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بالتشديد، وقراءة ﴿يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بالتخفيف، وأتبعه: إذا سار في أثره، وتبعه: إذا لحقه، فتتكامل دلالة معنى القراءتين بالجمع بينهما.

١٨. أن التأثر في معنى الكلمة ودلالاتها لا يخضع بالضرورة على زيادة مبنى الكلمة، بل قد يكون بتحويل وزن الكلمة إلى أقوى منه على عدد حروف الكلمة، وهذا وقع في ثمان مواضع، كنحو قوله تعالى: ﴿قَسِيَّةٌ﴾ على وزن "فُعيلة" وقراءة ﴿قَسِيَّةٌ﴾ بالألف على وزن "فاعلة". فقراءة ﴿قَسِيَّةٌ﴾ فيها مبالغة أكثر من قراءة ﴿قَسِيَّةٌ﴾ بالألف على وزن "فاعلة".

١٩. أن الزيادة في مبنى الكلمة في القراءات القرآنية، قد تغير معنى الكلمة إلى معنى آخر، وهذا وقع في موضع واحد فقط في هذا البحث، كنحو قوله تعالى: قراءة ﴿الْمُعْذِرُونَ﴾ بالتخفيف، بمعنى الذين اعتذروا بحق. وقراءة ﴿الْمُعْذِرُونَ﴾ بالتشديد الذين كذبوا في اعتذارهم.

٢٠. توصل البحث إلى أن أكثر المواضع التي فيها زيادة المبنى التي تفيد زيادة في المعنى، غالباً تكون بتشديد حرف في وزن الكلمة، وهذا وقع فيما يقارب

خمسين موضعًا، كنحو قراءة ﴿وَحَرِّقُوا﴾ بالتخفيف وقراءة ﴿وَحَرِّقُوا﴾ بالتشديد. أو تكون بزيادة ألف في الوزن، وهذا الأكثر في هذا البحث، كنحو قراءة ﴿خَطِيئَتُهُ﴾ بالإفراد وقراءة ﴿خَطِيئَتُهُ﴾ بالجمع.

٢١. توصّل البحث إلى أنّه من النادر أن لا تفيد زيادة المبنى على زيادة المعنى، وهذا وقع في موضع واحد فقط كما قراءة ﴿أَتَيْتُمْ﴾ بالقصر وقراءة ﴿ءَاتَيْتُمْ﴾ بالمد، فقراءة ﴿أَتَيْتُمْ﴾ بالقصر تتضمّن معنى قراءة ﴿ءَاتَيْتُمْ﴾ بالمد وتزيد على معناها؛ لأنّ معنى قراءة ﴿ءَاتَيْتُمْ﴾ بالمد أعطيتم، وأعطيتم فعل، والفعل هو معنى قراءة ﴿أَتَيْتُمْ﴾ بالقصر، ويتضمّن الفعل الإعطاء وغيره. فقراءة ﴿ءَاتَيْتُمْ﴾ بالمد لم تفد معنى زائدًا على قراءة ﴿أَتَيْتُمْ﴾ بالقصر.

التوصيات:

يوصي البحث العلماء والأكاديميين والباحثين والمؤسسات العلمية بالآتي:

١. دعوة الباحثين عمومًا والمختصّين في الدراسات القرآنية، وخاصة القراءات وتوجيهها إلى إكمال هذا المشروع إلى نهاية القرآن الكريم، لما له من أهمية كبيرة فيما يتبيّن ويظهر.
٢. أنّ توجيه القراءات له موارد متعدّدة، ومجالات كثيرة، تصلح لكتابة بحوث أكاديمية ومشاريع بحثية، ورسائل علمية للماجستير والدكتوراه، وغير ذلك من الموضوعات المتعلقة بالقرآن الكريم وعلاقته باللغة والبلاغة والنحو والصرف وعلم الأصوات.
٣. يدعو البحث الجامعات والكليات والمؤسسات المهمة بالدراسات القرآنية إلى زيادة العناية بعلم توجيه القراءات وعلاقته بالعلوم؛ لاتصاله الوثيق بفهم القرآن الكريم.
٤. يوصي البحث بإنشاء خطة تعليمية لطلاب الكليات والمعاهد والحلقات القرآنية لتعليم بعض مبادئ علم توجيه القراءات بجعله مادة مستقلة، أو تضمينه

مع مواد التفسير وعلوم القرآن، فإنّ ذلك مما يعين الطلاب على فهم معاني القرآن الكريم.

٥. يوصي البحث بعقد مؤتمرات وندوات خاصة حول علم توجيه القراءات يشترك فيه المتخصصون من القراءات والتفسير وعلوم القرآن وفنون اللغويات واللسانيات وذلك لكشف المزيد حول هذا العلم. وأخير أحمد الله تبارك وتعالى الأول والآخر والظاهر والباطن، الذي بمنّه وكرمه وتيسيره يسّر الوصول إلى نهاية هذا البحث في خير وعافية، والله أسأل التوفيق والقبول، إنّه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّى الله وسلّم على خير الخلق، نبينا وحبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين برحمتك يا أرحم الراحمين.



قائمة المصادر والمراجع

الكتب:

ابن أبي داود أبو بكر، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني.
(١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م). كتاب المصاحف. (ط ١). محمد بن عبده (تحقيق). القاهرة:

الفاروق الحديثة.

ابن أبي مريم الشيرازي، نصر بن علي، أبي عبد الله الفارسي النحوي. (١٤١٤هـ/١٩٩٤م).
الموضح في وجوه القراءات وعللها. (ط ١). الدكتور عمر حمدان الكبيسي (تحقيق).
جدة: الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم.

ابن الأثير الكاتب، نصر الله بن محمد الشيباني، أبو الفتح، ضياء الدين. (١٤٢٠هـ). المثل
السائر في أدب الكاتب والشاعر. (د. ط) محمد محي الدين عبد الحميد (تحقيق).
بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

ابن الأثير الكاتب. (١٣٧٥هـ). الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور.
(د. ط). مصطفى جواد (تحقيق). بغداد: مطبعة المجمع العلمي.

ابن الباذش، أحمد بن علي بن أحمد أبو جعفر الغرناطي. (د. ت). الإقناع في القراءات
السبع، (د. ط). القاهرة: دار الصحابة للتراث.

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف بن علي الدمشقي. (د. ت).
النشر في القراءات العشر. (ط ١). علي محمد الضباع (تحقيق). بيروت: دار الكتب
العلمية.

ابن الجزري. (١٣٥١هـ). غاية النهاية في طبقات القراء. (ط ١). القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

ابن الجزري. (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م). منجد المقرئين ومرشد الطالبين. (ط ١). مصر: دار الكتب العلمية.

ابن الجزري. (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م). شرح طيبة النشر في القراءات. (ط ٢). الشيخ أنس مهرة (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الجزري. (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م). تحبير التيسير في القراءات العشر، (ط ١). الدكتور أحمد محمد مفلح القضاة (تحقيق). الأردن: دار الفرقان.

ابن الجزري. (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م). الدرة المضية في القراءات الثلاث المرضية. (ط ٦). محمد تميم الزعبي (تحقيق). السعودية: دار الهدى.

ابن الجزري. (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م). طيبة النشر في القراءات العشر. (ط ٦). محمد تميم الرُّعْبِي (تحقيق). المدينة المنورة: دار المأثور للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي. (١٤٢٢هـ). زاد المسير في علم التفسير. (ط ١). عبد الرزاق المهدي (تحقيق). بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن السَّلَّار الشافعي، عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم. (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣). طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم. (ط ١). أحمد محمد عزوز (تحقيق). بيروت: المكتبة العصرية.

ابن الفَحَّام الصِّقْلِي. (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م). مفردة يعقوب. (ط ١). إيهاب أحمد فكري وخالد حسن أبو الجود (تحقيق). الرياض: دار أضواء السلف.

ابن الفَحَّام، أبو القاسم عبد الرحمن بن عتيق الصِّقْلِي. (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م). كتاب التجريد لبغية المريد في القراءات السبع. (ط ١). الدكتور ضاري إبراهيم العاصي الدوري (تحقيق). عمان: دار عمار للنشر والتوزيع.

ابن القاصح البغدادي، علي بن عثمان بن محمد. (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). **مصطلح الإشارات في القراءات الزوائد المروية عن الثقات**. (ط١). الدكتور عطية بن أحمد الوهبي (تحقيق). عمان: دار الفكر.

ابن بليمة، لأبي علي الحسن بن خلف بن عبد الله. (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م). **تلخيص العبارات بلطيف الإشارات في القراءات السبع**. (ط١). سبيع حمزة حاكمي (تحقيق). جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية.

ابن جرير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). **جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تفسير الطبري**. (ط١). الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي (تحقيق). الرياض: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي. (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م). **المختص في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**. (د.ط.). القاهرة: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

ابن جني. (د.ت.). **الخصائص**. (ط٤). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن حجر. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني. (١٤١٥هـ). **الإصابة في تمييز الصحابة**. (ط١). عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن حجر. (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م). **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**. (ط٢). محمد عبد المعيد ضان (تحقيق). الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية.

ابن خالويه، الحسين بن أحمد، أبو عبد الله. (١٤٠١هـ). **الحجة في القراءات السبع**، الدكتور عبد العال سالم مكرم (تحقيق). بيروت: دار الشروق.

ابن خالويه. (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م). **البديع**. (د.ت). الأستاذ الدكتور جايد زيدان مخلف (تحقيق). العراق: مركز البحوث والدراسات الإسلامية.

ابن خالويه. (د.ت). **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع**. (د.ط). القاهرة: مكتبة المتنبي.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد البرمكي. (١٩٠٠م). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. (ط١). إحسان عباس (تحقيق). بيروت: دار صادر.

ابن رشد الحفيد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي. (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م). **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**. (د.ط). القاهرة: دار الحديث.

ابن زنجلة أبو زرعة، عبد الرحمن بن محمد. (د.ت). **حجة القراءات**. (د.ط). سعيد الأفغاني (تحقيق). بيروت: دار الرسالة.

ابن سعد أبو عبد الله، محمد بن سعد الهاشمي بالولاء البغدادي. (١٤١٠هـ/١٩٩٠م). **الطبقات الكبرى**. (ط١). محمد عبد القادر عطا (تحقيق) بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن شريح، أبي عبد الله محمد بن شريح الرعيبي الأندلسي. (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م). **الكافي في القراءات السبع**. (ط١). أحمد محمود الشافعي. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي. (١٩٨٤م). **التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**. (د.ط). تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب. (١٤٢٢هـ). **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. (ط١). عبد السلام عبد الشافي محمد (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن غلبون، أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم الحلبي. (١٤١٢هـ/١٩٩١م). التذكرة في القراءات الثمان. (ط١). أيمن رشدي سويد (تحقيق). جدة: الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن.

ابن فارس، أبي الحسن علي بن فارس الخياط. (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م). التبصرة في القراءات الأئمة العشرة. (ط١). الدكتور رحاب محمد شقيقي (تحقيق). الرياض: مكتبة الرشد.

ابن فارس، أحمد بن فارس القزويني، أبو الحسين. (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م). معجم مقاييس اللغة. (د.ط). عبد السلام محمد هارون (تحقيق). بيروت: دار الفكر.

ابن قتيبة. أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري. (١٤٢٣هـ). الشعر والشعراء. (د.ط). القاهرة: دار الحديث.

ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى التميمي، البغدادي. (١٤٠٠هـ). السبعة في القراءات. (ط٢). شوقي ضيف (تحقيق). مصر: دار المعارف.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الإفريقي. (١٤١٤هـ). لسان العرب. (ط٣). بيروت: دار صادر.

ابن مهران، أبو بكر أحمد بن الحسين النيسابوري. (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م). الغاية في القراءات العشر. (ط١). محمد غياث الجنباز (تحقيق). الرياض: دار الشواف.

ابن مهران. (١٩٨١م). المبسوط في القراءات العشر. (د.ط). سبيع حمزة حاكمي (تحقيق). دمشق: مجمع اللغة العربية.

أبو السعود، محمد بن محمد العمادي. (د.ت). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

أبو الطاهر، إسماعيل بن خلف. (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). الإكتفاء في القراءات السبع المشهور. (ط١). أ.د. حاتم صالح الضامن (تحقيق). دمشق: دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع.

أبو الطيّب ابن غلبون، عبد المنعم بن عبيد الله الحلبي. (١٤٣٢هـ/٢٠١١م). الإرشاد في القراءات عن الأئمة السبعة رضي الله عنهم. (ط١). باسم حمدي بن حامد (تحقيق). الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

أبو العز القلانسي، محمد بن الحسين بن بُندار الواسطي. (٢٠٠٧م). الكفاية الكبرى في القراءات العشر. (ط١). عثمان محمود غزال (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو العلاء الكرمانى، محمد بن أبي المحاسن الحنفي. (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني. (ط١). عبد الكريم مصطفى مدلج (تحقيق). بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع.

أبو العلاء الهمداني، الحسن بن أحمد العطار. (١٤١٤هـ/١٩٩٤م). غاية الاختصار في قراءات العشر أئمة الأمصار. (ط١). أشرف طلعت (تحقيق). جدة: الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن.

أبو القاسم البغوي، عبد الله بن محمد بن المَرْزُبَان بن شاهنشاه. (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م). معجم الصحابة. (ط١). محمد الأمين بن محمد الحكني (تحقيق). الكويت: مكتبة دار البيان.

أبو حيان، محمد بن يوسف، أثير الدين الأندلسي. (١٤٢٠هـ). البحر المحيط في التفسير. (د.ط.). صدقي محمد جميل (تحقيق). بيروت: دار الفكر.

أبو داود، سليمان بن نجاح الأموي بالولاء، الأندلسي. (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م). مختصر التبيين لهجاء التنزيل. (د.ط.). المدينة المنورة: مجمع الملك فهد.

أبو سعيد السيرافي، الحسن بن عبد الله بن المرزبان. (٢٠٠٨م). شرح كتاب سيويه. (ط١). أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي. (د.ت). إبراز المعاني من حرز الأمان. (د.ط). مصر: دار الكتب العلمية.

أبو علي الأهوازي، الحسن بن علي بن إبراهيم. (٢٠٠٢م). الوجيز في شرح قراءات القراءة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة. (ط١). دريد حسن أحمد (تحقيق). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد الفارسيّ الأصل. (١٤١٣هـ/١٩٩٣م). الحجة للقراء السبعة. (ط٢). بدر الدين قهوجي وبشير جويجايي. (تحقيق). دمشق: دار المأمون للتراث.

أبو علي المالكي، الحسن بن محمد بن إبراهيم البغدادي. (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م). الروضة في القراءات الإحدى عشرة. (ط١). الدكتور مصطفى عدنان (تحقيق). المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.

أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان. (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م). التيسير في القراءات السبع. (ط٢). اوتو تريزل (تحقيق). بيروت: دار الكتاب العربي.

أبو عمرو الداني. (١٤١٨هـ/١٩٩٧م). الأحرف السبعة للقرآن. (ط١). الدكتور عبد المهيمن طحّان (تحقيق). مكة المكرمة: دار المنارة للنشر والتوزيع.

أبو عمرو الداني. (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م). جامع البيان في القراءات السبع. (ط١). عدد من الباحثين (تحقيق). الإمارات: جامعة الشارقة.

أبو عمرو الداني. (١٤٢٩هـ). مفردة يعقوب بن إسحاق الحضرمي. (ط١). أ.د. حاتم صالح الضامن (تحقيق). السعودية: دار ابن الجوزي.

أبو محمد البغوي محيي السنة، الحسين بن مسعود. (١٤١٧هـ/١٩٩٧م). معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي. (ط٤). محمد النمر وزميلاه (تحقيق). مصر: دار طيبة للنشر والتوزيع.

أبو محمد المرادي، حسن بن قاسم. (١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م). توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك. عبد الرحمن علي سليمان (تحقيق). بيروت: دار الفكر العربي.

الأدھوي، أحمد بن محمد. (١٤١٧هـ/١٩٩٧م). طبقات المفسرين. (ط١). سليمان بن صالح الخزي (تحقيق). السعودية: مكتبة العلوم والحكم.

الأزهري، أبو منصور، محمد بن أحمد الهروي. (١٤١٢هـ/١٩٩١م). معاني القراءات. (ط١). السعودية: مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود.

الأزهري. (٢٠٠١م). تهذيب اللغة. (ط١). محمد عوض مرعب (تحقيق). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح. (١٤١٢هـ/١٩٩٢م). سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة. (ط١). الرياض: دار المعارف.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. (١٤١٥هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. (ط١). علي عبد الباري عطية (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

بازمول، محمد بن عمر بن سالم. (١٤١٢هـ). القراءات وأثرها في التفسير والأحكام. (د.ط.). السعودية: دار الهجرة.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي. (١٤٢٢هـ). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري. (ط١). محمد زهير بن ناصر الناصر (تحقيق). بيروت: دار طوق النجاة.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. (١٤١٨هـ). تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل. (ط١). محمد عبد الرحمن المرعشلي (تحقيق). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم. (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن. (ط١). عدد من الباحثين (تحقيق). السعودية: دار التفسير.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين. (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م). التعريفات. (ط١). جماعة من العلماء (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

الجنائحي، حسن بن إسماعيل بن حسن. (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م). خصائص النظم في خصائص العربية لأبي الفتح عثمان بن جني. (ط١). مصر: دار الطباعة المحمدية القاهرة.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي. (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. (ط٤). أحمد عبد الغفور عطار (تحقيق). بيروت: دار العلم للملايين.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني. (٢٠١٠م). سلم الوصول إلى طبقات الفحول. (د.ط.). محمود عبد القادر الأرناؤوط (تحقيق). إستانبول: مكتبة إرسিকা.

الحملاني، أحمد بن محمد. (د.ت). **شذا العرف في فن الصرف**. (د.ط). نصر الله عبد الرحمن (تحقيق). السعودية: مكتبة الرشد.

الحموي، أحمد بن محمد بن علي أبو العباس الفيومي. (د.ت). **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**. (د.ط). بيروت: المكتبة العلمية.

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن مهدي أبو بكر. (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م). **تاريخ بغداد**. (ط١). الدكتور بشار عواد معروف (تحقيق). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين المالكي. (د.ت). **طبقات المفسرين**. (د.ط). لجنة من العلماء (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

دحان، أحمد بن محمد كمال بن سليمان. (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م). **الرياض الناضرة في توجيه القراءات العشر المتوترة**. (ط٢). دمشق: مؤسسة الرسالة ناشرون.

الدمياطي، أحمد بن محمد شهاب الدين البناء. (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**. (ط٣). أنس مهرة (تحقيق). لبنان: دار الكتب العلمية.

الدوسري، إبراهيم بن سعيد. (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). **مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات**. (ط١). الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قَائمَز. (١٤١٧هـ/١٩٩٧م). **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**. (ط١). مصر: دار الكتب العلمية.

الذهبي. (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م). **سير أعلام النبلاء**. مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. (ط٣). بيروت: مؤسسة الرسالة.

الذهبي. (٢٠٠٣م). **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**. (ط١). الدكتور بشار عواد معروف (تحقيق). تونس: دار الغرب الإسلامي.

الراغب الأصفهاني. أبو القاسم الحسين بن محمد. (١٤١٢هـ). المفردات في غريب القرآن. (ط١). صفوان عدنان الداودي (تحقيق). دمشق: دار القلم والدار الشامية.

الراغب الأصفهاني. (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م). تفسير الراغب الأصفهاني. (ط١). الدكتور محمد عبد العزيز بسيوني (تحقيق). طنطا: كلية الآداب جامعة طنطا.

الرضي الإستراباذي، محمد بن الحسن نجم الدين. (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م). شرح شافية ابن الحاجب. (د.ط.). مجموعة من الأساتذة (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

رضي الدين الكرمانى، شمس القراء، أبو عبدالله محمد بن أبي النصر. (د.ت.). شواذ القراءات. (د.ط.). الدكتور شمران العجلي (تحقيق). بيروت: مؤسسة البلاغ.

الزامل السليم، فريد بن عبدالعزيز. (١٤٢٧هـ). الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن الكريم. (ط١). الرياض: دار ابن الجوزي.

الزبيدي، محمد بن الحسن بن عبيد الله الأندلسي الإشبيلي. (د.ت.). طبقات النحويين واللغويين. (ط٢). محمد أبو الفضل إبراهيم (تحقيق). بيروت: دار المعارف.

الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري. (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م). معاني القرآن وإعرابه. (ط١). عبد الجليل عبده شلي (تحقيق). بيروت: عالم الكتب.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد. (٢٠٠٢م). الأعلام. (ط١٥). بيروت: دار العلم للملايين.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله. (١٤٠٧هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل. (ط٣). بيروت: دار الكتاب العربي.

السامرائي، فاضل صالح. (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م). معاني الأبنية في العربية. (ط٢). عمان: دار عمار.

سبط الخياط، عبدالله بن علي البغدادي. (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). المبهج في القراءات السبع
المتمة بابن محيصة والأعشى ويعقوب وخلف. (ط١). سيد كسروي حسن
(تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

السرقسطي، أبو طاهر إسماعيل بن خلف الأنصاري. (١٤٠٥هـ). العنوان في القراءات
السبع. (د.ط.). الدكتور زهير زاهد والدكتور خليل (تحقيق). بيروت: عالم الكتب.

السمين الحلبي، أبو العباس أحمد بن يوسف. (د.ت.). الدر المصون في علوم الكتاب
المكون. (د.ت.). الدكتور أحمد محمد الخراط (تحقيق). دمشق: دار القلم.

سنبل، محمد إبراهيم وزملاءه. (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م). الإعجاز في القراءات القرآنية والجمع
بينهما. (ط١). طنطا: دار الصحابة.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م). الإتقان في علوم
القرآن. (د.ط.). محمد أبو الفضل إبراهيم (تحقيق). مصر: الهيئة المصرية العامة
للكتاب.

السيوطي. (١٣٩٦هـ). طبقات المفسرين العشرين. (ط١). علي محمد عمر، (تحقيق).
القاهرة: مكتبة وهبة.

الشاطبي، القاسم بن فيره بن خلف الرعيني. (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م). متن الشاطبية = حرز
الأمان ووجه التهاني في القراءات السبع. (ط١١). محمد تميم الزعبي (تحقيق).
السعودية: مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني. (١٤١٥هـ/١٩٩٥م). أضواء البيان في
إيضاح القرآن بالقرآن. (د.ط.). بيروت: دار الفكر.

الشنقيطي. (١٤٢٦هـ). العذب النمر من مجالس الشنقيطي في التفسير. (ط٢). خالد
بن عثمان السبت (تحقيق). مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد اليمني. (١٤١٤هـ). فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. (ط١). بيروت: دار ابن كثير ودار الكلم الطيب.

الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي. (١٩٧٠م). طبقات الفقهاء. (ط١). إحسان عباس (تحقيق). بيروت: دار الرائد العربي.

الصّبّان، أبو العرفان محمد بن علي الشافعي. (١٤١٧هـ/١٩٩٧م). حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.

الصفافسي، أبو الحسن علي بن محمد بن سالم النوري المالكي. (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م). غيث النفع في القراءات السبع. (ط١). أحمد محمود عبد السميع الحفيان (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله. (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م). الوافي بالوفيات. (د.ط.). أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى (تحقيق). بيروت: دار إحياء التراث.

صلاح الدين، محمد بن شاکر بن أحمد. (١٩٧٣م). فوات الوفيات. (ط١). إحسان عباس (تحقيق). بيروت: دار صادر.

طاش كبري زاده، أحمد بن مصطفى. (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم. (ط١). لبنان: دار الكتب العلمية.

الطيّار، مساعد بن سليمان بن ناصر. (١٤٢٣م). فصول في أصول التفسير. (ط٢). محمد بن الدكتور صالح الفوزان (تقديم). المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي.

العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله. (د.ت.). التبيان في إعراب القرآن. (د.ط.). علي محمد البجاوي (تحقيق). مصر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.

العكبري، أبو البقاء. (١٤١٧هـ/١٩٩٦م). إعراب القراءات الشواذ. (ط١). محمد السيد أحمد عزّوز (تحقيق). بيروت: عالم الكتب.

عمر، أحمد مختار. (١٩٩٨م). علم الدلالة. (ط٥). القاهرة: عالم الكتب.

فتح الله، أحمد سليمان. (١٤١٢هـ/١٩٩١م). مدخل إلى علم الدلالة. (ط١). القاهرة: مكتبة الآداب.

فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن. (١٤٢٠هـ). مفاتيح الغيب = التفسير الكبير. (ط٣). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن منظور الديلمي. (د.ت). معاني القرآن. (ط١). أحمد يوسف النجاشي وزميلاه (تحقيق). مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة.

قابه، عبدالحليم بن محمد الهادي. (١٩٩٩م). القراءات القرآنية تاريخها وثبوتها حجتها وأحكامها. (ط١). الأستاذ الدكتور مصطفى سعيد الخن (تقديم). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد. (د.ط). البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة. (د.ت). بيروت: دار الكتاب العربي.

القرطبي أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد. (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦). المفاتيح في اختلاف القراءة السبعة المسمّين بالمشهورين. (ط١). أ.د. حاتم صالح الضامن (تحقيق). دمشق: دار البشائر.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري. (١٣٨٤هـ/١٩٨٤م). الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي. (ط٢). أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (تحقيق). القاهرة: دار الكتب المصرية.

القسطلاني، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر. (د.ت). لطائف الإشارات لفنون
القراءات. (د.ط.). مركز الدراسات القرآنية (تحقيق). المدينة المنورة: مجمع الملك فهد
لطباعة المصحف الشريف.

القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف. (١٤٠٦هـ/١٩٨٢م). إنباه الرواة على
أنباه النحاة. (ط١). محمد أبو الفضل إبراهيم، (تحقيق). القاهرة: دار الفكر العربي.

الكتاني، محمد عبدالحَيّ بن عبد الكبير الحسني الإدريسي. (١٩٨٢م). فهرس الفهارس
والأثبتات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات. (ط٢). إحسان عباس
(تحقيق). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الكفوي، أبو البقاء الحنفي أيوب بن موسى الحسيني. (د.ت). الكليات معجم في
المصطلحات والفروق اللغوية. (د.ط.). عدنان درويش ومحمد المصري (تحقيق).
بيروت: مؤسسة الرسالة.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد. (د.ت). تفسير الماوردي = النكت والعيون.
(د.ط.). السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم (تحقيق). بيروت: دار الكتب
العلمية.

محمد حبش. (١٤١٩هـ/١٩٩٩م). القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام
الشرعية. (ط١). دمشق: دار الفكر.

محمد سالم محيسن. (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م). القراءات وأثرها في علوم العربية. (ط١).
القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.

محمد سالم محيسن. (١٤١٧هـ/١٩٩٧م). الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر.
(ط١). بيروت: دار الجيل.

مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض. (د.ت). تاج العروس من جواهر القاموس. (د.ط). مجموعة من المحققين (تحقيق). الكويت: دار الهداية.

مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري. (د.ت). صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. (د.ط). محمد فؤاد عبد الباقي (تحقيق). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

مفلح القضاة، محمد أحمد وصاحبه. (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). مقدمات في علم القراءات. (ط١). الأردن: دار عمار.

مكي بن أبي طالب، حمّوش بن محمد، أبو محمد، القيسي القيرواني الأندلسي. (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م). الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. (ط٣). محي الدين رمضان (تحقيق). بيروت: مؤسسة الرسالة.

مكي بن أبي طالب. (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه. (ط١). مجموعة رسائل جامعية (تحقيق). الشارقة: جامعة الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة.

مكي بن أبي طالب. (د.ت). الإبانة عن معاني القراءات. (د.ط). الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلي (تحقيق). مصر: دار نهضة مصر للطبع والنشر.

مكي بن طالب. (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م). التبصرة في القراءات السبع. (ط٢). الدكتور محمد غوث الندوى (تحقيق). الهند: الدار السلفية.

المنتجب الهمداني. (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد. (ط١). محمد نظام الدين الفتيح (تحقيق). المدينة المنورة: دار الزمان للنشر والتوزيع.

المهدوي، أبو العباس أحمد بن عمار. (١٤١٥هـ). شرح الهداية. (د.ط). حازم سعيد حيدر (تحقيق). الرياض، مكتبة الرشد.

مهنا، محمود عبد الكريم وعيسى إبراهيم وادي. (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م). اتساع الدلالات في تعدد القراءات القرآنية. (ط١). لبنان: مؤسسة الرسالة ناشرون.

النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد. (١٤٠٩هـ). معاني القرآن. (ط١). محمد علي الصابوني (تحقيق). مكة المكرمة: جامعة أم القرى.

النحاس. (١٤٢١هـ). إعراب القرآن. (ط١). عبد المنعم خليل (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

النشّار، أبو حفص سراج الدين عمر بن قاسم الأنصاري المصري. (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). المكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر. (ط١). أحمد محمود عبد السمیع الحفيان (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

النُّوري، محمد بن محمد أبو القاسم محب الدين. (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م). شرح طيبة النشر في القراءات العشر. (ط١). الدكتور مجدي محمد باسلوم (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

الهذلي، يوسف بن علي بن جبارة، أبو القاسم اليشكري المغربي. (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م). الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها. (ط١). جمال بن السيد الشايب (تحقيق). الكويت: مؤسسة سما للتوزيع والنشر.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد النيسابوري، الشافعي. (١٤٣٠هـ). التفسير البسيط. (ط١). مجموعة من الناس (تحقيق). السعودية: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الواسطي، أبو محمد عبد الله بن عبد المؤمن. (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م). الكنز في القراءات العشر. (ط١). الدكتور خالد المشهداني (تحقيق). القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

الرسائل الجامعية:

ابن القَرَّاب. إسماعيل بن إبراهيم السرخسي الهروي. (١٤٣٦هـ). الشافي في علل القراءات. إبراهيم السلطان (تحقيق). رسالة الدكتوراه. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية.

ابن سوار، أبو طاهر أحمد بن علي بن عمر البغدادي الحنفي. (١٤١٣هـ) المستنير في القراءات العشر. أحمد طاهر أويس (تحقيق). رسالة الدكتوراه. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية.

أبو العز القلانسي. (١٤٠٤هـ). إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر. عمر حمدان الكبيسي (تحقيق). رسالة ماجستير. مكة المكرمة: جامعة أم القرى.

أبو راس، منصور سعيد أحمد. (١٤٢٥-١٤٢٦هـ). اختلاف البنية الصرفية في القراءات السبع من طريق الشاطبية، توجيهه وأثره في المعنى. رسالة ماجستير. مكة المكرمة: جامعة أم القرى.

أبو معشر الطبري، عبد الكريم بن عبد الصمد. (١٤١٢هـ). التلخيص في القراءات الثمان. محمد حسن عقيل موسى (تحقيق). رسالة ماجستير. مكة المكرمة: جامعة أم القرى.

انتصار عثمان إبراهيم عثمان. (١٤٣١هـ/٢٠١٠م). القضايا الصوتية والدلالية في كتاب المختسب لابن جني دراسة وصفية تحليلية في ضوء علم اللغة الحديث، رسالة دكتوراه. السودان: جامعة أم درمان الإسلامية.

الجميل، محمد أحمد عبدالعزيز. (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة. رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن الكريم منشورة. أردن: جامعة اليرموك أردن.

قادري زينب. (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م). الأبنية الصرفية للأفعال ودلالاتها في اللغة العربية. رسالة ماجستير. الجزائر: جامعة الشهيد حمه لخضر.

الدوريات:

أميمة يسن أحمد مهران. دلالة المبنى على المعنى في الآيات القرآنية المتماثلة دراسة تحليلية.

مجلة كلية اللغة العربية. جامعة الأزهر، العدد ٣٣.

الشنقيطي، عبدالرحيم بن عبدالله بن عمر. موارد توجيه القراءات القرآنية. مجلة الجامعة

الإسلامية بالمدينة. العدد ١٥٢.

فتحي الراشدي، محمد ذنون يونس. إشكالية زيادة المبنى ودلالاتها على زيادة المعنى دراسة

تطبيقية على السين وسوف في القرآن الكريم. مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية،

جامعة الموصل بالعراق، العدد ٤، ٢٢/١/٢٠٠٩م.

محمد قاسم محمد حسين الدكتور، التكامل الدلالي للصيغ الصرفية في القراءات العشر القرآنية

دراسة صرفية دلالية سورة المائدة نموذجًا. مقالة منشورة مجلة حوليات الآداب

والعلوم والاجتماعية، من جامعة الكويت، العدد ٤٠، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م.